
الطبعة الرابعة
سام الغباري
القبيلة الهاشمية
مؤسسة أروقة للدراسات والنشر



الطبعة الرابعة

القَبيلةُ الهَاشِمِيّة

ألف عام من الدم

طبعة مزيدة ومنقحة



سام الغباري

القَبيلةُ الهَاشِميّة ألف عام من الدم

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

القاهرة – ش الشيخ معروف من شمبليون – عمارة ج- وسط البلد

تلفون: 20225743534+

البريد الإلكتروني : arweqhhhh@gmail.com

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٤٥٦

الترقيم الدولي: ISBN:978-977-9-797-567-3

الطبعة الأولى

2019

أروقة للدراسات والترجمة والنشر

سامر الغباري

القَبيلةُ الهَاشِميّة

ألف عام من الدم

مؤسسة اروقة للدراسات والنشر

محتوى هذا الكتاب يعبّر عن رأي المؤلف

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ



الإهداء

إلى: باسل جُباري

عبدالسلام طالب الشرفي

يمانيان كالشمس، حولكما أدور لأشعر بالدفء

قبيلة أم سُلالة؟

ماذا يعني الحديث عن الهاشمية؟

إنها مقامرة مجنونة على سوق رهانات مقدس، تشبه التعرض إلى السامية وإنكار الهولوكوست في مواجهة شعب يتحكم بمال الكرة الأرضية!. وقد جئت إلى هنا لغرض وحيد: محاولة تفكيك الهاشمية ومعرفة طبائعها وأصولها وانحداراتها وأسباب بقائها كهوية لمعظم منتسبيها خارج إطار مبدأ سيادة الدول الذي أسسته معاهدة ويستفاليا الدولية وترجمته اتفاقية سايكس – بيكو وفق معطيات نشوء النظام العالمي الجديد، باحثًا عن إجابات لأسئلة كهذه:

- هل كانت الخرافة سبيل الهاشميين إلى التعلق بمكانة مميزة في المجتمعات؟

- هل فرضت حرب اليمن السؤال الأول الذي إن مات عاد ليُبعث من جديد؟

- هل تمثّل السُلالية الهاشمية خطرًا وجودياً على مستقبل الحكومات العربية واستقرارها؟

- لماذا لم يمت الحسين بن علي حتى هذه اللحظة؟

- ما هي التحديات التي يمكن أن تواجه الشعوب الإسلامية – واليمن تحديدًا – في ظل بقاء الهوية الهاشمية داخلها، ولماذا اليمن؟

- ما علاقة خمينية بها، وما هو ارتباطها بهاشمية اليمن تحديدًا؟

- هل يجوز تجريم الهاشمية كنظام أم الهاشميين كسُلالة؟

- ماهو الإطار العربي الذي يمكنه "عقلنة" الهاشمية وإبعادها عن الفخ خميني؟

هذه أولى الأسئلة، أرددها قبل الحديث عن الهاشمية كقبيلة تتشكل في اليمن بإصرار مُسلّح يهدم صفة اليمنيين كـ "يمنيين"، ويمر على أنقاضهم إلى شعاب أخرى تسكنها الهاشمية، فتتشكل معها وتصير شعبًا، وتمر حتى تجد آخرين فتضمّهم إلى هويتها، ولن تتوقف إذا انتصرت في صنعاء واستطاعت هزيمة اليمنيين إما بالسلام المخادع أو إما بالحرب العسكرية.

تطورات الهاشمية وتوحدها العرقيّ يدفع صنعاء إلى مستقبل مشابه للقدس، يعزل اليمنيين عن هويتهم كما

عُـزل الفلسـطينيون عـن أرضـهم بفعـل نبـوءة "شـعب الله المختار". تنقّل اليمنيون على مدى طويل من السنين الغابرة إلى بـلاد أخـرى كثيرة، غـادروا بسـبب حـروب الألـف عـام التـي أوقـد نارهـا الهاشـميون كـل عقـدين أو ثلاثـة عقـود، رحـل المعارضـون والمـؤثرون ثـم لم يعـودوا، وحلّـت مجموعات فارسية ومستوطنون غرباء وبدو رُحّل في تلك الأراضي المنتزعة من أصحابها، وتعرضت القبيلة اليمنية إلى هيكلـة وظيفيـة اسـتهدفت رؤوسـها المشـايخية بقـوة السـلطة الهاشـمية "الحاكمـة"، وبـرزت عـائلات مشـايخية جديدة موالية للإمامة العنصرية، حتى صاروا معًا قوة تستجيب لداعي الإمامة كلما أنشبت مخالبها، مستفيدة من حالة الحضور النوعي للهاشميين في المرافق العصبية المهمة للدولة والعشيرة.

إنهـا خطـوات فتاكـة في تجريـف قـوى التـأثير اليمنـي، إمـا بالسـجن، وإمـا التهجـير، وإمـا القتـل. ذلـك مـا حـدث في فلسـطين بسـبب العرقيـة الصـهيونية التـي أجـازت حـرق السـكان المقـاومين ونشـر رمـادهم في مقابـل فرصـة أخـرى لحياة صـهيونية موعـودة بالهيكـل، ومولعـة بالعهـد القـديم، وهو العهد الـذي ظهر باسم الإسلام تحت عنوان "موالاة

أهـل البيـت" أو الآل، أو العـترة، أو آل محمـدﷺ التـي نفهمها اليـوم تفسـيرًا لعبارة "الأنصـار"، غـير أن تفسـيرها الهاشمي يحصرها في كل منتسب للعرقية الهاشمية حتى لـو كـان أفطسَ صـينيًا ذي عينـين غـائرتين، أو راقصًـا أخضرَ العينين يلهو على حدود الأمازون مع لاتينية نافرة داعرة، فإنـه رجـل مُقـدّس! أو عَلَـم أو إمـام، أو يكفـي أن يكـون هاشـميًا يشـار إليـه بالبنـان فيتبعـه النـاس إتقـاء سـخط الله ووعورة الطريق إلى الجنة!.

صعدت حرب اليمن إلى واجهة الاهتمام الإنساني، وظن الذي يفسر المـاء بالمـاء أنها حرب فرقاء، كتلك التي يدوي صـوتها عـلى سـواحل درنـة الليبيـة، أو بجـوار قلعـة حلـب التاريخيـة، لكنهـا غـير ذلـك، إنهـا حـرب لم تـنم، ومعركـة مفتوحة منذ قرون، إن لم تصطل بالسيوف وتُخضّب بالدماء فهـي نـزال بالوظـائف والقـرارات والعصي والتظـاهرات والكُتـب، تحشـد أدواتهـا كـلّ يـوم وراء الجبـال عـلى هيئـة معـارك وديّـة بـين مُجتَمعـين داخـل حـدود واحـدة؛ المجتمـع اليمنـي، ومجتمـع الهاشـميين. وفي كـل معركـة حقيقيـة يـدفع اليمنيون أمنهم ومعيشتهم وعنادهم وهويتهم ثمنًا في حالة دفـاع عـن الـنفس أمـام إرادة الغـزو الهاشـمي مـن الـداخل!

شـعبٌ بأكملـه يـدافع عـن حقـه في التـاريخ، وموقعـه في الجغرافيا، وصوته في العالم، كنوع من تعبير الفطرة الإنساني المبارك، وترجمة لتعاليم الأنبياء المأخوذة عن الله تعالى وقد عاشـوا لأجلهـا، وحـاربوا لهـا ومـاتوا عليهـا، ورفضـوا كـما رفضنا الإذعان لمنطق الغلبة والعنف، وسلّموا بمسئولية الفرد عمّا كسبت يداه، وعن يومه وغده، وعلاقته بالناس، والـدعوة إلى الكفـاح المسـلَّح دفاعًـا عـن حـق المجتمـع والأفراد في الحرية والسلام والعدل، والدعوة بالحسنى، واحترام الانتماء العقدي. تلك قوانين الشرع التي أصلّها الناموس الإلهي في القرآن الكريم، ومثّلت إطارًا كونيًا لسنن الله تعالى في خلقه ومخلوقاته.

في كـل معركـة يكتشـف اليمنيـون أن الهاشـمية ضـد فكـرة الدولـة، ولا تـؤمن بهـا إلا إذا كانـت مُسـخّرة لأفرادهـا المتسلسلين من عرق واحد يدّعي اتصاله بـ "علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نسبًا!. وأن هذه الفكرة التسلسلية لعائلة أحاطت تصرفاتها بـ "القداسة" تنفي نظرية المواطنة، وتنسف عدالة الدين، وتشوّه فطرة الإنسانية والخلق، ما يجعـل الحـرب مفتوحـة وأبـواب المـُدن مشرعة للضـباع الضالّة وهي تغطغط بحثًا عن فريسة لا تقدر على هضمها،

فكّها المفتوح عن آخره لا يقدر على ابتلاع شعبٍ عنيد متحفز ومقهور للدفاع عن نفسه في مواجهة تلاحم عرقي موحش صنعته الهاشمية بغزلها، وجعلت لخيوطها ألوانًا يُقال لها الهاشمية الدينية، والهاشمية السياسية، والاقتصادية والثقافية والعسكرية!. ولا يعني أن يتدلى المرء مشنوقًا على أنشوطة وردية اللون أنه سعيد الحظ، فالموت هو الموت، والمشنقة تعني النهاية وإن كانت بقلادة ذهبية.

الولاية المقدسة لدى الهاشميين في اليمن تنتج أجيالًا متحفزة للقتل، مصنعًا لإنجاب أفراد تعلموا أنهم ليسوا يمنيين، لاينتمون إلى البلد كـ "مواطنين"، يحكمون فقط!، هكذا قيل لهم، وقالوا أيضًا: " إن على السُكّان القابعين في الضفة الأخرى دفع مبالغ مالية من زكاة النفس والخُمس لقاء إيمانهم بالله، الإيمان الذي جاءوا به وقدّموه لليمنيين كسلعة، وخلقوا لأجله الوظائف الفقهية في المساجد ودور الفتوى والقضاء، وهو الإيمان الذي لا يفسره سواهم، ولا يزاحمهم فيه أحد إلا تعرض للتنكيل اللفظي والسخرية والتشويه والقتل.. أحيانًا.

على الزناد تتحفّز أصابع الهاشميين الذين ينشأون في الأرياف، فيشكِّلون الكتلة الصلبة للحركة المسلَّحة،

ويتولـون أعـمال المخـابرات والتعـذيب والإشراف الأمنـي والإغـارة عـلى القبائـل العصـية، ومهاجمـة وتـدمير منـازل المعارضين في المدينة.

يُـوزّع الهاشـميون أدوارهـم بـين محـارب وكاتـب ومُشـكك ومخبر مستفيد، حتى إذا اطمأنّوا إلى إخضاع الدولة بالقوة، عـادوا فأنتجوا حـروبهم الداخلية وألحقـوا اليمنيين معهـم في كـل دم، ومـع كـل رصاصـة تُطلـق أو سـيف يسـتل مـن غمده. أما إذا لاح وجه الهزيمة، فلا وجهٌ يَبقى، ولا لقبٌ يُعرف، ولا جلبابٌ يُقبض، يتخفون ما أمكنهم، يتوسلون بصور الحسين بن علي ويُذكّرون الضحايا بأجر ذوي قربى "النبـوة" ليخشـعوا ويسـامحوا، ويكتـب "زيـد الـوزير" مـن لندن: " إنهم عِرقٌ سامٍ وعلى اليمنيين التعايش معهم وفق ذلـك المعتقـد! لكنه لـيس معتقـدًا، إنـه كهـف أسـود يحـوي الشـياطين والسـحرة والمـردة، تسـمع هسـيس النِصـال في جوفه، فتقهرك العَتمة، وتتراجع!.

المحاولـة الأخيرة لأن يتحولـوا إلى أقليـة عرقيـة هـي النهايـة الأخطـر في الحـرب، تمـنحهم وضـعًا "مُستضـعفًا" في محيط غاضـب لا يسـتطيع الوصـول إلى العدالـة الممنوعـة بـأمر الصليب الأحمر! ولكنهم ليسـوا أقليـة بـالتعريف الإنسـاني

والاجتماعي والفئوي، فتلك حيلة ستمضي من مؤخرة المدافع وتمنحهم وضعًا آخرَ لإدارة حروب قادمة. وفي مقارنة تُظهر البعد الإنساني الحقيقي مع شريحة السود في اليمن تُظهر الأرقام إحصائية مُلونة لقلوب بيضاء تفوق الهاشميين ثلاثة أضعاف، وبمعاناة تكاد ترقى إلى جريمة ضد الإنسانية يمارسها شعبٌ أبيض على جزء ينتمي إليه بسبب لونه، رغم ذلك لا يرون أنفسهم أقلية. ولا يقولون بانتماء آخر سوى أنهم يمنيون، ويمنيون فقط.

لقد تغذى اللاهوت الهاشمي المعاصر المكتوب في ألواح مدينة "قُم" الإيرانية على تسليح التشيع ونشر جيوشه المذهبية على تخوم مناطق الجزيرة العربية، ولم يبق لاكتمال دائرة الثأر لرمزية الحسين بن علي في مواجهة شر "يزيد" المزعوم إلا إسقاط اليمن قولًا وفعلًا، وتحويل شعبها إلى جيش احتياطي خدمة للقلعة الاستعمارية الإيرانية التي تهفو إليها أفئدة بعض الهاشميين من مشرق الأرض ومغربها، حتى موعد الغزو الأكبر للجزيرة، والقبض على "مكة المكرمة"، وتحويل الكعبة المشرفة منبرًا لدراسة تأثير العمامة السوداء على الهاشميين الصُفر، وتحفيزهم للسيطرة على بلدانهم وإسقاط حُكامها بدعاوى مختلفة.

تعمدت أن أطلق على الكتاب وصف القبيلة، وليس المدينة الهاشـمية، لأن مـوروث الهاشـمية في الـيمن - تحديـدًا - يسـتولي عـلى النصرـة القبليـة، ويشـحذ هممهـا بالأهـازيج الشـعبية، ويوازيها ويعقـد تحالفاتـه تحت سـمعها وبصرـها، وقـد تطبّع الهاشـميون بقوتها وأحكامها وأعرافها وداعيها القبلي، لكنهم تجاوزوا القبيلة اليمنية بعدة سمات: أنهم بلا حدود، فالهاشـمي المولـود في إب من عائلة المتوكل - مثلًا - يناصر من يقول إنّه "ابن عمه" في المحويت أو صنعاء أو ذمار بدافع سُلالي، ولما تشكَّلت جماعة ما يسمى "أنصار الله" كـذراع ميليشـاوي مسـلَّح للهاشـمية، انضـمّ إليهـا هواشـم الأريـاف الـذين عاشـوا في كنـف القبيلـة، ومـع توحـدهم السُـلالي تشـكلت القبيلـة الهاشـمية في مواجهـة القبيلة اليمنية، وخسر زعماء القبائل التقليديون كآل الأحمر حـروبهم مع القبيلـة الهاشـمية لأنها قبيلـة عقائديـة مترابطـة مستعدة لمواجهـة المـوت والتضـحية بـأكبر عـدد ممكـن مـن أفرادهـا المغسـولة عقـولهم، ومـع ارتفـاع منسـوب الحنـين الهاشمي لبعضه علنًا، يرق حال أبناء عمومتهم في البلدان الأخـرى، الـذين يبـادلونهم أيضًـا شـعورًا معلنًـا كحـال تنظـيمات حـزب الله، وهواشـم إيـران، وشـيعة العـراق، وغيرهم من المتطرفين و الناعمين على حد سواء، كما يظهر

التأييد على استحياء، أو بحبسه في النفس خيفة وتوجسًا، كحال بعض الأسر الهاشمية التي تركز على تفاصيل معركة اليمن بامتعاض، وتدعو إلى السلام الذي لا يُعيد أسلحة الدولة اليمنية من يد الهاشميين إلى مخازنها. وهو منطق ملتوٍ يؤسس لهاشمية مُسلحة في اليمن وإن في حدها الأدنى.

أخطر ما في القبيلة الهاشمية أنها بلا حدود جغرافية، أو كيان أو اسم، تنظيم تلقائي بالتناسل، أفراده متوزعون على كل الخارطة، يلتقون بعصبية شديدة في كل شيء، يعمدون إلى القسوة كسلوك دائم في نزوعهم إلى العنف، وأشد مرارة في استخدامهم الماهر للسلاح، وجرأتهم على الحرب والصراع دون حساب لجملة التكاليف والتضحيات، وهُم في ذلك ليسوا القبيلة بوجهها المشرق، بأعرافها وشيمها وتقاليدها، وفنونها وكرمها وشجاعتها، بل القبيلة التي يُنزع عنها الضمير فيصبح أفرادها أطلالًا من المسوخ، لا يردعهم قول الناس فيهم،كأنهم لا ينتمون إلى العرب.
ولم أسمّهِ "السلالة الهاشمية" لأنه سيفقد قيمته بمحاكمة سُلالة كاملة فيها البريء والصالح والفاسد والطالح - رغم أني مُصِرـ في هذا الكتاب على ضرورة إنهاء زمني للهاشمية كهوية داخل اليمن- لأن رغبتهم الجامحة في

العنف و الثورة لا تُخفى، فمن يراجع تاريخهم يجد إصابة كل الأجيال المتعاقبة على مستوى العالم الإسلامي بثوراتهم، بدءًا من معارك "صفّين" و "الجمل"، مرورًا بكل العلويين حتى زمننا الحاضر.

- لقد جئت بملء إرادتي لأحكي عن اليمن التي تموت كل قرن مرتين على الأقل منذ اثني عشر قرنًا، أرهق الهاشميون دماء أبنائها في حروب كبيرة، ومعارك صغيرة، ومع نهاية كل خمسين عامًا يظهر جيلٌ لا يعرف حجم الإبادة الكارثية التي تعرض لها أسلافه، ولا معنى البطولة الغراء التي قاوم بها اليمانيون أدعياء الحق والكهنوت والخرافة.

لقد جئت وحيدًا أنتحب على أبواب عاصمتي صنعاء التي اختطفها الهاشميون، آملًا أن يسمعني أحد، أن يقرأني فتى منصتًا لشهادتي فيعقل قولي، وتكسبه اليمن إلى صفها على أن تسلبه الهاشمية روحه ودنياه وآخرته، جئت لا ألوي على شيء إلا تدوين مالم يفعله أجدادنا عن تلك الحروب التي دمّرتهم وأهلكتهم وشرّدتهم، ونزغت بينهم بالفتنة والدماء، وحرمتهم حقهم في شرعهم وشريعتهم وشعائرهم، جئت مؤمنًا أن الله واحد أحد لا إله غيره جل

في علاه، تقدّست أسماؤه سبحانه وتعالى عما يُشركون، وأن محمدًا الطاهر المطهّر نبي العالمين عبد الله ورسوله.

أنا هنا فقط لأدلي بشهادتي عن سنوات المَرّ الآثم، قبل أن يفر الجاني تحت حماية الأمم المتحدة، ويُفرج عنه لعدم كفاية الأدلة، وحتى لا يختفي الشهود، ويجف حبر القاضي، وكيلا تُقيد الجريمة ضد مجهول.

هوامش

- ١ -

اقتنعت دول أوروبا بعد حروب الألف عام بأن على الجميع الإقرار بحق الجميع في الاستقرار والعيش المشترك، ومبدأ سيادة الدول دون الحاجة إلى الغزو والغارات التي تحدث فجأة بين سكان الغرب الأبيض، وأن حاجتهم من الثروة والسلطة يمكن إيجادها في منطقة أخرى يُطلق عليها الشرق الأوسط وأفريقيا، حيث أنهت اتفاقية "ويستفاليا"١٦٤٨م حروب الثلاثين عامًا في الإمبراطورية الرومانية المقدسة- معظم ألمانيا اليوم - وحرب الثمانين عامًا بين إسبانيا ومملكة الأراضي المنخفضة المتحدة - هولندا -، ولم يدر في خلد من وقَّعوا تلك الاتفاقية أنها ستتحول إلى نظام عالمي جديد يفرض مبدأ سيادة الدول، واعتراف الآخر بحق جاره في بناء دولته

الوطنية المستقلة بعيدًا عن مطامع فائض القوة التي كانت سببًا في نشوء المقاومة المضادة.

في العالم العربي لم يكن أحدٌ قد سمع بهذه المعاهدة، وكانت معظم الأراضي العربية الخاضعة للسلطان العثماني تستعيد شيئًا من خصوصيتها الدينية وهويتها القومية بعد تجريف عنيف في مسمياتها بسبب الحملات البيزنطية، فقد أُطلق على مصر وصف الإمبراطورية البيزنطية، وسوريا كانت إمارة إبيروس البيزنطية، والعراق وُصِفَ بـ "دوقية الأرخبيل"، والحجاز بإمارة قرمان، وتونس خرجت من مسمى إمارة الصرب إلى أن أصبحت تونس الفرنسية، والجزائر كذلك أُطلق عليها الدولة المملوكية ثم صارت الجزائر الفرنسية.

ومع اندلاع حروب الهاشميين من الجزيرة العربية على السلطنة العثمانية بدعم مباشر من البريطانيين، في مقابل تولية عائلة الشريف حسين ملوكًا على العرب، وتقديمهم فلسطين هدية لشعب اليهود المسكين - كالذي تكشفه رسائل فيصل بن حسين علي الهاشمي مع مكماهون في ١٩١٩م كان الإمام يحيى حميد الدين قد استطاع انتزاع حُكم محلي واعتراف عثماني بولايته على اليمن قبل رسائل فيصل - مكماهون بعام واحد فقط، مقابل السماح بتهجير

العائلات اليهودية من اليمن – تهجيرًا قسريًا. وكان زعماء التيارات المسلَّحة، وشيوخ القبائل، والهاشميون يتسابقون على فرض خرائط المئة عام المقبلة، وقد حددت معاهدة سايكس – بيكو بعد استسلام العثمانيين وانسحابهم خارطة جديدة لم تتعرض للتغير الجذري إلا في بعض حالات النزاع الحدودي البسيطة.

الوحيدون الذي وقعوا في الفخ هم الأكراد كقومية انقسمت على حدود أربع دول، والهاشميون كعنصر اعتمد على إرثه التاريخي وسمعته الدينية في لحظة زمنية لم يعد ممكنًا أن يؤدي النسب إلى إبهار العالم الذي أنشأ عصبة الأمم للتحكم في إبقاء الوضع الجغرافي على ما هو عليه حتى يقرر العالم طوعًا تحديث هذا النظام العالمي، وإضفاء أبعاد إنسانية عليه تسمح الانتقال واللجوء، وذلك ما فسّره خطاب الرئيس الفرنسي- إيمانويل ماكرون من منبر الأمم المتحدة في سبتمبر ٢٠١٨م، في مقابل خطاب صارم من الرئيس الأمريكى دونالد ترامب أصر فيه على مبدأ سيادة الدول الكاملة، والتعامل مع الهجرات الإنسانية وفق معالجات تضمن إخماد الحرائق في مناطق النزاع ذاتها.

القوميون العرب من منتصف أربعينيات القرن الماضي حتى الستينيات اكتشفوا أن معاهدة سايكس بيكو مؤامرة

"إمبريالية"، وأن عليهم محاربة النظام العالمي الجديد كما فعل هتلر، ثم خسروا معه، واستطاع الكيان الصهيوني التمدد بأريحية في عمق الوطن الفلسطيني مُحدثًا حالة نزوح قسرية لمئات الآلاف من العائلات العربية. بعد تلك الهزيمة التي كان الإعلام العربي يلونها بمساحيق تجميل لإظهارها على نحو مغاير، وفي ظل الإصرار العربي على إنكار الهزيمة عُقدت الاتفاقية الصهيونية - العربية للمرة الأولى، واتخذ العرب قرارًا جديدًا بطرد مصر.من عضوية الجامعة العربية عقابًا على فعلتها التي كانت تعبيرًا جريئًا وعلنيًا عن حالة الغزل غير العفيف بين أنظمة عربية أخرى كانت تعمل في الخفاء مع الكيان الصهيوني، لكنها لم تملك الجرأة على إعلان العلاقة أمام الرأي العام المفتون بأمجاد الخلافة الإسلامية والوحدة العربية المستحيلة.

إن الوحدة الأوروبية اليوم _التي كانت نتيجة تطورات لاحقة لمعاهدة ويستفاليا_ هي وحدة اقتصادية في المقام الأول، وما لم يُحقق العرب نظامًا اقتصاديًا متماسكًا يحقق مصلحة الشعوب العربية أولًا، ويخلق ملايين الوظائف للشباب العربي، ويحفزهم على الابتكار والإبداع، ويرفع مستوى دخل الفرد والمجتمع، فلن يكون لشعارات الوحدة العربية أي تأثير حقيقي على الأرض، فالممكن حقًا

هو التغلب على الأزمات الاقتصادية التي تعصف ببعض البلدان العربية قبل الحديث عن شعارات قومية تجاوزها العالم ووضعت العرب في مواجهة السخرية المكبوتة.

- ٢ -

القبيلة الهاشمية في زمن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تتشكل بفلسفة شيعية ثورية عميقة الأثر والمحتوى، تعيد إنتاج نفسها متناغمة مع هجرتها الأولى من مروج طبرستان، لتُوظّف القبيلة اليمنية في إطارها، وتُنبت لها مخالب الذئاب، وتجرح من تراهم أعداء إيران التاريخيين من الممالك والإمارات العربية المتبقية في شبه الجزيرة العربية. فيما تعيش القبيلة اليمنية حصارًا جائرًا تردده الأصوات التي تُحمّلهم وحدهم مسؤلية التمدد الحوثي، وتسليمه العاصمة صنعاء، وتغذيته بالمقاتلين، وهذه نظرية لا ترى أبعد من أرنبة أنفها، فتمكين الهاشمية الإيرانية في اليمن، خصوصا مناطق شمال الشمال، واتهامهم غير المسئول بالاستسلام المطلق للحوثية، سيجعل التمرد قوة صلبة يستحيل اختراقها، ولن يتمكن اليمنيون المقاومون من إعادة صنعاء إلى هويتها واستحضارها كأول حضارة

في التـاريخ الإنسـاني. وقـد يتطلـب ذلـك جيشًـا مـن المحترفين، ومعركـة طويلة الأمـد لا يكـون للأمـم المتحـدة رأي فيهـا، لأن الحـرب دون القبيلـة تعنـي هزيمـة كثافـة سـكانية متماهيـة - بعنـاد فوضـوي - في صـفوف الهاشـمية كـرد فعـل عـلى غوايـة إقصـائهم ولعـنهم وشـتمهم في كـل المنصات، بما يلوّن ثقافتهم الدينية وهويتهم الوطنية بمزاج هاشـمي لا يـرى في موالاتـه لـولي إيـران الفقيـه أي خطـر أو انتقاص من بطولته كيمني اخترق العالم بسيفه ورمحه حتى أنشأ أعتى الإمبراطوريات، بينما يكاد يؤمن بأن الخطر على اليمن هو ذاك الآتي من عمقها العربي!

وهـذه حصيلة دعايات مُكثفة شـوّهت السعودية ومختلف إمـارات الخليج في الذهنيـة العامـة اليمنيـة عـلى مـدى عقـود ماضـية، وجعلـت مـن كـل شيء أعجمـي رمـزًا حضـاريًا وشـاهدًا أدبيًـا، فتتأصـل معـالم الانفصـال للإنسـان اليمنـي كفرد ومجتمع عن رموزه وحضارته وهويته وعمقه العربي، وهـو الانفصـال الـذي تَعقُبه عـلى الـدوام الغـارة القادمـة مـن الشرق الفارسي، سواء كانوا مغولًا أو تركًا أو فرسًا.

إن اسـتمرار تهجـير القبيلـة اليمنيـة عـن حقهـا الـوطني كمقاومة، ورفض قبولها في المعركة العربية وتحذير العرب

منها، واتهامها بأنها رمز النهب والفيد، ووصفها بالهضبة المتخلفة، ومقاومة لسيادة القانون، وحاضنة للجماعات الإرهابية، يُهدي الهاشمية سبع محافظات يمنية على الأقل، تمثل في عمقها التاريخي وتعدادها السكاني الكتلة الأكبر، والأكثر تسلُّحًا، وقلة في التحصيل العلمي والتنوع الثقافي. و هو ما أبهج حسن نصر الله، أمين عام حزب الله في لبنان، الذي تحدث عن وعد عبدالملك بدر الدين بإرسال مائة ألف مقاتل يمني لحماية إيران من التدخل الأميركن الذي أعلنه الرئيس ترامب في وقت سابق من عام ٢٠١٧م ثم تراجع عنه. وفي ذلك التصريح الذي لم يثر اهتمام المتابعين للشأن اليمني - الخليجي تكمن خطورة القبيلة الهاشمية التي باتت تملك كل الأسباب والوسائل لابتلاع القبيلة اليمنية وإنباتها من جديد بشكل جديد، وهوية جديدة، وبطاقة شخصية كُتب عليها هنا صنعاء التي تُغني لفيروز "الديلمي" وفي يدها حجارة وبأحشائها زُرعت الألغام، وبين جبالها اختبأت الصواريخ التي تُطِلق حممها نحو العرب.



لكي لا يعود الجزار

قبل ألف ومائتي عام اقتحم اليمن رجلٌ من طبرستان اسمه "إبراهيم موسى" وقد اشتهر بلقب الجزار، كان تائهًا على بغلة شهباء تجره في صحراء الربع الخالي، باحثًا عن الدم، متعطشًا الفتنة والتمرد، وقد كانت تقليعة تلك الأيام الضائعة أن من أضاع نسبه اخترع نسبًا يوصله إلى "علي بن أبي طالب!

وصل "الجزار" إلى حدود اليمن القديم، مارس الكهانة ولوى أعناق أتباعه بهوية "إيمانية"، فجاءه المريدون والعصاة والمجرمون المطلوبون لشرطة الدولة العباسية آنذاك، وانضموا إليه لتحقيق لاستعادة مُلك ضائع يجعلهم المشرفين والحُكام على بقية الأمصار والقرى في اليمن الحزين، فيأخذون خراجها ويغيرون على قبائلها لإخضاع اليمنيين بالقوة لـ "ولاية" قاتل بلا هوية، ومع

هزيمته وهروبه، وصل النبأ الصاعق: لقد تم تعيينه واليًا شرعيًا على اليمن بأمر الخليفة العباسي "المأمون"!.

إنها الحيلة القديمة ما زالت تتكرر إلى اليوم، ضعف الحاكم واهتزازه وجهله بالتاريخ والدين والحقوق الجماعية للأمة أطمع العلويين الذين حصروا - في وقت لاحق - الهاشمية فيهم أن ينقضوا على العرش، فإن لم يجدوها سانحة عاشوا في بطانة الحاكم ضخم المسؤولية والمساحة. ومثلهم لا يقوى على العيش خارج أسوار القصور. ذلك يُقربهم من موقع القرار ويواسي وظيفتهم كـ "حُكّام احتياطيين" يُنفّذون من البلاط سلسلة تحالفاتهم وصفقاتهم وتفاهماتهم السرية مع أركان الدولة، حتى يكونوا البدلاء الإفتراضيين لأي سقوط لخليفتهم المفدًى، وعندما يطول الأمد ويتمدد الانتظار عقودًا وعهودًا، ويتسلل اليأس من افتراس الخلافة إلى قلوبهم..فتحوا أسوار "العاصمة" للمغول!

* * *

بالقرب من دوحة غناء في بلاط الخليفة المأمون، حيث يقع قصر الحُكم على ربوة خضراء في ضواحي بغداد، كان "علي موسى" الشهير بـ "الرضا"، وهو شقيق "جزار اليمن"، يُجرد الخليفة من عباسيته قطعة قطعة، اقترب منه، أغواه، أقنعه بالتخلي عن ردائه العباسي الأسود، وارتداء القماشة

الحسينية الخضراء!، لما للرداء من خصوصية وهوية، حدّثه عن الحسين بن علي حتى اخضلّت لحيته، حكى له عن الجنّة التي تنتظره إن ترك سلطته للعلويين أحفاد علي بن أبي طالب!، كان ساحرًا، مُقنعًا، والمأمون حاكمًا لم يقرأ كتابًا في حياته، فطريق المعرفة يمر من أذنيه، يريد أن يسمع لا أن يقرأ. كسل الحاكم عن اكتساب المعرفة يودي بحكمه إلى البقاء أسيرًا في أيدي بطانته، تسيّره كيف تشاء، لم يراوده "الرضا" عن كرسيه في حذق علوي ماهر، أغرقه بالسحر حتى لم يجد مخرجًا إلا أن يقترح بنفسه على كاهنه بولاية العهد ليرضى عنه النبي ﷺ!، ويُسلِّم الخلافة "المغتصبة" إلى أهلها!، كانت تلك سابقة في فكرة الدولة العباسية التي قاتلت تمرد العلويين بشراسة، ونالت شرعيتها من دم الأمويين، ولاحقتهم وكادت تفنيهم، إلا أن سحر "علي موسى الرضا" دخل في عظم المأمون وأقنعه بالتخلي عن سلاحه وهويته العباسية، وحوّل أخيه المتمرد على الخلافة في اليمن إلى حاكم بأمر العباسيين!، حتى إذا ارتدّ المأمون عن مرسومه بجعل ولاية العهد في العلويين أقبل عليه شقيقه "ابراهيم الجزار" بجيش غاضب من اليمن يقتلع عباسيته وخلافته، ويُرسي الأمر للعلويين في خلافة واسعة

النطاق والنفوذ على امتداد العالم الإسلامي، إنه الحلم الذي لم يتحقق حتى اليوم.

أفاق المأمون بعد أن عزلَهُ من السلطة أقاربه الذين هرعوا لتعيين عمّه في مكانه، وتسميم علي الرضا، فعاد إلى بغداد عباسيًا جديدًا، وقد أدرك اللعبة الشهيرة التي أتقن العلويون تجسيرها وما يزالون حتى اللحظة.

بقي الحلم العلوي في الحكم معلّقًا في أرحام النسوة، وأذانًا يلقنه الهاشميون لمواليدهم قبل تكبيرة التوحيد، فتناسلوه وتناقلوه ودخلت الدول الإسلامية في حكم عباسي صوري باسم المماليك، وبدأت الخارطة الكبيرة فى التداعي بفعل قضمات العلويين والفاطميين. وكانت اليمن التي أسلمت دولتها إلى مركزية "قريش" بعد الإسلام تصارع لاستعادة حدودها بعد انهيار الخلافة العباسية، في ذلك الزمن الرديء ظهر خميني الأول: يحيى حسين قاسم طباطبا مُعرّفًا نفسه بـ "الهادي إلى الحق"! ومشرعًا في تشكيل حُكم قائم على السيف والردع والتدمير لمن يُنكر "هادويته" في مجتمع تم تصنيفه "كافرًا" بلغة الرجل الأكثر دموية في التاريخ الإنساني القديم.

خلطة المذهب الانتحاري التي تذوّقها اليمنيون لأول مرة في تاريخهم رفعت منسوب الفتنة والصراع إلى ذروته، حين

شعر "طباطبا" القادم من مجاهل التاريخ أن هذه البقعة الجغرافية المتحمسة للقتال قد تكون ذخيرته البشرية التي يحركها باتجاه الشمال لانتزاع الأراضي المقدسة في الحجاز وضمّها إليه بالقوة، وإخلائها من سلطة العباسيين المتهاوية. كانت أحلامه تتبخر عقب ظهور المقاومة الفطرية الشرسة، فدين الهادي الجديد لم يكن دين الإسلام على أية حال، ذلك ما أدركه اليمانيون في حميريتهم الإنسانية، وفي تلمّسهم الدائم لمبادئ الكتاب المقدس الذي ظلت معاييره "الرحمانية" معروضة على أية رسالة إلهية تصلهم عبر الرسل الحقيقيين فيتّبعونهم امتثالا لعبودية الله تعالى.

عرف يحيى الرسي أو يحيى طباطبا أنه ضعيف أمام القبيلة اليمنية المؤمنة، فعاد إلى ابن عمه "محمد بن الحسن الطباطبائي" صاحب طبرستان وحاكم منطقة يقال لها "بحر الخزر"، فأغار على اليمن في ٢٨٤هجرية بستة آلاف محارب طبري، وسانده في حربه من الداخل بقايا الفرس في صنعاء الذين جلبتهم الدولة الفارسية لنصرة سيف بن ذي يزن، وتوالى المدد إليه حتى وصل في ٢٩٢هجرية إلى خمسة عشر ألف محارب طبري، انتسبوا بعد دخول صنعاء إلى الهاشمية مكافأة من الهادي!

أضاف الغازي الجديد مذهبه على أقوال زيد بن علي المنتشرة في أسواق الورّاقين فدمغه بتفاصيله وشروحه وفقهه العجيب، حيث أرسى مبدأ حيويًا سمعه في جبال طبرستان ولا تقوم الهادوية الزيدية إلا به وهو "ولاية البطنين" كعقيدة لا يتم الإسلام إلا بها !.

لجأ إلى الشعوذة والكهنوت والمال، واستخدم ببراعة التناقضات الفقهية بين مذاهب المسلمين التي ما زالت تفور مسائلها على تنور الخلافات والصراعات، مُلقية بخيبتها على الحكم المركزي في بغداد، فلم يخبُ أوارها في لحظة إلا باستعمال العنف المفرط، و كانت تلك إحدى أدوات الخلفاء الذين طربوا لسماع أصوات اليمنيين المفجوعة من التنكيل والقتل. وقد تعلق الرأي العام الإسلامي حتى ١٩٢١م بظنون عدم جواز الخلافة في رجل ليس من قريش!

إنّ استعادة الهوية اليمنية ومجدها الإنساني سيُلغي المفاهيم التشطيرية بين شمال وجنوب، ويمن أعلى و يمن أسفل، وزيود وشوافع، لا شيء من ذلك سوى أننا نعيش في بلد واحد له حضارة عظيمة، يجب أن ننتسب إليها بحكم جنسية الإقامة داخل حدوده الجغرافية، وسيصبح العبور خارج هذه الهوية احتيالًا مُلغمًا، انفجر في الماضي، وتفجّر

اليـوم وهـو مسـتعد للانفجـار في أيـة لحظـة طائشـة يحملهـا المستقبل في وجـوه أحفادنـا الأبريـاء. فيعـود الجـزار ليـذبح أطفالنا مرة اخرى ويُخرجهم بعيدًا عن موطن أسلافهم.

هوامش

- ١ -

عقب نجاح حركة الخامس من نوفمبر ١٩٦٧م في اليمن التي أطاحت بالزعيم عبدالله السلال بمباركة ضمنية من القوات المصرية حينذاك، ظهرت ملامح ثورة ثقافية طاغية تحدثت لأول مرة عن قضية الرداء الوطني المفترض لبسه من الناس عامة، حيث أدى ظهور خليفة السلال، وهو القاضي عبدالرحمن الإرياني برداء يشبه رداء محمد البدر آخر أئمة اليمن الشمالي إلى إشكالية عميقة في مفهوم الرداء كهوية ثقافية وسياسية للنظام الجمهوري الجديد، الذي حضّ في أحد أهدافه على: إزالة الفوارق الطبقية والامتيازات بين فئات المجتمع، وقد مثّل رداء الإرياني استنطاقًا لعمامة الأئمة وبقية أرديتهم، وأثرًا

مكروهًا لطريقة لباس يُذكّر الناس بالعهد القديم، وبكل أفعال حُكامه العنيفة بحق اليمنيين.

لم يستجب الإرياني لأصوات المعارضين على ردائه، ومضى حاضرًا في مختلف المناسبات الرسمية محليًا وخارجيًا بذلك الرداء الذي عبّر عن اعتزازه به، وبكونه جزءًا من شخصية طبقة القضاة في المجتمع الذي ينتمي إليهم.

بعد سبع سنوات من الهزيمة المنكرة لتيار الرداء الوطني، جاء المقدم إبراهيم الحمدي بلباس متنوع، كالبدلة العسكرية، والبدلات الأوروبية، وأردية الاشتراكية "سفاري" التي اشتهر بها مع نظيره الرئيس اليمني الجنوبي الراحل سالم ربيع علي. ولم يبدُ أن أحدًا تحمس لفكرة الرداء واعتباره جزءًا من الشخصية اليمنية عدا شخصاً واحداً هو الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر - شيخ حاشد - الذي استعان بالمصمم اليمني عبدالملك الطيب لتحديث لباسه الرسمي حتى صار جزءًا من نمط الشيخ الأحمر وشخصيته مُعبرًا في أكثر الصور عن الرداء اليمني وخصوصيته.

في ١٩٨٤م أعلن الرئيس علي عبدالله صالح تشكيل لجنة برئاسة نائبه القاضي عبدالكريم العرشي لدراسة إنشاء رداء يمني موحد، إلا أن اللجنة لم تتفق على شيء وانتهت

مهمتها كما بدأت. وقد أثار ذلك القرار الغريب في اختيار شخصيات سياسية لتصميم رداء يمني قدرًا عاليًا من السخرية، فلو كان الأمر جادًا لاستعان الرئيس بمصممين عرب وأجانب لاستلهام الرداء الحضاري اليمني وعصرنته في قالب كلاسيكي لافت يعتمد على الجمال والأناقة وسهولة التنظيف وبساطة الحياكة، جامعًا بين جمال المنظر وعراقة التراث.

لقد مثلت الخصوصية الهاشمية في الرداء حساسية عالية لدى خصومهم السياسيين منذ الدولة الأموية، حيث تنوعت أشكالها بين القفطان الأخضر، ثم الأسود والعمامة الخضراء والسوداء، وفي اليمن نقل الهاشميون رداء القضاء الفاطمي، مع بعض التعديلات في الألوان والتشكيلات، والاستيلاء على شكل الخنجر اليمني المعقوف ليصبح زيّاً حصريًا لهم يميزهم عن بقية اليمنيين، وقد كان في الأصل شكلًا من خصوصية يمنية بحتة يرتديها أشراف حمير، مثلما أن كوفية الخيزران اختراع يمني خالص تحاكي في شكلها وارتفاعها إلى الأعلى شكل تيجان الملوك التبابعة المصنوعة من الذهب الخالص.

- مثلت خسارة اليمنيين لمفهوم الهوية في الألبسة _ من حيث عناصرها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية

والسياسية والحضارية_ سجلًا إضافيًا آخر لتعدد الخسائر على مختلف الصُعد في مرحلة اغتراب حقيقي عن كل ما يرتبط بهم، وما يُعبّر عنهم أمام مجتمعات وشعوب العالم.

- ٢ -

لليمنيين مبادئ مدهشة في اتصالهم التوحيدي بالله تعالى منذ إطلالة هود عليه السلام لأيامه الأولى في النبوة العظيمة، فقد ألقى في سمع وقلب نجله قحطان الذي صار أول ملك يتوّج على وجه الأرض وإليه ينتسب اليمنيون جميعًا بالمبادئ الرحمانية، وتشهد نصوص المسند أن اليمنيين القدامى كانوا مؤمنين بالله سبحانه وتعالى، وله أسماؤه كـ "ذي سموي"، و "الإله رحمن"، وأنهم عرفوا بعض أسمائه الحسنى مثل سميع وعليم، وحكيم / حوكم، ولعزز/العزيز و حكمن/ الحكم و رحمن / الرحمان.
هذه المبادئ الموصوفة بالرحمانية كانت أشبه بالمعايير لاختبار حقيقة النبي الذي يعرض رسالته عليهم، فإذا وافق تلك المعايير اعترفوا له بالرسالة واتبعوه، وإذا خالفها أدركوا أنهم أمام مدّعٍ ضال، وقد ظلت الرسائل المتبادلة بين اليمنيين والنبي محمد ﷺ مستمرة لفترة من

الـزمن، بـما في ذلـك الوفـود المبعوثـة إليـه لنقـاش تفاصـيل الدين الإسلامي الحنيف، حيث أنزلهم النبي صلوات الله عليه منزلتهم وأكرمهم وامتدح إيمانهم وبُعدهم عن الوثنية والشرك.

- ٣ -

لما اشتدت على فيصل نجل حسين بن علي "شريف مكـة" مظـاهر الاحتجاجـات الشـعبية في سـوريا صرخ في وجوه معاتبيه قائلًا: "لقد دخلت البلاد فاتحًا ولن أخرج منها إلا بالقوة. فإذا كانت لديكم القوة الكافية لإخراجي افعلوا ذلك، ودمي ودماؤكم في الشارع "
وقد بـرزت في تلـك الآونـة وثـائق وشـهادات مهمـة، فبينما كـان فيصـل وحاشـيته يبـذلون جهـودهم لوقـف النـزف في الشـارع السـوري والحفـاظ عـلى علاقـتهم مـع الفرنسـيين والجماهـير الغاضـبة، وصـلت إليـه برقيـة مـن اللـورد كـرزن تطلب منه الوصول إلى لندن للاتفاق على تنصيبه ملكًا على العراق.
يـروي عـلي البـاز روايـة أخـرى مفادهـا أنـه كـان في ضـيافة حسين بن علي في مكة عام ١٩٢١ عندما وصلته برقية من

بعض رؤساء العراق يطلبون منه ابنه فيصل ليكون ملكًا عليهم، فقال الحسين بتلك النبرة الهاشمية التي وصفها الصحافي المصري "محمد حسنين هيكل" في كتابه "العقد النفسية التي تحكم الشرق الأوسط" بـ ""عُقدة الاضطهاد": "ولكني أخشى أن يعامل أهل العراق فيصلًا كما عاملوا جدّه الحسين من قبل!" ولما أقنعه الباز بخلاف ذلك، ضرب حسين بن علي كفًا بكف وصاح في حاشيته: "يا عيال نادوا على فيصل" !.

الهاشمية كدِين

اخترعت الهاشمية كل شيء داخل الإسلام: الولاية، المذاهب، الطبقية، الثورة، التشيّع، الوصاية، العرقية، الفلسفة الثورية، الإمامة.

حتى السُنّة،كتب الأعاجم الذين صاهرهم الحسين بن علي كثيرًا من نصوصها، وفقد العرب وقتذاك زمام المبادرة الفكرية والثقافية ومنهج علم الكلام!

وخلال قرون تحوّلت الكتابات التراثية القديمة إلى نصوص دينية مقدسة، فصار نصيب الهاشمية منها الكثير، وقد برعوا في تأليف التاريخ، وتدوين القصص التي تُمجّدهم في المستقبل، ليقبضوا من وراء سطورها على رقاب المسلمين بالقداسة الدينية.

قليلون قاوموا التاريخ الهاشمي على الصعيد الديني كابن حنبل وابن تيمية، وفي العصور المتقدمة كان أبو الحسن

الهمـداني، ونشـوان الحمـيري، ثـم الشـوكاني، ومحمـد بـن عبـدالوهاب، والجـابري، وفـرج فـوده، وطـه حسـين، وغيرهم، إلا أن أمثالهم تعرضوا للتشنيع، إن لم يكن على أيـدي الهاشـميين فعـلى أيـدي نظـرائهم في الجماعـات الإسلاموية الأصولية المختلفة.

بـدأت الحكايـة في اجـتماع "السـقيفة" المفـاجئ وإقـرار المجتمعـين انتخـاب أبـوبكر الصـديق خليفـة لرسـول الله ﷺ الذي لم يمض على وفاته سوى ساعات قليلة، ما أدى إلى إيقاف استكمال البيعة لـ "سعد بن عبادة" واستبعاد علي بن أبي طالب من قائمة المرشحين الأربعة "ابو بكر وعمر وعبيدة وبن عبادة" لتواجده خارج موقع المفاوضات، ثم دعوته أنصاره لبيعة أخرى في "حجر الزيت" لكنها لم تلق استجابة مماثلة تُمكّنه من تعطيل بيعة أبي بكر بما يفرض جولة "انتخاب" جديدة قد تنتهي لصالحه، وما تلى ذلك من رحيل الخلافة إلى "عُمر بن الخطاب"، ثم إلى "عُثمان بن عفان" بصوت ذهبي رجّحه عبدالرحمن بن عوف، حتى أقبلت أحداث الربيع العربي الأول تُطل بقرنيها وتحشد لتظاهرة "سلمية" لإسقاط عثمان انتهت بمقتله وتولية علي بن أبي طالب إمارة المؤمنين، لكن القتال اندلع حارًا بدم

تجـاوز أرقامًـا فلكيـة لإثبـات شرعيـة الخليفـة الجديـد في مواجهـة جيش معاويـة بـن أبي سـفيان الغاضـب مـن عـدم القصـاص لعثمان وتقـديم المجرمين إلى العدالـة، وبتعـرض "علي" للاغتيال ثـارت موجة التعـاطف التي نقلت الحُكـم لنجله البكر "حسن" فدفعها بدوره بعد أشهر إلى "معاوية" لقـاء اتفـاق سـلام يحقـن دمـاء المسـلمين، ولأن كـل شيء لا يبقـى عـلى حالـه، قضى معاويـة عـلى النظـام القـديم، فـدعى لحُكـم نجلـه يزيـد، مما دفـع الحسـين بـن عـلي إلى استشـعار المنافسـة، ورفضـه آليـة توريـث عائليـة تُلغـي مفهـوم الانتخـاب وتجعـل انتقـال الحُكـم ملكيًـا بالوراثـة، ولكنـه لم يُقـدّم نظريـة أخـرى وأجـاب معاويـة بقولـه: " أنـا خـيرٌ منـه وأبي خيرٌ من أبيه وأمي خيرٌ من أمه وجدّي خيرٌ من جدّه"، ثم خرج إلى كربلاء وهناك قضى بسيوف الخليفة الجديد ما أثـار التعـاطف الثـاني بصـورته الأشـمل متجـاوزًا المكـان والزمـان، وهـو تعـاطف كرّسـه الـوعي الهاشـمي لإدانـة أي نظام لا يمنح الهاشميين فرصتهم في السُلطة!.

بـدأت موجـة التعـاطف الإنسـاني الآسر لمقتـل الحسـين بـن علي كوسيلة لاستحضـار موجة عنـف مضادة اختلف فيها فريقان بين معاتب لموقف الحسين، ومتطرف في لعن يزيد

بـن معاويـة، وقـد أثـارت تلـك المظلوميـة حالـة مـن العقـد النفسية للهاشميين الذين أرادوا الانتقام من روح وصفوها بالظلم والطغيان، فتحولت المظلومية إلى أداة عنيفة للظلم والقمـع والإرهـاب، وبـدأ الهاشـميون في اسـتغلال الـدم الحُسيني بقبول محمد ابن علي بن أبي طالب تحركات المختار الثقفـي الانتقاميـة تحت رايـة "يالثارات الحسين" وملاحقة كـل قتلـة السـبط الشـهيد وإعـدامهم وحـرق بعضـهم أمـام العامة. شكّلت موجة الإعدامات الوحشية حالـة إرهـاب استغلها الطامحون للسلطة برفع قميص الحسين، حتى إن المختـار الثقفـي الـذي تنبـأ بـه رسـول اللهﷺ ووصـفه بـ"سفيه بنـي ثقيـف" اعـترض عـلى المطـالبين بوقـف حملتـه الثأريـة قـائلًا: أعيـدوا لي الحسـين حيًـا!، وسرعـان مـا خسر المختـار أمـام جيش مصـعب بـن الـزبير- صـهر الحسـين - وانتهت بمقتله أحلام أول حُكم "متشيع" للعائلة العلوية الأولى، لـيس عـلى يـد الأمـويين هـذه المـرة بـل بأيـدي الزبيريين.

في ظل هذه الفوضى الثأرية تظهر صور جديدة من المناطق الفارسية تنتسب إلى الحسين، وتدعو غير مرة إلى الثورة على النظـام الأمـوي، ثـم العبـاسي، ويتكـاثر الهاشـميون عـلى

هيئات مُلونة: أشقر من الشام، وأسود من السودان، وقمحيّ من اليمن، وأبيض من طبرستان، وأفطس من الصين، ،وأزرق من خراسان! كلهم هاشميون!،وفي جلابيبهم تسكن مخطوطات من رق الغزال تشرح اتصالهم بنسب علي بن أبي طالب!

شرعت أنظمة التوريث الهاشمية في الترويج لشرعيتها باسم الحسين والأسباط والعائلة، ومساهمة منها في إثارة الحُزن، وتقديم مظلومية منسوبيها على الدوام، تقفز فكرة أكثر خطورة ودفعًا لأعمال الرفض والعنف، تحصر الحُكم في سُلالة البطنين "الحسن والحسين"!
وكنوع من التأييد الفقهي، جعل الشيعة الجعفريون ولاية البطنين في أئمتمهم ركيزة الإسلام قبل تلاوة الشهادتين، وزاد عليهم "يحيى حسين قاسم طباطبا" أن جعل الحُكم مُشاعًا بين الهاشميين القادرين على الولاية وحدد لهم أربعة عشر شرطًا ، فعل ذلك منذ أول يوم أخضع فيه اليمنيين بحرب مُدمرة قادها بمساندة جيش من الطباطبائيين الفرس، مستدعيًا دم زيد بن علي والحسين وكل الهاشميين الذين لقوا حتفهم لأسباب تتعلق بالثورة على الأمويين والعباسيين.

تـدخلت السياسـة وامتزجـت الأطـماع وتكـاثر الهاشـميون بفزع أثار التساؤلات حول انتمائهم العرقي الحقيقـي، وفي كل موقعة تبرز الهاشمية كنظام حُكم لا يرى حقًا لمخلوق في الرئاسة أو المُلك دونهم، ذلك سيجعل "الحسين" مبتسمًا في فردوسه وفي عينيه دمعة فرح بنيل أحفاده ما حُرم منه بالسيف والدم.

في غـرة عـام ١٩٧٩م ظهـر آيـة الله موسـوي خمينـي بعمامتـه السـوداء في مطـار طهـران قادمًـا مـن بـاريس، كانـت تلـك بداية دورة جديـدة للهاشـميين المتطلعـين إلى السـلطة، وقـد تعهـد خمينـي بتصـدير ثورتـه إلى العـالم الإسـلامي، وذلـك يعني أنه متحمس لدعم القيادات الهاشمية في العالم العربي على وجـه التحديـد، مقابـل إعلانهـم الـولاء لولايتـه الدينيـة الاستعمارية كنائب للمهدي المنتظر!

صـارت للهاشـميين دولـة ثريـة تنـام عـلى بحـر هائـل مـن الـنفط، ومخـزون بشرـي ضـخم مـن الشـيعة المُسـتفزين والمتطلعـين إلى سـيادة كاملـة عـلى المنطقـة، وهنـا تناقضـت هاشمية الملك الأردني الذي توزع أجداده على رأس بعض الدول العربية والحجاز قبل انحسارهم إلى نهر الأردن، مع

تطلعات الهاشمي الإيراني "خميني" الذي أعلن استعداده دفع فاتورة "الثورة" على الحُكام العرب، وبلوغ "مكة"، لولا أنه واجه صدام حسين في حرب الثمان سنوات المريرة، حتى وافاه أجله، فصعد هاشمي آخر على سدة الولاية في طهران اسمه علي خامنئي سائرًا على نهج سلفه المؤسس، واستمر دعم طهران للميليشيا الهاشمية في لبنان واليمن، حتى صار حسن نصر.الله الحاكم بأمره في لبنان، وسقطت عاصمة اليمن في يد هاشمي آخر يدعى عبدالملك بدرالدين وهو النسخة المقلدة لأمين عام حزب الله اللبناني الذي قبض انتصارًا زائفًا أهداه الكيان الصهيوني بانسحابهم من مزارع شبعا اللبنانية أواخر عام ٢٠٠٦م.

الباعث الديني للهاشمية مصدر إلهام في حشد الأنصار الذين يُعاد إنتاجهم ليصبحوا "شيعة" بالمفهوم الشيعي الصرف، أو سُنّة تمتلئ كتبهم بنصوص تحصُر الحُكم في قريش وحدها - رغم تعطيل تلك النصوص حاليًا - إلا ان المكانة الدينية لهم ما تزال حافلة بالتوقير في نفوس المسلمين العاديين، ومنهم أولئك الفتية المَندفعين إلى سلوك طائش ومُدمر على بلدانهم، ولا يدركون إلا متأخرين أنهم قاتلوا شعوبهم، وسحبوا من رصيد

أوطـانهم، وتقـدمهم الكثـير خدمـة لتـأثيرات السـحرة والمشعوذين الانتهازيين.

حصدت الهاشمية جائزة اسمها "صنعاء" في عملية تضليل واسعة لم يسمع بمثلها اليمنيون في تاريخهم، بدأت من الكهف في ٢٠٠٤م، واستقرت في جوف عاصمة اليمن بنهايات العام ٢٠١٤م حاكمة على رأسها وسلطتها، أربع سنوات فقط بعد انقضاء آخر حرب أدارتها السلطة عليها في ٢٠١٠م، حتى أصبح عبدالملك بدرالدين قائدًا لثورة هاشمية دينية تُنشر ـ صُورهُ على أغلفة الصفحات الرسمية للنظام الجمهوري!

كان ذلك انقلابًا رهيبًا أداره الهاشميون من داخل المؤسسات العسكرية والإدارية والإعلامية بحسم أدى إلى تطبيع كل المسارات الدعائية لصالح إمام جديد يرتدي ملابس اليمنيين، ويتحدث مثلهم، ويُطعّم عباراته بمفردات الكفاح المسلّح، والنضال الوطني على الفساد، حتى إنه استنهض بتلك الأفكار البالية دُعاة اليسار الثوري، لما للحركات الجماهيرية من تبادلية تستثير المصابين بفيروس الثورية من أقصى ـ الأرض إلى أقصاها، غير أن ثورة عبدالملك بدرالدين كانت شيئًا غائبًا عن

الثورية الجيفارية الشهيرة، لقد كانت ثورة باطنية اهتزت لها أفئدة الهاشميين من المهرة إلى صعدة، وتداعى لها سائر الجسد الهاشمي بالثورة والنفير من عمق كل مؤسسة حكومية مدنية وعسكرية.

في الخطابات الأولى للهاشمية الدينية التي عبّر عنها عبدالملك بدرالدين أظهر نفسًا عنصريًا مُعلنًا، سارع أصحابه إلى تبريره أنه لا يُلزم أحدًا، وقالوا إنها كتلك الخطابات التي يرددها رجال الدين السلفيين أو الإصلاحيين، وهي ليست مُلزمة لأي يمني لا يجدها مقنعة له، غير أن خطورة ذلك الخطاب استناده أساسًا إلى جزء من عملية إحياء "الزيدية" في الوعي الباطن للقبائل اليمنية التي نشأت على وضع آخر لم يعد زيديًا في مفاهيمه الفقهية الناضحة بالاستعلاء والعرقية المناقضة للهوية اليمنية بأشدّ التناقض والعداء.

كشف عبدالملك بوضوح عن سر ليس مستورًا، ويعرفه اليمنيون الذين وقفوا عاجزين أفرادًا وجماعات ومعسكرات وأحزابًا في مواجهة حازمة لتطرف بشع أخرج قرنيه من عمامة الشيطان السوداء. إنه سر الهاشمية التي لعبت بالسياسة والعهود كما عبثت بالتأويل والتفسير

والمقدسات، وكان العارفون بما يجري صامتين في خجل يدّعي الحداثة والاستقلالية. حين أُبلغ الجيش بالحياد كان ثلة من الهاشميين العنصريين يطوفون على القرى وهي آمنة مطمئنة، فتصبح كالصريم، تبدأ الحيلة بإلقاء الهاشميين الطُعم إلى شيخ القبيلة فيرتد غضبه بنزاع يبيح للهاشميين حصار القرية بذريعة الدفاع عن انصارهم المستضعفين! ثم تتدخل الوساطة القبلية المكونة من شيوخ اشتراهم الحوثي بماله، ودفع لهم نفقاتهم، وأمّنهم بفرق مدربة من المرافقين الذين يتبعونه، وأمثال أولئك المشايخ من الذين فقدوا طموحهم في النفوذ أمام غلبة مشايخ كبار كآل الأحمر والشايف، فاستخدم الهاشميون طموحاتهم وجعلوا على أكتافهم مشرفين هاشميين خبراء بالتعقيدات الاجتماعية يوجّهونهم بالحل والقول والاقتراح، فيبدأ الصلح، فتخفت حماسة الشيخ المقاوم، وينصرف عنه أتباعه، فينقض عليه الهاشميون الحوثيون بالسلاح والبطش في لحظة اطمئنان وثقة بالعهد المكتوب بينهم، ويختفي الوسطاء، فيعبر الهاشميون القرى العنيدة على جثث أصحابها، ويحتالون بذات الطريقة على الكتائب العسكرية، ويقفزون هكذا من العقبات بالخدعة والعقيدة، حتى إذا صاروا على اعتاب صنعاء لم يُفرقوا بين شيخٍ

وأرملة، أو طفل وعابر سبيل، قتلوا أكثر من ٦٢٣ مواطنًا وجنديًا على تخوم المعسكر الغربي للعاصمة، وانطلقوا من أمام معسكرات الحرس الجمهوري التي أعلن قادتها حيادهم المُر نكاية بانشقاق من سبقوهم إلى المواجهة في ٢٠١١م، ولما استوى الأمر للهاشميين في صنعاء، خرجوا من أوكارهم وبيوتهم وأعلنوا إسقاط المؤسسات من الداخل، حدث ذلك فيما كانت الحكومة تنتظرهم طوال يوم كامل بداخل قصر الرئاسة لتوقيع اتفاق سلام مُذل، وعقب التوقيع غادر الغزاة إلى المدن بمدرعات عسكرية لإخضاعها، وتكرر سيناريو صنعاء بخروج "المجاهدين" من منازلهم لتجربة أداء يقال لها "دورات ثقافية" يتعرض فيها المستهدفون لعملية غسل دماغ واسعة، ولم يُستثن من هذه الدورات أحدٌ من الموظفين الحكوميين، أو القيادات العسكرية، وهي دورات مذهبية شديدة التركيز على محطات الموت الآسر القديمة، وما تمثله الهاشمية كوسيلة أخيرة تُبقي الإسلام قائمًا متحديًا هجمات الملحدين والحاسدين والمبشرين! ومن أجل ذلك لا يبقى لكائن عذرًا إلا التمسك بـ "مصابيح الهدى" حتى يخرج المسلمون من النفق الأسود.

لكن المسلمين لم يفكروا أن الأئمة العنصريين أشد حرصًا على إبقاء شيعتهم وأنصارهم مُغرقين في دموعهم حتى يأتي المنتظر، يومها سيفرحون لكن القيامة ستُدركهم وتنتهي الأرض ويبدأ الحساب وما سمحوا لأحد بالفرح والمرح والملك والرئاسة!.

ناقشت الهاشمية تفسيراتها المزاجية للقرآن لإبقاء حالتها ووصفها وأسرتها وعائلتها وسلالتها في الآيات الأكثر قداسة في عيون المسلمين، وقالت عن الله ما لم يقله سبحانه، وجعلت من طبيعتها الميليشاوية المتكررة شيئًا مشابهًا يؤوّل القرآن برغبة عرقية لتقول إنه من عند الله، وهو التأويل والبحث الذي نهى عنه الله وأنكره بالقول في محكم كتابه الكريم: "هو الذي أنزل عليكَ الكتاب منه آيات محكمات هُن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله". ويقول الله سبحانه أيضًا: "وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون". وفي ردهم على هذه الاحتجاجات القرآنية

الصريحة يُصر. الهاشميون الحاذقون على اقتياد الآلاف من وظائفهم ومنازلهم لإقناعهم بولاية دموية، فيعصبون أعينهم وتقودهم سيارات مجهزة بالانتقال إلى أكثر من موقع في أدغال قرى نائية، ويجتمعون في أقبية إحدى البنايات المحاطة بحراسة مكثفة إلى عدد من "المشرفين الثقافيين" الذين يجاهدون في إثبات الزُهد والورع والعمل الصالح، وهم يمارسون أصلاً أعمالًا قسرية وتعسفية وحملة إغواء حمقاء لإقناع أناس تم اقتيادهم بالقوة وتحت تهديد الفصل الوظيفي، ليتعلموا كلمات عن العدالة والثورة الحسينية ووجوب مقارعة الطغيان ومنازلة قوى الاستكبار العالمي! بينما يتجسد الاستكبار شاخصًا في الهاشمية اللهبية التي تقطع الطريق، وتُسكت صوت الناس، وتمارس الإرهاب، وتصادر الشرع الجماعي للأمة، في محاولة لطمس الشورى في حياة الناس، ومحو الهوية اليمنية بكل أبعادها الوطنية والتاريخية وجذورها العربية الأصيلة.

في مثل هذا الزمن الرديء، يتسلل الهاشميون بإصرار وعناد لتلقين المصلين في كل منابر الجوامع ذات الأفكار المتناقضة عن قيمًا لا يحملونها، ومبادئ لا يعترفون بها، مُثلًا لم يسمعوا بها، في تعبير أعور عن دينهم المخبوء الفاقد

لشرعية الحق والشورى ورضا الناس، القادم من أوهام العظمة وجنون الإصطفاء العرقي، وهوس المؤامرة، ولأنهم عرفوا إنكار المجتمع ورفضه طبائعهم.
برز العنف خيارًا وحيدًا لإدارة معركتهم الدينية، وإخضاع المعارضين، وملء السجون بالمخالفين المتهمين بالزندقة والنفاق، ذلك يعني أن نظامًا بالياً اخترق الزمن كرصاصة طائشة انطلقت من القرن السابع الميلادي ونفذت من قلب القرن الحادي والعشرين حتى استقرت في صدر صنعاء!.

أغار الهاشميون على الجامع الذي هو أساسًا "بيت الله" وليس بيت الدولة، أو الجماعة، أو العائلة، ولا حتى بيت النبي ﷺ، وعلّقوا لافتة على بابه مكتوب عليها "جامع الشعب"، والشعب جائع ومقهور ومُطارد وممنوع من الحديث، ودارت وفق تلك الرؤية أحداث قمع وتنكيل وإرهاب، وعمليات تصفية انتقائية لم يُحاسب عليها أحد كأنه عقال بعير منفلت، ولا يُقاد المجرم أو القاتل منهم إلى العدالة لأنهم أصلًا كتائب موت دُرِّبت على انتزاع الحياة منذ نعومة أظافرها.

الهاشمية التي تربت على شعار "أنا خيرٌ منه" وجسدته في ١٠,٥٦٧ تمـردًا عـلى مـدى ألـف عـام في مختلـف الـدول الإسلامية، وعلى مختلف الحُكام، وطيلة الأجيال القديمة، وفي عصور الانحطاط والعصور الوسطى والمعاصرة على هيئـة معـارك صغيرة أو كبـيرة، أو خيانـات كُـبرى بُمعـدل سـنوي يصـل إلى ١٥ تمـردًا علويـاً أو هاشـمياً، أو حـدث مسلح مناصر لهم منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان حتى اليـوم. أحـدثت هـذا الهـوس الـذي لا يمـوت، وفي حـرب الـيمن وحـدها، مـا يربـو عـلى ٣,٤٥٦ معركـة منـذ معـارك صفين والجمل والنهروان ، مرورًا بغارة إبراهيم الجزار على شـمال الـيمن مـدعومًا بمرتزقـة مـن أقاربـه الطباطبـائيين في طبرستان، بما تخلل تلك المعارك من فتن نزغها الهاشميون الفارسيون بين القبائل اليمنية من جهة ومعارك بين الأئمة العنصريين وعائلاتهم على أحقية الإمامة المزعومة من جهة أخـرى، رغـم أنهـم جميعًـا كـما يسـلفون مـن بطـن واحـدة، وفخذ واحد، إلا إنهـا كانـت حـالات إعدام بشعة، أكثرهـا وأوجعها وأعنفها هي معارك الهاشميين اليوم على اليمن بكامل ترابه الـوطني، وعلى العالم العربي بتكويناته العربية العشائرية، وممالكه الحضارية الأصيلة.

إن اليمني الذي جاء إلى النبي محمد صلوات الله عليه ومد يده لمصافحته ناطقًا شهادة التوحيد، يواجه بعد قرن ونصف القرن من خطبة الوداع رجلًا مُحاطًا بآلاف الجنود عند أول خط حدودي لليمن زاعمًا أنه ابن النبيﷺ ينادي بشهادة أخرى تقوم على أن عدم الإيمان بولاية علي بن أبي طالب ونسله حتى تقوم الساعة على المسلمين جميعًا تعني أن الإيمان بنبوة محمد ناقصة، وأن الإيمان بالله ناقص أيضًا! بل ربطت الإيمان أصلًا بالخضوع المطلق لإمامته على اليمن.

أجاب اليمانيون قديمًا، كما يجيبون اليوم وغدًا: إنها أضغاث نبوة وأوهام رسالة، وأن ما يدعيه الهاشمي الطبرستاني دين آخر، ونبي آخر، ورسالة أخرى، وإله آخر، وقرآن جديد. أشياء لم يألفوها ويعرفوها، وسيبقى اليماني كما كان قبل أن يصطفي الله آل ابراهيم موحدًا على مبادئ الرحمانية التي ألقاها جدّهم هود عليه السلام في أبنائه وأحفاده حتى تقوم الساعة.

هوامش

- ١ -

جاءت الفلسفة الثورية للهاشمية مُعبرة عن فكرة التضحية لملحمة كربلاء الدامية، ومنها استقى مختلف فلاسفة الشيعة نظرياتهم الكلامية، وكانت معظم أطروحاتهم قائمة على نقد التوسع الأموي بشكل غير مباشر، وتأليب الناس عليهم من خلال الإسقاطات واستهداف الأصوليين المتشددين.

كان محمد بن علي بن أبي طالب الشهير بـ "محمد بن الحنفية" أول من أطلق عليه وصف "الوصي"، غير أنه خُلع منه بهدوء، ومُنح في مرحلة لاحقة لأبيه، وهي فكرة يهودية في الأساس تقول إنّ يوشع بن نون كان وصيًا على اليهودية بعد رحيل موسى عليه السلام الذي لم يُنجب. وعلى غرار الاثني عشر سبطًا أنبت الهاشميون ١٢ إمامًا من الأسرة

العلوية في مذهبهم الجعفري، وأغلب أولئك الأئمة ولدوا في بلاد فارس وماحولها!.

- ٢ -

يحقد المؤرخون الذي ينتمون إلى مناطق غير عربية على الحجاج بن يوسف الثقفي، ويركزون في مروياتهم على ما وصفوه بـ "ظلمه وطغيانه"، وحرصوا على أن تتناقل هذه الصفات الشنيعة وتلتصق بالحجاج عبر الأجيال، وتعززها كل وسائل الدعاية بدءاً بالكتب التاريخية والقصص والأشعار، وانتهاءً بالأفلام والمسلسلات السينمائية لثلاثة أسباب أساسية:
الأول: أن الحجاج قضى على عبدالله بن الزبير الذي كان عائقًا أصلًا لأحلام العلويين في السُلطة والخلافة، لكن القضاء على يد الحجاج يعني ضم مكة والمدينة إلى الخلافة المروانية الأموية، لما تمثله المدينتان المقدّستان من مكانة لايستقيم الأمر لأية خلافة أو مُلك كبير دونهما.
الثاني: أن الحجاج قضى على تمرد مصعب بن الزبير في العراق، ومصعب هو زوج سكينة بنت الحسين ابنة "شهربانو بنت يزدجرد".

والثالث: أن الحجاج هو أول من لفت نظر الخليفة عبدالملك بن مروان إلى تغيير الدواوين والنظام الفارسي المعمول به في خلافة بني مروان إلى شكله العربي، وتحفيز الخليفة على صك عملات مالية تحمل صورته واسمه، وهو ما تسبب في ضياع الهوية الفارسية وأشكالها، ومحاولاتها ابتلاع الخلافة العربية التي تشكلت في الأساس وفق قيم وعناصر القبيلة العربية الحاملة لمبادئ التوحيد الإسلامي، وفي يدها القرآن الكريم كمرجع إلهي مقدس بلسان عربي مبين.

عندما قرر الخليفة عمر بن الخطاب - الذي لم يحض حتى هذه اللحظة بدراسة معمقة وتحليلية لقرارته وأسلوبه وطريقته العبقرية في إدارة الحُكم والسلطة كتلك التي كتبها وألفها الشيعة عن علي بن أبي طالب، عندما قرر الدفاع عن المستضعفين في بلاد فارس وإنهاء حكم كسرى- حشد إلى جيشه من اليمنيين ما نسبته ٩٠ بالمئة من قوام الجيش العُمري، لسبب وحيد أن اليمني الذي قررت قريش قبل أعوام مخالفته بشأن بقاء "باذان الفارسي" على سلطة صنعاء، عادت لتمنحه فرصة القضاء على هوية باذان وفيروز الديلمي وكل القتلة الذين ذبحوا "عبهلة العنسي." وأنصاره وقضوا على حلم الدولة القومية اليمنية

بـالتحرك إلى بـلاد فـارس مـدعومين بكـل أسـباب القـوة، ومعهـم جمـع مـن الفرسـان وقـادة القبائـل العربيـة المسـلمة.
حسـم اليمنيـون معركـة القادسـية بانتصـار عسـكري مـذهل وأخذوا صواع كسرى لصاحبه، وهرب يزدجرد إلى مناطق بعيدة يندب حظه ويحكم ما تبقى من سلطانه المفقود.
استفاد عُمر بـن الخطـاب مـن الـدواوين الفارسـية، وطرائـق العمـل والإدارة وأخـذ أجمـل مـا في الحضـارة الفارسـية باعتبارها تجربة إنسانية لتطبيقها في دولته العربية، كان عمر رضي الله عنه عبقرياً فذًا في نظرته وأسلوبه، واستفادته من تجارب الشعوب لتحسين المستوى الإنساني العربي بشكل خـاص، وحريصًـا أيضًـا عـلى ألا تفقـد الهويـة العربيـة خصوصيتها المتعددة.
لهـذا وأكثـر يتـداول المؤرخـون غـير العـرب الـذين ارتبطـوا بالهاشـمية الأولى بعلاقـة مصـاهرة، على غـزو فكـري وثقـافي مـتحمس يحتـال عـلى الرمـوز العربيـة ويشـوه مقاصـدها ويبحـث عـن عيوبهـا ويضـخِّم أخطاءهـا، وفي غـارة قديمـة عـلى الأحاديـث النبويـة عمـد الطبريـون إلى تسريـب مئـات المرويات إلى كتب السُنة تجعل من عائلة علي بن أبي طالب عائلة مقدسة معصومة من الأخطاء، لها قدرات أسطورية

خارقة للمألوف، وكرامات تجعلهم في مصافّ من يقول للشيء كُن فيكون!.

-٣-

في اللحظات الأخيرة من عملية ابتلاع صنعاء القاسية في مساء ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م استنفر الهاشميون كل خلاياهم الباطنية، وعلى وجه الخصوص أولئك المروجون لاعتدالهم، وهم في الأصل جذرٌ عميق يمثل الهاشمية العنصرية بكل تجلياتها العرقية المتعصبة، حتى إنه أتيحت لهم سقوف حُرة لانتقاد الميليشيا الهاشمية المسلحة المعروفة اصطلاحًا باسم "أنصار الله"، ليصبح حديثهم مقبولًا عند أطراف أخرى ما زالت تشعر بالقلق إزاء الهدم المستفز لكل مظاهر الدولة وهيبتها وسيادتها على مؤسساتها، ومنهم الرئيس "علي عبدالله صالح" الذي استقبل في منزله رئيس المكتب السياسي للحركة الحوثية "حسين العزي" حاملًا رسالة من قائده "عبدالملك بدرالدين" يقول لـ "صالح" بشكل صريح إنهم ليسوا رجال دولة، وإن الأمر متروك لرجال الدولة المعهودين من وزراء صالح ومستشاريه، وعليهم تبصير الحركة

والتعاون معها لما فيه إنهاء حُكم الرئيس "عبدربه منصور هادي" ومناصريه من حزب التجمع اليمني للإصلاح الذين يُحمّلهم الرئيس اليمني الراحل "صالح" مسؤلية محاولة اغتياله وإحراق جسده في جامع النهدين - يوليو ٢٠١١م.

يعمل الهاشميون "المعتدلون" في سياق خطر ضمن أنساق متعددة للهاشمية، وأشدها باطنية ولؤمًا هو نسق اختراق الأغلبية وتغذية الخلافات بين مكوناتها، وإعادة إنتاج الفتنة بين فئات الشعب، ومكونات الأحزاب والنخب السياسية، كلما شعروا بأن أوار الفتنة لم يعد مشتعلاً بما يكفي لإلهاء الأغلبية عن إعاقة المشروع الهاشمي السلطوي، لهذا لم يعد مقبولًا فصل الهاشمية كفكرة سُلالية والهاشمية كنسب، لأنهم أصلًا يُقدّمون أنفسهم كعنصر استثنائي له امتيازات حصرية في الدين والتاريخ والأرض ومن وما عليها إرثًا مستحقًا لهم حيثما ساروا وتوزعوا في شعاب الدنيا، وهذه النظرة لا تفارق حتى الملحدين منهم، أو المؤمنين الصالحين على حد سواء، وقد أسسوا أنفسهم كطبقة فوق القبيلة اليمنية، وجلبوا إليهم طبقة المشايخ وأسموهم النبلاء الذين يدورون كما في الذهنية البريطانية

داخل بلاط الملك انتظارًا لعطاياه واتباعًا لمصالحهم وأطماعهم.

مزيدًا من الجلود فقط !

قبـول الفـرد بفكـرة الهاشـمية كنسـب ، مخـالف للأصـول العلميـة الراعيـة للتنسيب والتأصيل العشـائري، ومنـاقض لفكـرة الدولـة، وطـاعن أسـاسي في خـاصرة المجتمعـات، ومنهـا عـلى وجه الخصـوص المجتمع اليمني الذي يعيش حروبًا قديمة – جديدة لا يعرف كيف بدأت؟ و لماذا أُجبروا على الذهاب إلى الجبهات للقتال؟ ولا حتى قتال من؟

مشـهد القضـية الأبـرز بـدأ منـذ اليـوم الأول لإسـقاط الجمهوريـة اليمنية على يد صحافي أعزل في نهار ٦ فبراير ٢٠١٥م، ظهـر غاضـبًا عـلى "مـارب" التـي كانـت تقاتـل منفـردة في معركـة اسـتلهمتها مـن عاداتهـا البدويـة، كانـت الصـحراء فرصـة عنيـدة للشـباب المـاربي الـذين تجمعـوا في

مطارح نخلا لصد الغزاة الهاشميين وحلفائهم القادمين في "مهمة نذالة" لكسر إرادة آخر قبائل اليمن، متوغلين باتجاه الكثبان الرملية للسيطرة على منابع النفط والغاز، وهدم آخر أعمدة مملكة سبأ التي تُذّكرهم بما تبقى من قلاع الأثر السبئي العظيم، تلك الأعمدة التي سخر منها "حسين بدر الدين " في مقابلة تلفزيونية قبل مصرعه مُعلنًا أنها لا تساوي شيئًا أمام الهوية الإيمانية، وهي ذات العبارة التي حاول "عبدالملك بدرالدين" ترديدها على اليمنيين عقب تصفية ميليشياته الرئيس السابق علي عبدالله صالح في ٤ ديسمبر ٢٠١٧م.

ذلك الإصرار الهاشمي على محو الهوية التاريخية لليمنيين مقابل الاحتفاظ بنسبهم المشكوك فيه يُعقد مسألة الحل في اليمن. فقد أظهرت كل المواقف الهاشمية المتعصبة والصامتة أنها تؤمن حد الهوس بولايتهم العنصرية – العرقية على اليمنيين استنادًا إلى خرافة مذبوحة وساذجة تتصدر عناوين الكهنوت الهاشمي، فهي تحصد الجثث، وتزرع القهر، في سبيل تسيد رجل يدّعي نسبًا إلى النبي صلوات الله عليه يشار إليه بقولهم إنه "العَلم"، وهي خرافة نُقلت عن العهد الباباوي المظلم للكنيسة

الكاثوليكية تم تدميرها بانتفاضة الملك هنري الثامن على الفاتيكان، ومنع الكنيسة البريطانية من اتباعهم، وإعلانها كنيسة قائمة بذاتها، لكن الورطة الجديدة أن الملك صار هو البابا الجديد، وقد أحرق مئات المهرطقين الذين تجاوبوا معه في البداية بحركة الإصلاح الديني "البروتستانت"، فقد اكتشف الملك فجأة أنها لم تعد مناسبة لجشعه المراهق بعد أن أصبح المالك المزدوج للقوة والدين معًا، فعاد إلى قواعده كاثوليكيًا، وقد اطمئن إلى سلامة إجراءاته الكنسية وابتعاده وابتعادها عن بابا الفاتيكان الذي كان يحاصره في ملذاته وغرامه المتعدد بالزوجات بحثًا عن ولي عهد يخلفه في الحكم.

احتراف فكرة الانضمام إلى الهاشمية في اليمن رفعت سعر الجلود فقط، وأكثرت عدد الانتهازيين الطامحين إلى الحُكم، ومن ذلك مثلًا أنّ أضخم إمامة أقيمت للهاشميين في اليمن فى القرن الخامس عشر للميلاد هي الدولة القاسمية، وحكايتها بدأت بلقاء شرّيرين يُدعى الأول "الحماطي" من آنس، والثاني "قاسم ابن محمد قاسم" أقبل ببغلته من طبرستان متلهفًا لاستعادة حكم الهاشميين الذين خسروا معركتهم مع العثمانيين، واتفق الرجلان على أن ينشر الحماطي الشائعات والمعجزات والكرامات عن "قاسم"

ويصفه بـ المهدي المنتظر، ومُحرر اليمن من الغزو العثماني والقائم الأقوى من "آل البيت" لإعادة الدين وترسيخ المهمة الربانية، وأن ذلك مكتوب في رق مصنوع من جلد حمار منقرض عثر عليه - أي الجلد وليس الحمار - مدفونًا تحت شجرة ظليلة مقدسة، "و ليتهم ما ذبحوا الحمار! "، هكذا بدأ الاثنان مهمتهما من شهارة بحجة، وأمر قاسم الذي أقام لاسمه أل التعريف لضرورات التفخيم، ومنح اسمه لقب المنصور بالله بهدم قلاع ودور ظفار "العاصمة الحميرية الأكثر شهرة" وتسويتها بالأرض ونهب حجارتها، "فاستخف قومه فأطاعوه".

التقاط مثل هذه المشكلة، يمكن تعميمها وفق السياق المنطقي والعلمي للجلود الأخرى التي دفعت بمئات الأسر الأعجمية والمتحاذقة إلى غمار الحرب على اليمنيين بحثًا عن مكاسب اقتصادية وسلطوية، حيث كان الاحتيال الأهم للرجل المتقاعس امتلاك جُبّة وعمامة، وبجواره بغلة وفقيه، البغلة ليركبها، والفقيه يساعده على كتابة نسب جديد في جلد حيوان قديم يقول إنه من آثار العهود القديمة كما فعل أسلافه، ثم يبدأ التأثير الديني بتطويع الناس لقراءة دينهم بمزاج وتأويل الرجل الهاشمي

الجديد، فيطيعونه ويمنحونه جزءًا من أراضيهم وخراجهم وزكاواتهم، فيصير مرجعًا دينيًا يُذكّرهم أوان كل خُطبة من خُطب الجامع أن عليهم سؤال أهل الذكر، ويشير إلى نفسه حتى لا يفقد الجاه والمال والنفوذ، وبعد عقود يتحول الرجل إلى سُلالة ويعمد أحفاده إلى تنسيب بقية أفراد القرية الذين سكنوا معهم وحملوا اسم قريتهم كالوشل في عنس التي تحولت إلى قرية هاشمية بأكملها بفعل التأثير الهاشمي لأحد أفرادها، ما جعل "الوشليون" كلهم يتحولون من يمنيين وفلاحين طيبين إلى هاشميين تستخدمهم القوى الإمامية لتنفيذ غزواتها واستنفادهم في القتال حتى ينقرض أغلب الرجال تحت تأثير السحر الهاشمي. ذلك ما حدث أيضًا في قرية "المدان " بمنطقة الأهنوم بحجّة، وفي "المرون" بريف آنس، وفي قرى محافظة عمران مثل وادعة التي تنتسب إلى وادعة بن عمرو بن ناشج بن جشم بن حاشد، وكان أول من سكنها من الهاشميين قاسم بن محمد أثناء حروبه مع العثمانيين، وقد سُميت إحدى قرى وادعة بقرية "القاسم"، جُل سكانها من الهاشميين، ويصل تعدداهم إلى ستمائة نسمة، أغلبهم حملوا لقب الوادعي، وقد جاؤوها أعاجمًا لا لقب لهم أو هوية كالعرب الذين يتناسبون في الألقاب والفخوذ

والبطون العشائرية لمعرفة انحداراتهم وتشكيلاتهم وتفرعاتهم. ووادعة مثل "حوث" التي تلبّس الحوثي اسمها وصار منتميًا إلى قبيلة يمنية أصلها يعود إلى "حوث بن سبيع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن همدان بن زيد بن كهلان بن سبأ"، وفيها وُلِد المؤرخ والسياسي اليمني الفذ: نشوان بن سعيد الحميري!.
تفنن الهاشميون في اختراع المستوطنات الفارسية بغية تغيير الديمغرافيا السكانية، وجلبوا إليها كثيرًا من عيال عمومتهم الطبريين لينشئوا تجمعات سكانية تُمكّنهم من حشد جيش لا يقهر عددًا وعُدّة، مثلًا تُعرف "عنس" كقبيلة يمنية تنتمي إلى "عنس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام"، اجتمع الهاشميون الطبريون وفقهاؤهم في منطقة عُرفت بـ"مغرب عنس"، صارت مع الزمن جزءًا من عنس، ويغلب على سُكانها الانتماء الفارسي القديم، مثل "موشك" التي تعني بالفارسية "الصاروخ"، رفع موشك الأول "أل" التعريف فأصبح "الموشكي"، وسُميت القرية التي وطئها باسمه، ثم تطورت حتى صارت عُزلة بها بعض القرى وكل من فيها من المهاجرين إليها أو سُكانها الأصليين حمل إسم الموشكي، وكان التنسيب للهاشمية

قائمًا لمجرد أن يحمل المهاجر لقب الموشكي، حتى بلغ تعدادهم سبعة آلاف نسمة، يخلص منهم ثلاثة آلاف رجل، ما يعني لواءين مسلّحين ومُذخّرين لتنفيذ مهام تخدم تعزيز سلطة الإمام الهاشمي لحظة ظهوره.

في زمن ما، خدع الهاشميون العنصريون قبيلة من أشرس القبائل اليمنية وهي "قيفة" لحظة احتاجوا قتالها معهم، فاحتالوا على زعمائها بإظهار جلد حيوان ميت منقوش عليه بعض العبارات التي تزعم اتصال نسبهم إلى فخذ قرشي لرجل ملعون يُدعى "أبو لهب" فزعموا وأقنعوا بزعمهم ذاك قبيلتيّ "قيفة والمصعبين"، ولما كانت مرحلة الاغتراب اليمني عن هويته في عصور تفتت الجزيئات اليمنية عقب الانهيار العباسي الثاني سارية كالموضة،استحلى رموز "قيفة" يومها ذلك التنسيب الذي يُقربهم إلى النبي صلوات الله عليه، ويُبعدهم عن تابعة حمير المدفونة آثارهم في شواهد الأرض، و لم يبدوا امتعاضًا بوصلهم إلى أبي لهب، واعتبروه نوعًا من "العظمة"!، فلا يذكر القرآن أحدًا إلا كان رجلًا مؤثرًا حتى لو بلغت اللعنة حد الوعد بنار أُعدت له خصيصًا في غيابة الجحيم.

قيفة من مذحج، وقد ذكرها الهمداني في كتابة صفة جزيرة العرب، إلا أن التأثير الأخير لكتاب مجموع بلدان اليمن وقبائلها للقاضي "الحجري" نفى عنها مُراديتها، وأسكنها بوادٍ غير ذي زرع!، قد يكون الحجري متأثرًا بالروايات الهاشمية ومصادرها التي عكفت منذ أمد بعيد على تتويه القبائل اليمنية وحتى الأسر المشيخية العنيفة التي كانت تخاصمها عن حميريتها وكهلانيتها فتسوق لها نسبًا أمويًا، وهذه حيلتهم لإخراج اليمنيين عن نسبهم السبئي، وضمهم إلى قريش حتى يسهل ابتلاعهم وضمان اغترابهم عن هويتهم. كما أشاعوا في بني "العلفي" بانتسابهم إلى "ابي سفيان"، والحقيقة أنهم أحفاد رجل من قضاعة يقال له "علاف" واسمه: "ريان بن حلوان بن عمر ابن الحاف بن قضاعة".

في حال قيفة مثلاً شأن خاص بالقتال، فهي قبيلة في خاصرة مذحج المزعجة، وقريبة إلى صنعاء، ومنها تنطلق شرارة غاضبة على الدوام حتى إن الثارات لا تسكن فيها، وقد استغلت الهاشمية ذلك الغضب البريء، وهذي الرماح المُسننة لطعن العُمق اليمني، إلا أن شيئًا في قيفة يعاف قتال عيال عمومتهم، كأنهم لم يقتنعوا بذلك الهراء

المكتوب في الجلد المدبوغ، واستغلالهم حرابًا في ساحة معركة مماثلة لـ "موقعة صفين" يوم قتل اليمني شقيقه ورفيقه وابن قبيلته في نزاع ليس لهم شأن فيه، لكنها الفتنة التي ما تزال تنسج وهمها وبيوتها عليهم فتغشي أبصار بعضهم بقصر النظر، وتُضللهم عن الحقيقة وتجتزئ لهم قطعة صغيرة من لوحة كاملة، يحجب الهاشميون قطعها وينشرون أجزاءها كي يستمر التيه وتنضج الحرب ويقفر الرجال.

كانت قيفة تسأل نفسها: لِمَ لم نكن من أبناء الحسين؟ وهو سؤال ذكي، فتلك حذاقة رسمها الفقيه الهاشمي الأعور بدهاء مستوطن طبري، فمعنى انتسابهم إلى الحسين سيحفزهم تلقائيًا لسلب الإمامة عن غيرهم بالقوة، فلا يطالون شيئًا من وراء قيفة ويجتمع فيها دماء حمير وإقرارًا مجانيًا بالبيعة فلا تغادرهم السلطة ولا يغادرونها.
ما يحدث اليوم فرصة لن تتكرر لتبيان نزوع العرقية الهاشمية، التي عثرت على الكثير من جلود الحيوانات، لتفرض على المسلمين واقعها كقبيلة بلا حدود جغرافية، وهي في طور تحولها إلى شعب بلا دولة يستند بعد ذلك لآلاف النصوص الدينية المزورة والأساطير المدججة

بالسحر المرفوضة شرعًا وفطرة إنسانية، يعافها المسلمون بسجيتهم القرآنية، ويقاومونها بضمائرهم المجبولة على الحرية والتوحيد، ومنع أية محاولة لزرع الهاشمية الفارسية كبطن من بطون العرب، لنزوعها العنصري عن العربية هوية وإرثًا ونسبًا، وأخص هنا الهاشمية التي تتخصب في اليمن كما تتخصب قنبلة إيران النووية.

لقد بلغ الانتساب في العربية ولعًا لم يتحول إلى سلالة استثنائية بل إنه ولع بريء يقصد اتباع سُبل جريان الأنساب والهجرة وتنقل العائلات، وتشكيل البطون وتسلسل الأفخاذ، لا يسعى وراء قداسة أو اصطفاء، بل معرفة مكامن الأصل الأول، وافتخار باثبات الأصل العربي للنسب دون تمييز أو غلو أو اعتباره شهادة تميز واصطفاء. والهاشمية التي لم تكن يومًا شعبًا أو قبيلة أو دولة أو حضارة، بل عصبية تمنع الحياة في محاولة لابتلاع الدين الأخير لهذا العالم. وكما كان العرب يبهرون الآخرين بحضارتهم ومجدهم وهو أصلًا جزء من التكوين الاجتماعي لديهم في المعرفة بإنجازات القبائل وحروبها وعلومها وانتصاراتها وغزواتها، كحالة حضارية في مجملها وفق قواعد العهود القديمة وتعارفاتها، تظهر الهاشمية في

المقابل بلا فعل جميل، ولا حتى لحظة حضارية واحدة سوى الترويج لدعايتها الدينية، وإثارة الحروب بين المجتمعات، والقفز عليها لممارسة دور الإمام الذي حُرم قديمًا من تولي خلافة المؤمنين، إمامة لا سند لها وفق المفاهيم القديمة في البيعة ومبادئ الشورى، أو كما هو شكلها الحديث فى الانتخابات.

- فقط.. قالت الهاشمية إنها جاءت بأمر الله، ومرت متلصصة إلى حواف الدول عبر النصوص النبوية المزورة لالتماس مُلك مضاع على جوانبها، يتداعون عليه كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

هوامش

- ١ -

أدارت مارب ملحمة بطولية مدهشة في مطارح نخلا وحشدت أكثر من ثلاثة آلاف مُحارب لصد الغارة الهاشمية القادمة من صنعاء وصعدة في أواخر فبراير ٢٠١٥م، استشعرت الدماء السبئية خطر الانقلاب العنصري في عاصمة اليمن وقررت أن تقاوم بأعز شبابها، أغار الهاشميون وأنصارهم بعتاد الجيش ودباباته وراجمات الصواريخ وأكثر من عشرين ألف مُجنّد على مارب فألهبتهم نيران سبأ ببأس لا يعرف النكوص عن قيم الرفض لمنطق القوة والغلبة.

المعركة غير متكافئة وشباب مارب يرحلون إلى الفردوس ملائكة أبرياء، معركة اهتز لها وجدان الضمير الإنساني واختفت قصصها الملحمية في كثبان الصحراء - كما هي

عادة القبيلة اليمنية حين تنسى أمجادها فتبقى شواهدها في الذاكرة لا يقرأها أحد - ومن جَهد المدد، ساندت كتائب صغيرة لوحدات الجيش الأخير أسود الصحراء، وتوافد اليمانيون الغاضبون إلى مارب بأسلحتهم وعيالهم وعائلاتهم للدفاع عن عرش بلقيس، فسيفساء يمنية تجمعت بألوانها وأسمائها وقبائلها سندًا لعاصمة سبأ المُنوّرة .. وفجأة سدد هاشميو مارب طعنة خطيرة في جسد القبيلة السبئية، فتحوا مناطقهم لعيال عمومتهم الغزاة، ونقضوا حلفًا لم يجف حبره يقضي بعهدالله أن لا يخونوا المدينة التي أسكنتهم وحمتهم وأطعمتهم من جوع و امّنتهم من خوف.

أثبتت العنصرية الهاشمية أنها توأم سيامي لا ينفصل، دفع مئات من شباب مارب الثمن بفعل ذلك الاختراق الغادر، بيوتات قليلة من المنتمين إلى الأشراف رفضت تلك الخيانة، وقاتلت إلى جانب مارب وقبائلها، وسقط منهم البعض، القتال انتقل إلى آخر معاقل مارب في الجفينة والمجمع والسّد، وتحركت كتائب من حضرموت السبئية مددًا للرجال الصامدين في آخر لحظاتهم وذخائرهم وجهدهم وإبائهم الأسطوري، تقهقر السبئيون أمام تتارية الهجمة الممولة إيرانيًا، وحلّقت أرواح المقاومين في سماء

الله، طافت حزينة كالطير في هجرتها إلى الجنّة، ولحظة وراء أخرى كان الهاشميون يُعلنون سقوط المحافظة فتقهرهم الرصاصات الباقية في جوف البنادق المنهكة، فيهربون ويرجمون البيوت بصواريخهم من بعيد ويغيرون مرة أخرى على أصوات أطفال مزقتهم الكاتيوشا، ونشيج عائلات دُمّرت منازلها، ورائحة الموت تطغى على كل معاني الألم والمأساة، انتقم الهاشميون من عبدالرحمن بن ملجم على صحراء مارب!، انتقاماً يأسر الماضي ويتنقل بخفة إبليس من جيل إلى آخر، يعلو نواحه بين رصاصة من مُراد وسيف من صفين، أحقاد لا تموت كالشيطان مُنظرة إلى يوم البعث..

ثم جاء العرب على جناح نسر سبئي، وانطلقت عاصفة الحزم فجر يوم ٢٦ مارس ٢٠١٥م، واستعاد اليمنيون أنفاسهم، وتعرضت الهاشمية الإيرانية إلى صاعقة مدوية في الرأس أفقدها توازنها، وخسرت مطامعها، وفقدت كل يوم جزءًا من الأراضي اليمنية التي أخذتها بالحيلة والغدر والخديعة.. أعلنت الهاشمية حتى وقت متأخر من سنة ٢٠١٨م مصرع أكثر من خمسين ألف هاشمي وجرح أكثر من ٦٥ ألف عنصرٍ منهم، في أكبر وأضخم خسارة

للهاشــميين في تــاريخهم القــديم والجديــد.. الآن يبتســم الحسين في فردوسه!.

- ٢ -

جمع الهاشـميون عيـالهم في ٢ديسـمبر ٢٠١٧م مـن منـاطق ذمار وصنعاء وعمران، وانطلقوا إلى صنعاء لحصار منزل الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح، فُرضت أربعة أطواق أمنية كثيفة على المنزل وبدأ الهجوم الذي رجحت كفتـه في السـاعات الأولى للـرئيس السـابق، وعـلى كثـرة المتساقطين من الهاشميين في محيط المنزل والأحياء المجاورة هزمت الكثرة الشجاعة، وأُنهك المقاومون في المنزل طوال يـومين بـلا توقـف، ثـم تحركـت كتائـب المـوت الأكثـر تـدريبًا مـن صـعدة ومنـاطق المعسـكرات المختلفـة بالمـدرعات والـدبابات والآليـات العسـكرية الثقيلـة للتمهيـد للضربـة القاضـية بعنـف غـير مسـبوق، أسـقطت حصـون صـالح الدفاعية الأخيرة، وسجّل صالح وسط كل ذلك خطابه الـوداعي بنبرة ألـم واضـحة من الهاشـميين الـذين ظن أنهـم جزءًا من النسيج اليمني. وكتب على ورقة صغيرة تعرضه للخيانة داعيًا اليمنيين إلى الحفاظ على مبادئ وأهداف ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة.

قُتل صالح.. وظلت الحسرات تحنو على صنعاء، وأعلن الهاشميون مقتله في طريق رحلته إلى سنحان، وأظهروا تسجيلًا مصورًا لجسده مضروبًا بفأس في أعلى الرأس وأجزاء من الدماغ ملتصقة ببطانية ملونة، وبقايا دم متخثر في قميصه الأبيض، وحوله تجمّع فتية حوثيون يصرخون ويعلنون انتقامهم لمقتل حسين بدرالدين الذي حصدت القوات الحكومية رأسه في سبتمبر ٢٠٠٤م عقب تمرده المدعوم إيرانيًا.

الروح الانتقامية للهاشميين جسّدت تفاصيل مقتل حسين في الرئيس صالح، كل التفاصيل مثل سيارة الهايلوكس، والجنود المحلقون على الجثة، والبطانية التي رفعت الجسد، ولم ينس الهاشميون تغييب جثمان صالح كما غيّب النظام السابق جثة حسين بدرالدين لعشرة أعوام حتى تم الكشف عن مكانها بداخل السجن المركزي في صنعاء، وتتحدث مصادر عن دفن الحوثيين لجثة صالح في نفس المكان الذي دُفن فيه سيدهم.

- ٣ -

لا يجد الهاشميون فكرة حيّة تُرزق للتدليل على رغبتهم في إقامة الحياة وعمران الأرض. لغتهم ميتة، ورموزهم

ميتون، والبكاء سلوك مقدس يُذلّون به شيعتهم، يستغرب الناس قدرتهم التمثيلية في انتزاع الدراما والحزن وإرهاق مآقي ضحاياهم بالدموع، وضرب أجسادهم على رجل ميت لا يراهم أو يشعر بهم، رجل مدفون في قبر ما، أسكنه أعداؤه تحت التراب، وضربوا على مصيره طوقًا من الألغاز والتكهنات، رحلت الخلافة الأموية وهم ينادون "الحسين"، وذهبت الخلافة العباسية وما يزال نداؤهم متصلًا إليه، وجاء المغول والترك والتتار والفرنسيون والبريطانيون والألبان، وصوتهم يرتفع "ياحسين"، ولا مجيب!.

في مصر، يقولون إنّ رأس الحسين مدفون في جامع باسمه قريبٌ من الأزهر، ولا أظنه رأسه، إنما هي حالة الفشل لدى الطب العربي في علاج المرضى الذين يتدافعون إلى حُجرة مزدانة بالرخام للحصول على معجزة تبرّئهم من عللهم وترد ضائعهم، طلبات يعجز المرحوم عن تلبيتها، فلم يكن قادرًا على إنقاذ نفسه من سيف خولي بن يزيد الأصبحي وهو يحز رأسه!. عجز المستشفيات عن علاج الحالات المستعصية أو إخصاب امرأة يُزهر سوق الحاجة إلى السبط الطيب، ويسري باليمنيين صبحًا إلى ضريح يحيى بن حمزة وقبر الهادي وقبة المتوكل لإلقاء ما بأيديهم من

الذهب والفضة و الريالات رشوة لعظام غادرها اللحم وفارقها الروح، والتوسل إليها أن توحي لأحشاء عاقر بإفراز البويضات المخصبة من حيوان الرجل السقيم!. في البلاد الأخرى البعيدة لا يفكر الناس بهذه الطريقة البدائية، بل العلم والكلمات الحية واللغة الجينية، اخترعوا مخصبات طبية وأنتجوا أطفال الأنابيب دون الحاجة إلى معجزة من رجل لم يعد يملك حاسة السمع، أو قدرة الفعل لتلبية حاجة مريديه الثكلى، والضعفاء البائسين.

في العراق يكمن باقي الجسد - كما يزعمون - ولو قرر الكهنة الذين يقال لهم أئمة أو علماء نبش القبر المؤثث بالفسيفساء والقباب الذهبية لإثبات حقيقة الجثمان الضائع لانكشف أمرهم كجُباة للمال الحسيني، وبانت سوءتهم، وسقطت خرافتهم.

صوت الناس وحده من يقرر الضغط لإنهاء حالة القطيعة بين الهاشميين والحياة، إيجاد علاقة من نوع ما تجعلهم يكتشفون سرًا أجمل من الحُكم الذي يرونه عقيدة ثابتة الأركان، سرٌ بديع يحملهم إلى الإخلاص للحياة التي لم يخلقها الله عبثًا وعبئًا على أصحابها. لأننا لا يمكن أن نشغل حيزًا من الفراغ في هذا الكون دون أن يكون لوجودنا معنى، والمعنى هو القيمة في الخلق ذاته،

واستحقاق الإنسان لضميره، وتعاليه عن الشبهات، وزهده في المعاصي والفتن، وسعيه نحو الخير والعمل الصالح. لكن هذه اللغة في قاموس الهاشمية مجرد تطفل لغوي زائد، فالخرافة والموت، وتقرير المستقبل بعد الوفاة، وعود يطلقها الأئمة لأن الخرافة أصل وظيفتهم التي لا يحترفون غيرها ولا يجيدون سواها.

- ٤ -

للهاشمية مخالب، ولها فراء ناعم وثير، إن تقرير مواجهتها مقامرة لا مغامرة تنال من حظ الكاتب والسياسي والمسؤول وشيخ القبيلة، حين لا تكون الهاشمية مسلحة مؤذية تعمد إلى التشويه والتضليل في أخلاق خصومها حد البذاءة والبهتان العظيم، مستغلة أي نكوص في حياة الخصوم للتدليل على "عدالة سماوية" أوقعت بهم، لقد تواردت إلى مسامع الناس شائعات نسجها الهاشميون تطعن في أخلاق وأعراض رئيس الدولة ووزرائه، وفي الرئيس الراحل علي عبدالله صالح رحمه الله واتهامه ببشاعة لا يتصورها عقل، وفي مشايخ قبليين ومسؤولين نافذين بما يوحش الصدر ويُفجع النفس، يهمسون في آذان

الناس بالفاحشة التي لم يرتكبها خصومهم، ويقسمون على الله أنها صحيحة، وأنهم شاهدوها بأعينهم، ويكررون زعمهم أن النبي - عظيم الأخلاق -، وصف خصوم من يسمونهم "آل البيت" قائلًا: "لا يكرههم إلا منافق أو ابن حيض أو زنا أو رجل يؤتى من دُبره "!، وفي هذه الألفاظ البذيئة ما يُنكره العقل والمنطق أن يخرج من فم نبي شهد الله حسن أخلاقه وعظمتها، بل كانت من أسلحة الهاشميين التي يرمون بها خصومهم، ويحسبونها هينة وهي عند الله عظيمة.

من الشائعات ما قيل في أذية السلفيين وأعضاء التجمع اليمني للإصلاح وفي السعودية وما أُصطلح على تسميته المد "الوهابي" نسبة إلى "محمد بن عبدالوهاب"، لقد اختلق الهاشميون آلاف قصص العار عن خصومهم، ودعموها بحماسة عبر خلاياهم النشطة، وعمدوا إلى تشويه كل تيارات الفكر السياسي السُني، لأنهم يرونها أفكارًا قوية تناهض عرقيتهم الاستعلائية، ومن ذلك ما أطلقوه على دول الخليج بأوصاف تسخر من عروبتهم كـ "العربان" في دلالة عميقة تكشف الوجه الفارسي الحقيقي للهاشمية اليمنية التي تسعى إلى تعبئة اليمنيين بجهد مكثف نحو

جعل السعودية ودول الخليج عامة عدوًا استراتيجيًا لهم مطامع استعمارية في اليمن التي لا يغزوها إلا رجلٌ فقد صوابه، أو دولة مُصابة بالاكتئاب قررت الانتحار باحتلال صنعاء!.

في هذه الأثناء يبرز شتامون هاشميون في مواقع التواصل الاجتماعي يشتمون أعراض مخالفيهم علنًا في مقاطع مسجّلة بالصوت والصورة، لا تجد أية إدانة أو إنكار من عموم الهاشميين الناعمين، أو الذين يوصفون بـ "العقلاء"، ولو أن تلك الشتائم جاءت فيهم من أحد خصومهم لجعلوها عنوانًا لمظلوميتهم إلى الأبد، بل وصل الأمر إلى اختطاف طالبات جامعة صنعاء في نهار ٦ اكتوبر ٢٠١٨م، وصعقهن بالكهرباء من كتائب الزينبيات الهاشميات، واختطافهن إلى قسم "الجديري" بالعاصمة و إشاعة الفحشاء ضدهن وضد أهاليهن، ولم ينبس أي هاشمي ببنت شفه، بل تركوا "ذُبابهم الإليكتروني" ينشط بأقوال وتعليقات مُبررة لتلك الأفعال الشائنة التي تهتك عرض وشرف اليمنيات، وهي لم تكن سابقة تاريخية على اية حال، فقد قيل في الشيخ "الدّعام" الذي كان زعيمًا لـ "همدان" وصديقًا للهادي يحيى حسين طباطبا ما يحكيه مؤلف سيرة

الهادي بالقول عن سيده " وكان مع الدعام جُند فُساق يشربون الخمور ويركبون الذكور ويفجرون بالنساء علانية، وأن في بيته أربعمائة امرأة فاجرة! "

وعلى النقيض من ذلك ينعم المهادن للهاشمية الجديدة في اليمن بوظيفة دائمة، ودعاية تصقله حتى لا تُرى عيوبها على كثرتها، ويتخفى فساده وصنائعه المريعة، فيُحمل على فراء وثير، طالما أنه يُقدم الولاء المستتر لتنظيم عصبوي غير مُعلن، تشعر به يسري في أوصال العصب الحكومي، ولا تستطيع رؤيته إلا بانغماس تام يجعل بصرك فائق الرؤية، وبصيرتك نافذة وولاءك عقيدة مخلصة.

بلغت الشواهد الأكيدة في هذا التخطيط حدودها، وقفز المستترون في الظل إلى وهج الدهشة، وتضرر المعترضين بسياط عنف وترهيب لإخضاعهم والقبول بـ "خيانة" غير مبررة لنافذين ومسؤولين وتُجار وقيادات عسكرية ومحافظين وأكاديميين تحولوا فجأة إلى وجه واحد، تملكتهم العصبية السُلالية وتداعوا على الحكم والوظيفة بنهم جائع، فجرفوا أراضي الدولة، وسيطروا على مساحة ٧٠ بالمئة من أملاك الحكومة وأوقافها، وشرعوا ببناء مستعمرات هاشمية حول صنعاء، كمناطق الجراف وحزيز ودار سلم وعطّان وعصر وبيت بوس في استيطان عرقي

وسكاني هاشمي مُنحت له الأراضي السكنية مجاناً بما يضع صنعاء وبقية مدن الشمال اليمني تحديدًا على مستوى المجتمع والحكومات الجديدة - مستقبلاً- أمام طبيعة ديمغرافية متغيرة أفرزها واقع الحرب الأخيرة، وأنتج مجتمعات متحفزة على الدوام للنيل من العاصمة والمدن كلما لاحت القوة، واستعادت الهاشمية سلاحها، وظهر الإمام القاتل بسيفه ودباباته.

لقد ولدت نظرية الاستيطان الهاشمي خارج سياق المبادئ الإسلامية، توسع شرير يُقصد به الإبقاء على جيش كامل من المتنمرين والعصاة والثوار في حالة التأهب حتى يستكمل الهاشميون المنخرطون في سلك الدولة إفراغ النظام من داخله، والتحريش بين قوى الجمهورية، وهدم القيمة الأسمى للحرية التي حملتها ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة. وذلك ما حدث!.

- ٥ -

يسعى الهاشميون من أحفاد "أحمد عيسى المهاجر" - وهو رجل دين وصل إلى أقاصي حضرموت كما وصل يحيى طباطبا إلى أقاصي صعدة في تزامن وتوقيت متقارب - إلى تطبيق عملية عزل واسعة النطاق للاستئثار بالجنوب اليمني كجغرافيا، وعزله عن نسبه السبئي، وهويته القحطانية، ومغازلة العرب أن الجنوب جزء منهم فقط ولا ينتمون إلى اليمن!، وفي إطار هذا التقسيم المفجع للتاريخ والنسب والهوية والأصل تمكن الهاشميون من إدارة أكبر عملية غسيل دماغ لنشطاء التواصل الاجتماعي، وتجريم كل كائن حي يظهر من الشمال اليمني - وفق التقسيم الجغرافي لما قبل الوحدة اليمنية -، كما أنهم ضمن إطار هذا الفصل المناطقي الحاد، يجزئون المجزء، فيشيعون حضرموت إلى "الحبايب" الهاشميين، ويُلقون ببقية الأراضي الجنوبية في هوية أخرى تسمى الجنوب العربي!، وهي عبارة احتيالية تقفز إلى هوية كبرى هي "العرب" وتنسف ما قبلها من الوطنية وهي "اليمن"، حيث لا يستطيع أي مجتمع أن يدافع أو يعبر عن دوره الإقليمي أو الأممي في فراغ فكري وحضاري متلبسًا هوية عامة

لمصطلح اسمه "العربية" جذره الوحيد هو اللسان فقط، وكما قال رسول الله: " إنّ من نطق بالعربية فهو عربي"!.
كانت اليمن عبر تاريخها الطويل ـ ومازالت ـ تشكل أمّةً واحدة موحدة على الرغم من اجتماعها وتفرقها في كثير من مراحل تاريخِها الطويل إلى ممالك ودُول وسلطنات، ومع ذلك كله فقد حافظت القبائل اليمانية على ترابط الأخوّة والنسب فيما بينها، وإلى اليوم تعتبر اليمن من أكثر الدول العربية والإسلامية اهتمامًا بهذا الشأن. أجمع المؤرخون والنسابون العرب على أن "سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان" هو الجد الجامع لكل القبائل اليمانية، وقد جاء الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ليؤكد ذلك في حديثه الشريف عن أحفاد سبأ العشرة، وإليهم اليوم ترجع أنساب قبائل اليمن شمالاً وجنوباً، داخل اليمن وخارجه.
بِغيض من فيض الادلة، نستعرض باختصار عن انتشار القبائل اليمنية وترابطها الأخوي في الدم والنسب في مسمى ـ اليمن ـ اليوم، بحدوده الجغرافية المعروفة.

قبائل حِمير بن سبأ

تنتشر قبائل حمير اليمانية العريقة اليوم شمالاً وجنوباً، فتجد القبيلة في جنوب الوطن أقرب نسباً لقبائل أخرى في

الشمال، وهكذا العكس، فقبائل المهرة ـ مهرة بن حيدان ـ وقبائل نهد في حضرموت، تلتقي في النسب القضاعي الحميري مع قبائل خولان بن عامر في صعدة وما حولها، كما أن هناك بطوناً مشهورة لخولان بن عامر في شبوة ـ عزان الحوطة الروضة وغيرها . وهم آل عمرو بن راشد الخولاني، وقبائل العقارب ـ العقربي ـ المتواجدة تاريخياً في ضواحي عدن وهم من خولان نسباً، وقبائل حضرموت السبئية العريقة مثل نهد وعوبثان وكنده وثعين والأحموم وبالحارث وبالعبيد ونوح والمناهيل، ومنها انطلقت سلطنة القعيطي الحميرية السبئية، كما ورد في المسند اسم الملك حضرموت بن شرح أيل السبئي على سند منقوش في الصخر.

أما شبوة، ففيها جزء كبير من قبائل ذو الكلاع ـ حمير ـ فهاهو القيل "ذو الكلاع "الحميري يتزعم قبائل حمير ـ شمالاً وجنوباً ـ في وفودهم الى المدينة وللمشاركة في الفتوحات الإسلامية، ولقبائل ذو الكلاع ايضاً تواجد في أبين وحضرموت ولحج وإب ومناطق أخرى.

وها هي ذى قبيلة يافع الحميرية ـ ساكنو سرو حمير ـ ترسل وفدَها من ضمن وفد قبائل ذي رعين إلى النبي عليه الصلاة والسلام ليعلنوا إسلامهم، وقبائل ذي رعين اليوم

تنتشر في تعز وإب وجزء من ذمار، وهم إخوة يلتقون في النسب الحميري مع قبائل يافع وقبائل حمير الأخرى، أما الأصابح في لحج .الصبيحة .الحميريين فلهم امتداد أيضاً باتجاه الشمال.

قبائل كهلان بن سبأ:

على الجانب الآخر في القسم الكهلاني من قبائل اليمن العريقة فهم لا يقلون انتشاراً عن إخوتهم حمير في كل بقاع اليمن وشِعابه وجبالِه وسواحله وصحاريه شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً.

انظروا إلى همدان ـ ذروة سنام الإسلام ـ وأحلاس الخيل، مع أن سوادها الأعظم اليوم في شمال الوطن، إلا أن هناك قبائل همدانية كبيرة تنتشر تاريخياً في جنوب الوطن الحبيب، فمنهم قبائل بلحارث والمصعبين في شبوة، وكذلك قبائل آل كثير في حضرموت .الذين أنشأوا في مرحلة من مراحل تاريخهم سلطنة كبيرة سُميت بسلطنة الكثيري وهي همدانية سبئية تأسست في القرن الثالث عشر الميلادي واستمرت حتى ١٩٦٧م.

وها هي ذى مذحج الطِّعان وأكثر القبائل في الجنة، وعلى امتداد سرو مذحج التاريخي من الشمال مروراً بالبيضاء

نـزولاً إلى دثينـة وأبـين تنتشرـ هـذه القبائـل الكبـيرة ذات النسب الواحد، فقبائل عُله بن جلد المذحجية على سبيل المثال ـ ومنهم رئيس الجمهورية عبدربه منصور هادي ـ أقرب نسباً لقبائل مذحج في البيضاء وكذلك مُراد وعبيدة والحداء وعنس وقبائل أود وجنب وسعد العشيرة وكل قبائل مذحج الأخرى المنتشرة شمالاً وجنوباً.

يجب أن يتصفح اليمنيون تاريخهم جيدًا، وأن يضعوا آلاف الأسئلة وعلامات الترميز والتشكيك والتدقيق حول كل المرويات الهاشمية التي يكتبها فلاسفتهم وحُذّاقهم النشطون في لُعبة لُغوية ماهرة تُشكك في حضارة اليمنيين وأصولهم وهويتهم فالصراع اليوم داخل العمق اليمني هو صراع بين هويتين لا ثالث لهما: اليمن بعروبته وانتمائه وتاريخه، والهاشمية بامتدادها الفارسي من حضرموت إلى صعدة.

نبوءة من كهف

في التسلسل الدرامي لقصة النبي صلوات الله عليه خروجه من غار حراء بعد أسابيع من التأمل والمشاهدة والتعبد والوحي الجديد الذي طرق مسامعه لأول مرة حتى انتفض خائفًا، من صوت لم يره أو يعرفه، يقول له "إقرأ"

وبعيدًا عن تفاصيل القصة التي يعرفها الجميع، وثب "حسين بدرالدين" من كهفه في أعلى قمم جبال مران بمحافظة صعدة اليمنية، ووراءه غلامه "مهدي مشاط" يتأبط مداعة نحاسية في مهمة "نبوية" كتبها سيّده لنفسه، حيث كان هو الآلهة والملاك والنبي في تداخل صعب أقنع به ذاته، وتخيل أنه نبيٌّ من عند الله في مهمة إكمال مسيرة القرآن التي يؤمن أنها لم تنته!، ولم يعلم أحد حتى هذه اللحظة من قال له ذلك!، أراد "حسين" الخروج من عباءة

الرسول الكريم في سارد الظن أنه من نسله – كما يزعم – فأعطى غلامه "مشاط" مزيدًا من الملازم الورقية لتوزيعها بين الناس، وقد تعرض الغلام للضرب المبرح والسخرية من أقرانه الذين كانوا يتجولون في مزارعهم وقت حصاد العنب والبرتقال، لما تَدُرّه عليهم هذه المنتوجات من أثمان باهظة عند تسويقه إلى أسواق المملكة العربية السعودية التي لم تكن تبعد عنهم سوى كيلومترات قليلة .

رأف "حسين" بحال غلامه النحيل، وقال له لا تجزع فهكذا كان حال زيدٍ بن حارثة في مهمته الأولى!، إنه من كندة، ومثله عمار بن ياسر العنسي- اللذان كانا من خيرة "المنتجبين" لدى النبي الكريم، وأنا حفيده وأنت مثله!، كشف "مشاط" عن أسنانه الأمامية البارزة وفي فمه بقايا تبغ أسود قائلًا: "ومن شبيه عمار بن ياسر يا سيدي!"، مط حسين بدرالدين شفتيه، وفكر بعمق: "قد يكون صالح الصماد". يومها رحل "مهدي" إلى والديّ الصماد وحذرهما من مصير مشابه لوفاة سمية وياسر والدي عمار!، ورغم أن الصماد قُتل قبل أبويه إلا أن "مشّاط" فسّره بانعكاس التاريخ على الحدث "النبوي" الجديد!.

الحكاية قد تُتلى ذات يوم على أنها حقيقة!، فترقّ قلوب الجاهلين الذين تعرضوا لعملية غسل دماغ واسعة ممن يطلقون على أنفسهم لقب باحث إسلامي، وهي كلمة ساحرة بلغة حاذقة، كأي بنك ربوي يعتمد على لقبه الأخير لتحليل ما حرّم الله من الربا. اعتمد حسين بدرالدين على تغييب سلطة الدولة منذ اليوم الأول لمعركته على اليمنيين في ٢٠٠٤م التي سقط صريعًا على إثرها بعد أربعة أشهر من القتال والتمرد العلني المفاجئ، بفضل قوة الجيش وإسناد رجال القبائل . في الجوار كان الباحثون الإسلاميون ينشطون بتحليل ذلك التمرد وتوصيفه، لتقديم إجابات شافية لأولئك الغاضبين في صنعاء يخمدون بها ظمأهم المعرفي في تبيان تفاصيل التمرد، وأيامه وأركانه، ومن صحيفة معروفة بولائها المطلق لآل الوزير وهم هاشميون لا يعترفون بثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م كتب "محمد عبدالملك المتوكل" مقالًا أطلق تسمية جديدة على المتمردين لم يكن أحدٌ قد سمع بها من قبل، قال إنهم "الحوثيون"، فشاع الاسم على أيدي الصحفيين الهاشميين واعتمدته صحيفة ٢٦ سبتمبر الناطقة باسم الجيش اليمني، ومن هناك بدأت الخُدعة الأولى.

أراد الهاشميون في المناطق البعيدة عن صعدة الاطمئنان على أنفسهم من محاولة توصيف التمرد على أنه تمرد هاشمي واضح يبغي الولاية الدينية لهم، فعمدوا إلى تصدر واجهة الإعلام بشتم الحوثيين، ولم يكونوا سوى الذراع المسلَّحة للمنظومة الهاشمية أصلًا، وإدانة القبائل الذين توالوا معهم، وقد اجتمع إليهم الرئيس صالح في لقاء شهير مُقدمًا شهادة موثّقة على حُسن سيرة وسلوك الهاشميين في تلك الفترة، رافضًا الأصوات القليلة التي كانت تتحدث علنًا عن تمرد هاشمي واضح ينقلب على النظام والسلطة ويتخذ من صعدة منطلقًا له، إلا أن اللحظات الأخيرة من حياة صالح في ٤ ديسمبر ٢٠١٧م كشفت أن شهادته تلك لم تكن دقيقة بما يكفي لمنع الهاشميين من محاصرته داخل منزله وقتله بتلك الصورة المحزنة التي اهتزت لها قلوب اليمنيين.

في الشق الآخر تزعمت مجموعة منهم محاولة إفشال القيادات العسكرية التي تقاتل على تخوم صعدة والسخرية من تضحياتهم، وتأليب البرلمان اليمني على الحكومة الرسمية في صنعاء، واستدعاء وزير الداخلية وقتذاك لمساءلته عن حقيقة الدعم العسكري وضروراته، بينما

انبرى عدد من المشايخ القبليين إلى مهاجمة النظام نكاية بالرئيس الذي رأوا أنه تجبّر واعتلاه الغرور.! بل أن عُصبة جاهلة من أعضاء البرلمان قد دعت إلى عدم حرمان "حسين بدرالدين" من حقه في التعبير عن رأيه!.

توالت الحروب وتجرع اليمنيون المساندون للدولة في صعدة إثر كل مصالحة مع الهاشميين الحوثيين الويلات على أيديهم، فمنهم من قُتل، وغيرهم اختطفوا واختفوا، مجازر لم تدونها الكتب كتلك التي تعرضت لها "المطرفية" وانتهت بإبادة مائة ألف يمني. آخرون تعرضوا للترغيب فاشتروا أنفسهم بالمال، وداهنوا ثم تحولوا إلى جواسيس، وفي كل موقعة تعلو رصاصاتها كان الهاشميون يتحلقون حول الرئيس اليمني لئلا يقترف ذنبًا يخلع عنه رداء "العفو والتسامح". فتعرضت قوافل المهاجرين من صعدة إلى صنعاء للسطو على أيدي الهاشميين والحوثيين معًا حتى استحكم الحوثيون على مناطق واسعة من قرى صعدة التي تعرض فتيتها الأبرياء للغسيل المكثف، ومن هناك بدأ "عبدالملك الحوثي" بالشعور لأول مرة أنه انتقم لـ "علي بن أبي طالب"، بعد أن صار باب مدينة علم أخيه "حسين" المقبور سرًا في باحة السجن المركزي بالعاصمة صنعاء.

فالمرويات الزيدية والشيعية المتطرفة تحكي أن " علي بن أبي طالب" تعرض لمؤامرة في سقيفة بني ساعدة أولت الخلافة إلى أبي بكر الصديق بدلًا عنه، وفي تلك الليلة التي سطا فيها الهاشميون على مركز مدينة صعدة وسط احتفال مكتوم من هواشم صنعاء تعجب "مهدي مشاط" أنه لم يُقطّع كما حدث لزيد بن حارثة، وبدأت شكوك تساوره حول نبوءة سيده الذي لا يعلم مكان جثته، إلا أنه نفض عن نفسه تلك الأوهام وبدأ الاستعداد والتخطيط لمعركة أخرى مع السلفيين الآمنين في قرى دماج حتى تُطهر صعدة من الطائفين والمؤمنين والركع السجود!. وفي غرة عام ٢٠١١م فار التنور في تونس فرحل رئيسهم، ثم في مصر فغادر "حسني مبارك"، وبدأ القلق في صنعاء التي خرجت بعض أحزابها للنيل من سلطة الرئيس خشية على الدستور!، وتطورت الأحداث حتى أطل الهاشميون برؤوسهم من خيام "الربيع العربي" بطلب من أحزاب اللقاء المشترك التي اخترقها الهاشميون أيضًا، وسيطروا على قرارها بمزيد من التحريش بين القوى السياسية، وترأس تلك المهمة ذلك الثعلب العجوز، فأداروا بدهاء معركة منفصلة عن الحوثيين الذين كانوا يُصفّون ما تبقى من صعدة لتأمينها شارعًا شارعًا، وقد كانت على سبيل

التـاريخ مـدينتهم الأثريـة التـي اختارهـا الفـرس عقـب الاحتلال العثماني لليمن وجعله صنعاء عاصمة سياسية في تقاسم شهير بين بقايا الفرس الذين تحولوا إلى أئمة زيديين والعثمانيين الذين لم يحفلوا بالأبعاد الوظيفية لصعدة.

أما صنعاء القرن الحادي والعشرين فقد بدأ الهاشميون فى الظهور علنًا دون خشية من تناقض مروياتهم السابقة في لعن الحوثيين وشتمهم وتكفيرهم، واجتمعوا في سقيفة بيت الشامي لتوقيع الوثيقة الفكرية الأولى لتنصيب عبدالملك بدرالدين إمامًا مؤجلًا على اليمنيين، وكانت تلك الوثيقة المرادفة لوعد بلفور في إحلال الهاشميين على أراض يمنية تنتزع منهم بالقوة والبطش استنادًا إلى لاهوت مزعوم، وولاية غير مُقرّة لرجل يزعم إنه من قريش!.
نشط الهاشميون في كل فرع ومنظمة وصحيفة، ولدى كل شيخ وغفير ووزير ورئيس للترويج للحوثية التي تؤمّن شوارع صعدة، وتنشر البسمة في وجوه الفلاحين السعداء!، حتى إنها قضت على المهربين والمروجين للمخدرات والسلاح، زعمت ذلك رغم أنها نصّبت أخطر المروجين والمهربين محافظا على صعدة دون أي وجه دستورى سوى أنها تملك أداة من أدوات الثورة التي كانت

تغلي في صنعاء، ومع انشقاق الجيش تبسّم الإماميون، فأكملوا دورة العنف السري بعملية الاغتيال الإرهابية للرئيس اليمني في جامع الرئاسة بالعاصمة، وارتفعت أصابع الاتهام لإدانة حزب التجمع اليمني للإصلاح الذي كان مشاركًا أصيلًا في احتجاجات الربيع، ومن أسماهم الرئيس صالح الذي نجا بأعجوبة بـ "الجناح القبلي للإخوان". غير أن دورة سريعة للأسماء التي شاركت في أحداث هذه العملية وماقبلها من اغتيال علني لخمسين شابًا وسط صنعاء في احداث مارس الحزين تفرز لنا إطارًا مكثفًا من الهاشميين الذين لم يكونوا قد تشكلوا ضمن خارطة جينية واحدة سياسيًا وعسكريًا، وكان تفرقهم بين الأحزاب، والتشكيلات الحربية، والتنظيمات المدنية، وصحف الرأي ووسائل الإعلام، تمويهًا لتشتيت عقول اليمنيين، وزيغ أبصارهم عن رؤية الهاشمية العبقرية وهي تحفز الآخرين بأكل الثوم بفمها، ثم لا تصدر عنهم رائحة سوى العطر الثمين الذي كانوا يهدونه سرًا إلى ضحاياهم المغفلين.

تنازل الرئيس اليمني علي عبدالله صالح عن رئاسته الطويلة منتظرًا الفرصة للثأر من خصومه الذين عرّضوه لحفلة شواء غادر احترقت فيه أجزاء واسعة من جسده،

وقد بالغ الهاشميون الحوثيون في تقديم أنفسهم كحليف متوقع للانتقام بأيديهم. ومع انقضاء العامين اللذين فُسّرا على أنهما تحديد لرئاسة الرئيس الجديد عبدربه منصور هادي في المبادرة الخليجية الشهيرة، اقتحم الحوثيون بآلات عسكرية ضخمة ومقاتلين مهووسين بالموت أسوار قرية دماج بحثًا عن المؤمنين الذين كانوا يطوفون حول مبانٍ طينية في ذلك الوادي الخصيب، فاشتبكوا معهم وظلت الحرب مستعرة لأكثر من أربعة أشهر، حتى أُخِرج صحابة العالم السلفي "يحيى الحجوري" من صعدة إلى صنعاء ثم الحديدة، فلم يشفع لهم أحد، ولم يجدوا نجاشيًا واحدًا يرحمهم من طول الغربة، وجحيم الهجرة واللجوء، غادروا مواكبَ تترى بعائلاتهم وأوانيهم وطنافسهم النحاسية صوب المجهول، ولحقهم "مهدي مشاط" إلى ضواحي حوث في عمران، إلا أن جريان السيول حال دون عزيمته قتلهم في طريق هجرتهم، في تلك الليلة عاد "مهدي" إلى منزله لمشاهدة فيلم "الرسالة" فتأكد أنه يُشبه الوليد بن عتبة، وأن سيده المذبوح في بدر لا يقل إجرامًا وغرورًا عن أبي جهل، وببلادة برر لنفسه أن قرين القرآن الجديد في صفّه، لم يقتله علي بن أبي طالب كما فعل بالوليد، ولأنه لا يعقل حشا فمه ببقايا تبغ أسود وانتظر حتى أغمي عليه،

ورأى في غيبوبته سيده القديم يهبط عليه من النار وقد احترقت أطرافه وذابت أحشاؤه: سأله: "إقرأ، فصاح مهدي: " ما أنا بقارئ "!، تبسم سيده رغم النار واللهب، وعاد كشهاب إلى السماء وتلك الصرخة تسكّ مسامع الرجل فاقد الوعي، وقد أحس بركلات أخرى تدفعه إلى البحر، فلما أفاق وجد سيده الجديد على رأسه يصب ماءً كثيرًا حتى أغرقه، قائلًا: " انهض أيها البليد، أحسبت أنك نبي؟، وأنت هذا الغلام الذي لا ينتسب إلى بيت النبوة"!. انتفض "مهدي" في جزع، متمتمًا بأعذار لم يفهمها، حينها قطع عليه عبدالملك بدرالدين جزعه قائلًا: " ابحث عن مداعة سيدك "حسين" وألحقني بها ". اندفع "مهدي" إلى الخزانة الصغيرة فأخرجها ونفض غُبارًا قديمًا علق بها، ثم قبّلها بشوق، وأسرع في اللحاق بسيده إلى سيارته متعلقًا على ركابها، كانت الريح تصفق وجهه، فيرفع رأسه إلى السماء متنهدًا: " أين أنت ياسيدي حسين "!. ولمّا لم يجبه أحد، صرخ بالموت لأمريكا حتى اشترق وكاد يسقط عن سيارة سيده الجديد.

هوامش

- ١ -

اجتاحت ميليشيا عبدالملك بدرالدين العاصمة صنعاء مساء ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م، وأعلنت بعد ستة أشهر إسقاط النظام الجمهوري وحصار منزل الرئيس عبدربه منصور هادي وإجباره على تقديم استقالته إلى البرلمان اليمني معلنين خسارة اليمنيين لديمقراطيتهم، واجتهادهم الديني، وتعدديتهم السياسية، وحقوقهم الفطرية في الحرية والرأي، لم تكن في مواجهة الحوثيين الهاشميين قوة عسكرية فاعلة في ظل خسائر الجيش المتوالية لكل معاركه مع الحوثيين الذين أفصحوا علنًا عن وثيقتهم الفكرية والسياسية، ونظرتهم للولاية الدينية على السلطة في اليمن، واعتمادهم نظرية البطنين التي تقضي بحصر حُكم اليمن في سلالة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب. مثّلت هذه

الردة الحضارية للشرع الجماعي انتقاصًا فاضحًا لليمنيين في تولي شؤون دولتهم، وعلى الرغم من استمرار الهاشميين الذين سمّوا أنفسهم بـ "أبناء الزيدية" دون أن يدللوا على يمنيتهم المزعومة إلا أنهم رفضوا علنًا وبقوة السلاح تولية أي يمني منصب السيد "العَلَم" الذي استلهموه من نظرية جدّهم يحيى حسين طباطبا الشهير بـ "الهادي" في سلسلة الترتيب القيادي لمناصب الدولة. ويعني الشخص الهاشمي فقط الذي يكون عَلَمًا بارزًا. بذلك يكون خميني ذاته قد استلهم فكرة إمامته وتحويرها بالشكل المعمول به في سلسلة تراتب القيادات الحاكمة لإيران من نموذج الهادوية السياسية والدينية القائمة على حصر الإمامة الحاكمة – وتعني السلطة المطلقة – في أحد سُلالة البطنين "الحسن والحسين".

نصّت الوثيقة على أن أي مخالفة لمنهج "الآل المكرمين" هو اجتهاد مرفوض، وركزت على مسألة الاصطفاء الديني معتقدين أن الله اصطفى أهل بيت رسول الله هداة لهذه الأمة، وورثة الكتاب من بعد رسول الله!، ورغم مخالفة ذلك المنطق لمقصد القرآن الكريم في وصف أهل البيت وتحديده في زوجات النبي فقط، إلا أن الأمر لم يرتكز لدى الزيدية أو الهادوية، بل هو عقيدة ثابتة في الأصول الاثني

عشرية الشيعية لا يكتمل الإيمان دونه، وأن إمامة علي بن أبي طالب جزء من نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم.
نشوء الجمهورية خمينية في عام ١٩٧٩م التي حوّلت المذهب الاثني عشري من مذهب منتظر لخرافة خروج المهدي المُخلّص، إلى مذهب حاكم يملك نظرية سياسية ودينية كانت بفرض خميني لمنصب جديد أسماه " نائب الإمام أو الوليّ الفقيه - أي نائب المهدي المنتظر - الذي يجتهد لتوفير البيئة اللازمة لخروج الرجل الغامض من سردابه، وأهم اجتهاد هو السيطرة على مكة المكرمة، وتولية أحد الهاشميين المميزين شريفًا عليها، كما كان الأمر في بدايات القرن التاسع عشر. قبل أن تطيح ثورة بن سعود على الهاشميين في الحجاز، وتعلن عن توحيد نجد والحجاز وعسير في مملكة واحدة إسمها المملكة العربية السعودية في ٢٣ سبتمبر عام ١٩٣٢م.

- ٢ -

اختفت مذبحة إبادة فرقة المطرفية من كل كتب التاريخ اليمني إلا القليل منها تناول المذبحة الإنسانية في سياقها التاريخي دون إدانة للفكرة الأصلية التي دعت السفاح

عبدالله بن حمزة إلى ارتكاب تلك المجزرة بحق أناس يناهضونه فكريًا، ويدفعون باتجاه أحقية اليمنيين في حكم بلادهم!، تلك النظرية التي تبنتها المطرفية كانت السبب الحقيقي وراء عملية الاستلاب والذبح والإرهاب والترويع والسبي التي تعرضوا لها من عصابات تشابه اليوم زمنيًا جماعة "انصار الله" - الذراع المسلحة للهاشمية في اليمن. وتنسب المطرفية إلى "مطرف بن شهاب" وهو قائد يمني تعرض للسخرية من مناصري ابن حمزة الذين حذفوا حرف الفاء من عبارة مطرف كنوع من الاستهزاء ليصبحوا "بني مطر"، وقد صار هذا الاسم هو السائد حتى اليوم، وبني مطر إحدى قبائل طوق صنعاء السبع.

بدأ الخلاف الذي أودى إلى تلك المذبحة من جانبه الفكري والسياسي والديني بمناظرة بين فقيهين ينتميان إلى الزيدية الهادوية هما "علي بن شهر" و"علي بن محفوظ" وكانت أوجه الخلاف كالتالي:

علي بن شهر: إن الله تعالى اخترع الأعراض في الأجسام اختراعاً إنها لا تحصل بطبائعها

علي بن محفوظ: إن الله خلق الأصول الأربعة: الماء - النار- الهواء - الثرى ، وإن هذه الأصول هي التي تدبر العالم بتفاعلها مع بعضها بعضًا، فتؤثر في غيرها وتحدث

التغيير بالإحالة، وتغير نفسها، أي بالاستحالة ،وبعد وفاة علي بن محفوظ تبنى "مطرف بن شهاب" أفكاره ونسبت إليه وسُمي أتباعه بالمطرفية

- وصلت المطرفية على عهد عبدالله بن حمزة الحد الذي لا يمكن التغافل عنهم بسبب أفكارهم التي كانت تهدم أصول الهادوية بسلاسة وهدوء، فكان عبدالله بن حمزه يحابيهم، ويدمجهم، ويتجنب الصدام معهم، فعمل على توليتهم على المناطق التي هم فيها. ولم يستمر الأمر طويلاً حتى ضاق بهم ذرعًا، فعمل على تعيين ولاة على مناطقهم من الهاشميين، مما استفز المطرفية وبدأت الكراهية تدب بينهم.

- عرف المطرفيون بما كان يجول في خاطر عبدالله بن حمزه، فأقاموا الأمير "المنتصر بالله محمد بن المفضل" العفيف محتسباً عليهم وليدافع عنهم، كان عبدالله بن حمزة يكن المودة للمنتصر بالله محمد بن المفضل العفيف فعمل على مهادنة المطرفية حتى سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م وهي السنة التي توفي فيها الأمير المنتصر بالله. قام عبدالله بن حمزة بالتضييق على المطرفية فعمل على امتحان الناس في أقوال المطرفيه وخاصة في قولهم بالإحالة والاستحالة، وركيزة الحكم والولاية في غير البطنين "الحسن والحسين"،

فإن أقر بها الممتحن أمر بضرب عنقه وإن أنكرها خُلي سبيله.

- اجتمع حوالي ٦٠٠ من علماء المطرفيه في هجرة وقش لمناظرة الإمام عبدالله بن حمزة في المسائل الخلافية فقبل ابن حمزة المناظرة وقد قرر في نفسه قراراً لا رجعة فيه مفاده التخلص من المطرفية إما بإخضاعها له دون قيد أو شرط وإما بقتلهم وتشريدهم واستباحة حرماتهم ، وكان بحاجة إلى مسوغ شرعي لذلك قبل المناظرة. وبناء على المسوغات العقيدية في ظاهرها، والسياسية في باطنها، أعلن حُكمه النهائي بتكفير المطرفية بسبب معتقداتهم.

بعد المضايقات التي تعرضت لها المطرفية اختتم ابن حمزة مواجهته معها باقتحام هجر المطرفيين وتدميرها، ابتداء بهجرة قاعه: حصن وبلدة غربي عمران بمسافة ١٢ كيلومتراً في سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧م ومروراً بـ وقش: قرية عامرة من مخلاف بني قيس ، من أعمال بني مطر ثم من أعمال صنعاء ثم سنع القريبة من صنعاء وغيرها من الهجر، فقُتل الرجال وسبي النساء والصبيان، وصودرت الدور والاملاك، وأحرقت الكتب، وهدمت المساجد بدعوى أنها مساجد ضرارية إلى أن أنتهى أمر المطرفية في سنة ٦١١هـ / ١٢١٥م.

ترجح بعض المصادر التاريخية أن الخسائر البشرية التي لحقت بالمطرفية بسبب فتوى عبدالله بن حمزة إلى مائة الف ويزيدون، ويبدو أن هؤلاء المؤرخين استقوا معلوماتهم من بعض المصادر التاريخية التي تشير إلى وجود مقبرة عظيمة وجدت بالقرب من قرى بني الفليحي: قرية من بلاد ثلا من عزلة المصانع الخارجية، -وهم من انصار المطرفية- قتلهم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة -شقيق عبدالله- خلال حربه مع المطرفية.

أبو لهب لم يمت !

قصة أبي لهب القصيرة في القرآن الكريم لا تعني فقط أبا لهب الميت، بل تلعن أبا لهب الحي الذي يقتل اليوم باسم الإسلام .

لقد أسلم الرجل بعد ألف وأربعمائة سنة على دفن نسخته الوراثية تحت أنقاض منزله الطيني في مكة، غير أن نسخة أبي لهب اليوم لم تعد بعيدة في طبائعها النفسية، وتصرفاتها العدوانية، وغرورها الآثم عن ذلك الكافر الموعود إلهيًا بنار خُصّصت لتعذيبه وزوجه الشمطاء التي أوقدت النار في وجه رسول الله عليه الصلاة والسلام.

الهاشميون اللهبيون يوقدون النار في وجه مسلمي اليمن اليوم، إلا أنهم أداروا المعركة بطريقة عكسية، زعم الحوثيون وهُم الذراع المسلّحة للمنظومة الهاشمية أنهم

الصحابة والمجاهدون المؤمنون، وضحاياهم من ينطبق عليهم صفات المشركين، وأصحاب الإرهاب، ونسخة شريرة عن يزيد بن معاوية الملعون في شريعتهم على معركته الافتراضية مع الحسين بن علي، تلك المعركة التي ينقلها غبار التاريخ في مجلدات شتى، يتورط فيها المفكرون ويحومون حولها دومًا، ولم يسأموا منها، فهي سلعة الهاشميين التاريخية، وبضاعتهم التي يستحلون احتدام الخلاف حولها، ليرفعوا قميص الحسين المضرج بالدم، وعلى رمح حديدي، يستوي رأسه الجميل مُذكّرًا المسلمين بفداحة الخسارة التي تعرض لها سبط النبي الكريم، ومرارة الظلم الذي تعرض له الرجل وعائلته، حتى تحولت القصة بعد مرور الزمن إلى "عقدة اضطهاد" يبرع فيها الهاشميون، كلما حاولوا الهروب من جنايات أسلافهم التاريخية التي اقترفوها على الشعوب الأخرى، وليس أنكى مما فعلوه في اليمن حتى هذه اللحظة.

لا يعني اليمنيين كضحية أخرى أن يتحولوا إلى رقم في سجل الكوارث الإنسانية التي يتقنها الهاشميون في بلادهم، فهؤلاء أو أولئك الذين يقتلون اليمنيين، سواءً كانوا هاشميين و فينيقيين، على أسنة رماحهم، وأصوات

بنادقهم، وزمجرة دباباتهم، تعطلت الحياة في اليمن، وأبيدت قرى بأكملها، وتمزق النسيج الاجتماعي وعلا النواح كل بيت، وانحبست الأموال في بيوتاتهم المنهوبة من أصول كانت حقًا لمُهجّرين غرّبهم البطش الهاشمي بعيدًا عن بلدانهم، وحبستهم منافيهم الإجبارية، حتى صاروا كأولئك الفتية الفلسطينيين الحالمين بعودة تبدو مستحيلة إلى حقول الكرم والزيتون.

هؤلاء الذين لا نعرف لهم شكلًا، أو لونًا، أو هوية، أو نسبًا، قتلونا. هذه هي مرارة الخطاب اليمني صراحة، لم يفعل ذلك أحدٌ غيرهم. فقد عاش اليهود وهم يمانيون أصلاء لا شائبة في يمانيتهم بين ظهرانينا كمسلمين دون أن نشهد معركة معهم، أو تحريشًا يقود إلى فتنة، أو طعنة أخرى في ظهر يمني أعزل كان يجوب الوديان في الليل فمات كرقم تنفيذًا لوصية إمام هاشمي سبى نساء قريته ونساءه، وقتل من أهله الكثير حتى فزعوا وهربوا.
أولئك الذين قَتَلوا اليمنيين بالأمس غادروا لائحة الاتهام لعدم كفاية الأدلة! وأفرج عنهم التاريخ بحكم البراءة!، لكنهم لم يدعوا الدم يفر من أصابعهم، كتبوا كل جريمة اقترفوها بفخر، وسجّلوها كملاحم مرجعية لأحفادهم

يتعلمون منها إتقان التعذيب والتدمير والقتل، وقد حدث ما كنّا نخشاه، وأنتجت كتبهم التاريخية مزيجًا من المندفعين إلى لذة القتل والتهجير كأسلافهم، وبدأ حسين بدرالدين من جبال صعدة في ٢٠٠٤م إطلاق أولى الرصاصات باتجاه نقطة عسكرية آمنة، قتل فيها خمسة جنود، وفر أصحابه هاربين يصرخون بالموت لأمريكا ويصبّون كل اللعنة على اليهود!.

ما الذي أراده حسين بدرالدين يومذاك؟ لم يدر في خلد الرئيس علي عبدالله صالح حينها أن تلك الغارة المخزية على جنود أبرياء كانت إيذانًا بإعلان العودة الهاشمية إلى ساحة الجريمة التاريخية بلقب جديد يُدعى "الحوثي"، وبدأت المعارك الصغيرة حتى وصل "صالح" إلى قلب صعدة، ومن جامع صغير، هو وكر الزيدية الهادوية، انطلقت صيحات المحاربين في وجه رئيس الدولة تحديًا واستخفافًا بقدرته على إحلال السلام هناك، وأدرك الرجل أنّ هؤلاء الفتية، الذين ساندهم قبل أعوام لإقامة معسكراتهم الصيفية بمسمى "الشباب المؤمن"، كانوا خلية مسلحة استغلت دعم النظام لنشر ثقافتهم الإرهابية، واستقطاب المزيد من العناصر الممكنة، لتولي عمليات

السطو المسلح. وعلى الفور تحلق الهاشميون حول الرئيس، وبادروا بالوساطات واللجان، من صنعاء إلى صعدة، و أظهر "حسين بدرالدين" لعدد من أصدقائه المشايخ أن نشاطه منحصر. في العمل الفكري، ولم يعترض عليه سوى تيار عسكري في الجيش اليمني له ميول سُنيّة متطرفة، وهم الجيش الذي يقوده علي محسن الأحمر. استمر التحشيد من الطرفين، واندلعت الحرب رسميًا في يوليو ٢٠٠٤م، وشاركت القبيلة اليمنية في المعركة، وخسر "حسين بدرالدين" في غضون أربعة أشهر، وانتهى الأمر بدفنه سرًا، ونشر صورته علنًا لحسم أي تأويل ينفي ذلك. ولكن الحرب التي أراد لها الهاشميون أن تستمر لم تنقض بنهاية باعثها الشرير، فتولى أخوه عبدالملك بدرالدين زمام الحركة وسط حماية أكثر حزمًا، وإعداداً حربياً استفاد من ميدان المواجهة العسكرية، وبتمويل مباشر من حزب الله وإيران، واندلعت معارك تلو أخرى، وفي كل معركة كان الهاشميون المنخرطون في الجيش الحكومي يتظاهرون بالاشتباك مع العناصر المتمردة، ثم يتركون كل عتادهم لهم، ويفرون من مواجهتهم بذرائع واهية، وفي ست حروب مباشرة استمرت ستة أعوام خرج المتمردون بترسانة عسكرية مكّنتهم من تنفيذ إعدامات جماعية

لمعارضيهم في محيط صعدة، مُستغلين معاهدات الهدنة لإرهاب من يحاول اعتراضهم بالانضمام إلى الجيش، وتأييد الدولة عليهم. تولى الهاشميون وأنصارهم من الفتية المغسولة أدمغتهم بإحاطة مناطقهم، وتشكيل حملة دعائية شاملة نزفت مظلوميتها في وسائل الإعلام المتعاطفة، وأسكتت أصوات الضحايا الذين ذبحوا تحت أشعة الشمس دون أن يجدوا بواكي لهم.

انسحبت الدولة من صعدة، وتحمل الفريق العسكري التابع للجنرال علي محسن تبعات الحرب والهزائم، وخسر أصوله الشعبية مع اقتراب الدعاية المعلنة لنجل الرئيس صالح كخليفة محتمل، واشتباك أركان الحُكم في صنعاء على "تقاسم الكعكة" دون إدراك لخطر الهاشمية التي كانت تعوي منفردة ومجتمعة في الجبال المحيطة بصنعاء، مُستنفِرة كل ناب ومخلب لصقل جوارحه استعدادًا لثورة يكاد لهيبها يشتعل. واندلعت الاحتجاجات في ٢٠١١م، وانقسم النظام على بعضه، وخرج "محسن" إلى الشارع معلنًا التأييد، وسقطت صعدة كلها في يد الهاشمي الحوثي، وتسلّم معسكراتها وقطعها الحربية وذخائرها العسكرية، وضمّها إلى ذخيرته، وأقبل إليه المدد علنًا من حزب الله

وإيران، ومن هناك اشتوى معارضوه، وخسروا حروبهم الصغيرة في ظل عزوف كلي لأركان المواجهة في صنعاء عن ورش إعدام حصدت البقية الأخيرة من المؤمنين بنظام يتعرض لمأزق كبير في العاصمة على أيدي مجموعات حزبية تنادي بإسقاطه ورحيل الرئيس.

وفجأة، احترق صالح وأركان نظامه، وجاء الهاشميون ليعقدوا صلحًا يمحو زمن الحروب السابقة - هكذا قالوا وحلفوا - فيعترف بهم الرئيس كقوة على الأرض، ويمنحهم أنصاره ورجاله على مهل، ورحل صالح عن عرشه، وجاء نائبه فاشتعل الخلاف بينهما على مدى عامين. في تلك اللحظات اقتحم الهاشميون الحوثيون منازل المواطنين في دماج، ومنها إلى الجوف، على وقع مباريات الحوار الوطني الودّية، وفي كل مذبحة كان الضحايا يُدفنون دون ضجيج، فاليمنيون متحلقون على طاولة خشبية من طراز إيطالي مزيف بإحدى قاعات فندق موفنبيك الجديد للنقاش حول المستقبل اللامع، ولم يكف الهاشميون عن اختراق كل رأس، وتنظيم كل وسيلة، والرد على كل جُنحة، واستقاء المظلومية التاريخية والمعاصرة، وتصوير حسين بدرالدين كداعية أوقعه سوء

حظّه في بلاد لم تُقدّر إنجازاته الفكرية حق قدرها، فجاء العام الثالث وقُتل القشيبي في عمران، وانهار منزل الشيخ الأحمر بقنابل مسحت رمزيته من رأس حاشد، وانهارت البوابة الشمالية لصنعاء، وأرسل النظام الذي صار متوترًا وقلقًا المسعفين والوسطاء بربطات العنق للقاء المتمرد الأكثر تنظيمًا، وصارت صعدة قبلة المتشيعين والباحثين عن عقد عمل يكون شرطه الأوّل إلزاميًا، ويتعلق بقدرة الباحث على جلب أعداد من الفضوليين إلى أوكار الغسيل الديني، ليخرجوا معبئين بأوهام المسيرة القرآنية، وتأويلاتها الجافة لكتاب أنزله الله رحمة وهدى ونورًا.

أغار الهاشميون على مُقدّمة صنعاء وذبحوا كل من فيها، ثم حصدوا صنعاء في أيام قليلة، وصاروا هُم المشرفين على الرئاسة والقرار، وذهبوا مرة أخرى للعب مباراة ودّية مع أولئك الذين يحرصون على أناقة مظهرهم وردائهم، وصارت نصف بيوت الطرف الآخر الذي أزاح صالح عن الحكم في أيدي الحُكام المتأهبين لإعلان النزال الأخير على دار الرئاسة، سقط الأمن المركزي وتولاه عقيد هاشمي، وسقطت قيادة الحرس وتولاها عميد هاشمي، وسقطت وزارة الدفاع والقيادة العامة وأصبح يحيى الشامي آمر القوات ومُحركها، وسقطت السيطرة، وشُلّت

الحركة في صنعاء. حينها شرح المؤتمريون شفاههم تشفيًا وانسحب عقلاؤهم يولولون على حظ الجمهورية وهي تسقط، دون أن يسمع أحد من الجمهور صوت نحيبها، وأصبحت صنعاء يوم ٦ فبراير ٢٠١٥م عارية بداخل أسوارها، وأعلن الغاصبون نيلهم منها حسب قانون المتعة خميني الذي أرسل مهنئيه بطائرات محمَّلة بالمال والخبراء والسلاح. وفجأة ظهر الرئيس عبدربه منصور هادي في عدن، وانطلق الركب إلى تعز ومنها إلى عدن لملاحقته، وحدثت المجزرة الجديدة، الرصاص في كل شارع، والقتلى يتساقطون كالجراد، والطيارون الحربيون من عائلات هاشمية مُضادة للجمهورية يقصفون قصر. معاشيق حيث يتحصن الرئيس، والمقاومة تُعلن تشكيلاتها التلقائية في مواجهة تتارية هاشمية، كان الناهبون يجتاحونها والمقاومة تنتقي رؤوسهم وتُفجّرها، الجميع في حالة اشتباك مزدوج، القادمون يريدون تثبيت ولاية حصرية للهاشميين على كامل التراب الوطني، والرافضون يتحركون كالأشباح بين سلاسل الأحياء لسحق هذه العنصرية العرقية ودُعاتها المستذئبين.

تعرض ساحل البريقة الهادئ لموجة نزوح كثيفة، وسقطت في الوسط دفعات من صواريخ الكاتيوشا أحالت جثث ٦٥ عائلة إلى أشلاء، وابتلع البحر صوت النشيج المؤلم، وغادرت الصور إلى شاشات التلفزة، ولم ينخلع قلب الزينبيات في صنعاء على مجازر ارتكبها عيالهن في حق نسوة وأطفال لهم روح وقلب ودم، لا يهم طالما سيحضر. السيد الهاشمي إلى صنعاء مُحتفيًا بولايته على جبل من جماجم اليمنيين الذين يستحقون الموت! .

في صنعاء اليوم اختفت سورة المسد من صلاة الجماعة، ولم تعد تقرأ على الملأ كيلا يشعر الهاشميون الحوثيون أنها تغمزهم، فالقرآن في عهدهم ليس مصدر تشريع، وإن معرفة الله مرجعها عقول الباباوات الزيديين. ومما قالوه في كتبهم "إن جميع العقول مفتقرة إلى عقول الأئمة، ولولا ذلك لما احتاج أحد إلى إمام، ولسقط فرض الإمام عن جميع الأنام".

وفي حكاية أخرى من فواجع الموت اليمني قضى نحو مليوني يمني في حروب تهامة بقيادة الزرانيق الذين استلبهم الإمام أحمد في منتصف القرن التاسع عشر

حقوقهم وأراضيهم وولى عليهم شيخًا من الهاشميين يقال له "الأهدل". ولماذا نذهب بعيدًا وفي دفاتر ومجلدات حقوق الإنسان الصادرة في الأعوام ٢٠١٤- ٢٠١٨م توثيق لـ "٢٨٦, ٢٠" جريمة قتل نفذها الهاشميون بالرصاص والألغام على اليمنيين الآمنين في بيوتهم وطرقاتهم، ونزوح كلي لـ "أربعة ملايين وخمسمائة وثلاثة وعشرين ألف عائلة يمنية"، دفعت ثمنًا مروعًا لرغبة الهاشميين العنيفة في تولي مقاليد السلطة المطلقة في اليمن، ألم تكن هذه صهيونية أولى بكتب التاريخ اليمني من حكايا كريستوفر كولومبس مع ملكة البرتغال!

لقد خسر اليمنيون إسلامهم النقي في اللحظة التي اعتنقوا المذاهب الهاشمية على تعددها "الزيدية، الصوفية الشافعية والإسماعيلية"، واستبدلوا ملوكهم وحضارتهم وتاريخهم ومجدهم بشخصيات من عائلة واحدة يقال لهم "آل البيت"، ودفنوا مبدأ الشورى الذي تفردوا به عن سائر الأمم خدمة لحكومة إقطاعية قائمة على الحق السُلالي المقدس والاصطفاء العرقي، وعلى مدى ألف عام تمكن رجال الدين الهاشميون من محو وشطب الشورى من ذاكرة الناس، وتلوين نظرية البطنين بأقلامهم وعباراتهم

حتى غرقت المكتبات بإنتاجهم وروايتهم الوحيدة لأحداث الزمن وتقلباته.

ثار اليمنيون في ٢٦ سبتمبر الجليل قبل ثمانية وخمسين عامًا من أجل أهداف رسمتها مخيلتهم عن واقع جميل، لكنهم لم ينتهوا إلى إخضاع الهاشمية للمواطنة الحقيقية، ولم يحفلوا بإدانة الجريمة والعنصرية، والعمل على التغيير الفكري، والحد من الإقطاع، وتقليص الطبقية الفارقة في المجتمع، فقط كان الأمر شبيهًا بتغيير ثوري في بنية النظام السياسي، وكأن الأمر كان متعلقًا بأسرة واحدة فقط. لم يستطع الثوار الجُدد الخروج من عقبة التاريخ اليمني الذي يكتبه الهاشميون الحاذقون دومًا، أولئك الإرستقراطيون المنتحلون لصفة الطبقة الأولى في اليمن وقفوا بدهشة أمام مجرى التغيير الذي أدارته أيدٍ يمنية للمرة الأولى في تاريخهم، وعندها منحونا قسطًا لازمًا من الغرور الذي يشبع وجوه الثائرين، وفي تأويل الثورة فسّر الهاشميون ذلك الفِعل البطولي بالمصادفة التاريخية التي تجب إعادتها إلى الخلف.
فما الذي فعلوه؟

اغتالوا أول شاعر يمني منذ الغزو الهاشمي الأول اسمه محمد محمود الزبيري، الرصاص كان الحل الوحيد لهم أمام ذلك الرجل الذي أعاد للشعر صوته المعبر عن الحقوق العامة للأمة، والثورة على الظلم والانحياز إلى جانب المواطن المقهور في ظل سلطة غاشمة لا تعترف بغير عرقها الاستعلائي حاكمًا وناهبًا لموارد شعب أدخلها مطمئنًا إلى سلامة إسلامها، فإذا بها تظهر على هيئة أبي لهب.

لم يكتب التاريخ شيئًا عن جرائم الهاشمية المدوية في اليمن، وما يُنقل من عثرات الإنصاف إلينا لنجعله شاهدًا على المذابح المدفونة في اليمن يأتينا من مدونات مغرورة كتبها الهاشميون بأقلامهم، وقد أدهشتهم أصوات رجع الصدى لأنين يمني متصل منذ ١٢٠٠ سنة، جعلهم في حاجة إلى تغليب شرع الأمة الجماعي بديلاً عن نسب غير مقدس يمثل في أساسه رفضًا قاطعًا للهوية الدينية التي يقودها متعصب منحته الصدفة العمياء سببًا للانطلاق من الكهانة إلى الجريمة في نقلة ساخرة على رقعة شطرنج ملتهب.
في المنهج الجمهوري التعليمي عقب عام ١٩٦٢م كان على اليمنيين استقبال كمية ضخمة من الكتب لمؤلفين هاشميين من أولئك الذين استطاعوا الحفاظ على رؤوسهم، وفي كل

حقبة زمنية تناسلتها الأزمات الداخلية تحرك العسكر وسقط الرؤساء، إلا المنهج التعليمي،كان حذرًا من تعليم اليمنيين أنفسهم معنى الثورة، وظل على حاله هكذا، يتطور فقط ليزيد كمية الصفحات الخاصة بأساطير سندباد ونوادر جحا وملحمة المظفر قطز!.

مع اغتيال الزبيري لم يقرأ اليمنيون شيئًا عن نضاله، لم يسمعوا صوته، لم يشاهد الجيل الجديد مشاعر الثورة وأهدافها ورؤساءها وتعقيداتها، كتب الهاشميون في المنهج التعليمي عن الهاشميين، حتى صار المطاع والمتوكل ومطهر كل شيء في الجمهورية، بل وصل الخداع إلى نسبة إشعال الثورة على أيديهم، واختفى المشير عبدالله السلال، والملازم علي عبدالمغني، قائدا الثورة الحقيقيان عن صفحات التاريخ إلا من سطور فرعية، مع كثير من الإطراء الرسمي خارج حدود كتب المدارس عن الرئيس الجديد، ووسط ٢٠ مليون يمني، يُمثل الشباب نسبة ٧٠ بالمئة منهم، لم يحض أغلبهم بتعليم جيد في مراحل التأهيل العالي، فجامعة في تعز، وأخرى في صنعاء، لم تكونا كافيتين لتعليم أكثر من ١٠ مليون يمني مقبلين على عصر جديد،

في ظل جمهورية جديدة ولدت قبل خروجهم الاضطراري إلى بلد يحاصره اللهبيون من كل جانب.

لماذا استشاط زحام الرماد تذكر أعراقه فاضطرب

لأن أبا لهب لم يمت وكل الذي مات ضوء اللهب

فقام الدخان مكان الضياء له ألف رأس وألفا ذنب

البردوني

هوامش

- ١ -

خسر اليمنيون تعليمهم، كما خسروا حقهم في التدوين التاريخي، وكما خسروا فرصة تحويل صنعاء إلى عاصمة للثقافة العربية، لتشكيل شعب مثقف، أدمنت وزارة الثقافة إعادة إنتاج مغلفات كلاسيكية براقة، تنفع لإضافة لمسة جمالية لديكور المنازل الثرية، على أن تكون كتبًا يأسرها الشباب بين أذرعهم، وتجوب البلاد حتى تصير في متناول عامة الناس.

خسر اليمنيون معركتهم مع الهاشمية العنصرية يوم سكتوا عن خرق الرئيس صالح لفكرة الجمهورية. وتنازلوا عن سلطتهم الحضارية في تلك اللحظة التي سمحوا فيها للهاشميين بكتابة تاريخهم، وصياغة منهج تعليمي لأطفالهم في المدارس والجامعات، دون أن يكون لهم رأي أو أثر يُجوِّد قيمة المعلومة، ويمنع المصطلحات الخادعة من

التسلل إلى وعي الطلاب، وفقدوا وطنهم لصالح حفنة من القتلة المأجورين عندما سمحوا باستمرار الرشوة في الجيش، وتشكيل الألوية العسكرية الوهمية، وتسليم التوجيه المعنوي لرجل كان يفكر بإصرار في إلغاء النسر السبئي واستبداله بصقر جارح!، وخسروا شرعهم الجماعي مع بقاء القضاء والأوقاف بيد طبقة من المنتفعين الإرستقراطيين، وأضاعوا أرضهم بتغاضيهم عن ثورة اجتماعية مُلحقة للثورة العسكرية تنهي الإقطاع وتجرمه، وتمنح الشعب كله الحق في امتلاك الأراضي، وإنهاء عُصبة المؤجرين الإنتهازيين.

لقد خسر اليمنيون حياتهم لأنهم لم يفكروا في تحقيق المواطنة المتساوية على أسس يمنية، بهوية واحدة، اختفت رواتبهم الشهرية منذ اليوم الأول لإعلان الهاشميين الحوثيين أن جمهورية الشعب سقطت!، لم يخرج الكثير لإدانة تلك الكارثة لأنهم لم يعرفوا الفرق بين سلطة الدولة وولاية الفقية، بين شرعية الأمة وقانون العصابة. كانت الفكرة غائبة لأنهم لم يتعلموا شيئًا مثمرًا عن حقوق الإنسان، وواجبات الفرد، وأهمية المجتمع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقضاء على سلطة الكهنوت الديني، وحماية الشرع الجماعي للأمة، والقيام

بواجبات الشورى، وتحريم الإقطاع والوقوف ضد الظلم، والتضحية من أجل القيم النبيلة، لقد سجن الهاشميون الشعب اليمني داخل حدودهم الفكرية وتأطيرهم اللاهوتي، ولم يسمحوا لأحد باختراق الجدار فيصبح قائدًا جيدًا أو مُلهمًا أسطوريًا، عقدوا العزم على أن يكون علي عبدالله صالح كل شيء، ثم عزلوه بثورة جمعت خصومه في غرة عام ٢٠١١م، وقد صار وحيدًا ومحاصرًا بالكثير من أولئك الذين أحالوا أصدقاءه إلى خصوم، وعمدوا إلى استغلال وجعه الثأري لإضافة لمسة غاضبة على كل تصرفاته، وأقنعوه بأنه "الزعيم".. ثم ماذا؟

قتلوه بدم بارد على يد أبي لهب نفسه. وفقد اليمنيون آخر الفلاحين الذين أوصلتهم الجمهورية إلى سدة الرئاسة.

خسر اليمنيون ديمقراطيتهم التي كانت وجهًا بدائيًا للشرع الجماعي، لأنهم تناولوا الانتخابات كحدث تسويقي. حملة علاقات عامة حققت أهدافها بنجاح أكثر الأشخاص قدرة على الدعاية، ثم تحول البرلماني إلى "وكيل شريعة"، وأداة لخرق القانون الذي يُشرّعه امتثالًا لضغوط ناخبيه، وتمرير حاجياتهم من الحكومة بطريقة ملتوية، وفي نهاية الدورة الانتخابية المحددة بأربع سنوات يقيس الناخبون نجاح رجلهم بمدى تحقيقه للمشاريع الإنمائية في دائرته!.

تلك كانت خلطة قاتلة للسم في برميل من العسل، وصار القانون أدنى اهتمامات مجلس النواب، ومن برلمان إلى آخر توقف إشعاع الديمقراطية البدائي مع أول جلسة تمديد لأعضائه الذين فرحوا بتلك المنحة الكريمة من الأحزاب والرئاسة، وانتفضوا جميعًا للتصويت بالإيجاب على خيانة الديمقراطية والدستور الذي تعرض لعمليات تجميل طارئة ترضي طموح الأحزاب المعارضة التي تآلفت بإيعاز كبار المنظرين الهاشميين لإيقاف الديمقراطية في ٢٠٠٧م. بعد ذلك بأربعة أعوام سقط النظام الجمهوري ودخل اليمنيون غرفة الإنعاش.

خسر اليمنيون لقبهم كأشراف، وسطا عليه أبو لهب الجديد من جملة ما تم السطو عليه، ذلك اللقب الذي حمله الحميريون معهم من أرض اليمن إلى شمال افريقيا وكانوا يدعون بـ "أحرار يهئبر" أي الأشراف الأحرار، وقد أنشد فيهم أبو محمد بن حامد الكاتب بقوله:

قوم لهم شرف العلا من حمير وإذا انتموا صهناجة فهم هم

لما حووا علياء كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

ويبدو أن تلك المعصية التي أخرجت آدم عليه السلام من الجنة قد دفعت باليمنيين إلى الهجرة عن أرضهم، وهم أبناء

يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام، وكان تدرجهم من القوة إلى الضعف بسبب طاعتهم لله ثم معصيتهم له كما تروي سورة "سبأ" في القرآن الكريم، فمنهم جاء البربر، والأمازيغ، والشلوح، والريف، والطوارق، والعديد من المجتمعات البشرية التي احتفظت بلغتها المسندية عن العربية الفصحى، وأطلق عليهم "يوشع" اليوناني حين احتلاله للمغرب لقب البرابرة بسبب رطانتهم في الحديث، فقال ما أكثر بربرتهم!، فسُمّوا البربر، والبربرة في العربية اختلاط أصوات غير مفهومة ومنها بربرة الأسد. وللتوكيد فإن للشعب الحميري الأغلبية المطلقة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا. لكن هذا الأصل لم يعد سوى ذكرى.

- ٢ -

برحيل أصوات الهوية اليمنية، واغتيال معظمهم، وترحيل آخرين قسرًا، فقد اليمنيون حقهم في الاعتراض على عودة رموز التيار الإمامي من الخارج للمشاركة في حكومة واحدة مع جيل مابعد ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، كان ذلك في سبعينيات القرن الماضي، عندما تولى الهاشميون باسم

الجمهورية صياغة مناهج التعليم الدراسي العام والجامعي، دوّن "الرقيحي" كتاب التفسير، وألف "الذاري" و "المتوكل" منهج التاريخ بمهارة لغوية تنتقي المصطلحات، وتفر من جمهورية الثورة الوطنية إلى راحة التصالح المميت، وأُسند إلى "زبارة" كتاب الوطنية الذي لم يرسِّخ شيئًا من محبة الوطن في وعي الأطفال، وتناولت فصوله تاريخ الإمامة بشيء من الإعجاب، ووضعت له حالة وصفية لم تتطرق إلى جرائمها العنصرية، وأسباب نشوء الإمامة، ونظريتها السياسية في الحُكم، كانت كل العبارات حاذقة بما يكفي لإغواء أجيال متسلسلة عن تاريخ مُشبّع بالدم، والثارات، والعرقية المهووسة بالجباية والسلطة. وفي السياق ذاته تم إقرار كتاب التوحيد للزنداني مُشبعًا بفقهه الخاص، ولأنه لم يعرف التوحيد اليماني كمبادئ كانت غائبة عن وعي الأجيال المتعاقبة، وتحدثت عن اليمنيين أهل الكتاب، وحملة مشاعل النصرة للنبوات المُرسلة، فلم يكن يعنيه إلا أن يدهشنا اكتشافه أن القرآن يسبق العلوم الحديثة!. واستمرارًا للتعطيل العقلي، والعزل الوطني، تم إقرار كتاب "واإسلاماه" وكتاب "رجال حول الرسول"، وكتب عن أدب العصر الجاهلي لقوم من قريش!. ولو أن وزير التربية والتعليم، الذي لم يكن مدركًا

لخطورة ما يجري، كرّس وقته للقاء أقطاب الثقافة والفكر اليمني أمثال "مطهر الإرياني" و "محمد حسين الفرح" و "عبدالله البردوني" و"يوسف محمد عبدالله" وغيرهم لوجد عندهم سيلًا من المؤلفات التي تنفع لإنارة وعي الأجيال، وربطهم بهويتهم اليمنية، ليكتشفوا أن من الصحابة أسماء يمنية بالآلاف كانت لصيقة بالنبي صلوات الله عليه، وبديلًا عن رجال حول الرسول كان الأجدى أن يكون كتاب "يمانيون حول الرسول"، وبديلًا عن معركة "قطز وبيبرس" في بلاد ماوراء النهرين كان الأجدى إقرار رواية "الرهينة" لـ "زيد مطيع دماج" وكتاب "الإمامة وخطرها على وحدة اليمن" لـ"الزبيري"، ومذكرات الرئيس الإرياني والعزي السنيدار، وفي التاريخ ينقلنا "المضواحي" من اليمن إلى الحربين العالميتين، وغزو فرنسا لمصر، وأخبار كريستوفر كولومبس مع ملكة البرتغال! في لحظة إغواء تمنع طالبًا مجتهدًا من التعرف إلى كتاب مهم ومذهل عنوانه "نقوش مسندية" لمؤلفه "مطهر الإرياني"، وبديلًا عن الأدب الجاهلي ومعلقات زهير بن أبي سلمى كان لدواوين "الزبيري" و"المقالح" و "البردوني" وأشعار "نشوان الحميري" و "دامغة الهمداني" الشهيرة أن تنفع في إنارة تلافيف أدمغة الجيل الجمهوري من معرفة الأسس

التي جاءت منها جمهوريتهم، وبفضلها صاروا طلابًا في مدن لم يسكنها آباؤهم بسبب طوق العزلة الذي فرضه الأئمة الهاشميون عليهم، وحرموا القبيلة من التعليم إلا في كتاتيب القرون الوسطى المتخلفة.

كانت محطات اليمن التاريخية، وثوراته ومجده الأزلي في حصار السبعين محطات محظور التعمق فيها لأسباب تتعلق بالنظام السياسي حينها، وبحديث خادع عن المصالحة الوطنية، ونسيان ماحدث. حتى إذا تخرج الطالب من الثانوية العامة، ووقع في يده كتاب لثائر سبتمبري يحكي مغامرته البطولية يندهش الفتى من حجم الأحداث التي لم يتعرف إليها أو يسمع بها عن تاريخ وطنه الذي تشكل حديثًا، ورغم حداثة عهد الجمهورية فإنه التعتيم كان متعمدًا، وبحيلة لغوية ساحرة بأيدي الهاشميين، الذين تولوا مهمة نقل طلاب المدارس من اليمن إلى مضيق جبل طارق، وإخفاء ألقاب "المُطهر" و "المُفضل" من عهد الأئمة في صنعاء وأعمالهم الوحشية إلى ألقاب "المظفر" و"الظاهر" من عهد المماليك في مصر، وإبراز أسماء "قُطز" و"بيبرس" و "نورالدين زنكي" ومعركة "عين جالوت" التي هزمت المغول في وعي الطلاب المندهشين بملحمة درامية دارت أحداثها قبل عشرة قرون في ساحل يبعد عن

صنعاء ٢٣٣٨ كيلا مترًا، بما عزل الفتية اليمنيين عن واقعهم، وأحداثهم التي كانت تستحق أن تُحكى حتى أيقظهم المغول الحقيقيون على فاجعة اقتحام صنعاء، وقد فقدوا القدرة على النطق لتفسير ما يحدث.

إن معركة التعليم الأساسي والثانوي والجامعي معركة خطيرة تدور أحداثها في المستقبل، وذلك ما بدأه الهاشميون منذ اليوم الأول لاستيلائهم على نصف اليمن، وتسريبهم لكتب جديدة مثّلت إعلانًا صريحًا لطائفيتهم، وتسويقهم العرقي لسُلالتهم، وإحداث كراهية توغل في الإثم والعدوان على عقول بريئة تتعرض لتكثيف دعائي خطير يوازي قنبلة انشطارية مميتة.

المفاجأة التي تؤيد هذه الرؤية أن عيال كل مؤلفي المناهج الدراسية يشتغلون اليوم مشرفين أمنيين في صنعاء، ويتوزعون على جبهات القتال ضد الجمهورية، التي صاغ آباؤهم مناهجها التعليمية!. كيف حدث ذلك؟ السبب بسيط: أولئك الآباء كانوا يؤلفون ويُلقنّون عيالهم منهجًا آخر، ونهجًا أكثر تطرفًأ وعُنصرية استلهموه من أفكار وكُتب أسلافهم المتعصبين، وأن ما كتبوه على عواهنه لم يكن نابعًا من قلب حقيقي يؤمن بالمواطنة المتساوية في الوظائف وسُبل الحياة، ومن لا يكتب مخلصًا لأهداف

مدنية صادقة لا يؤثر فيمن يقرأ عباراته، وقياسًا على ذلك تمكن دراسة اللاتأثير لمناهج الدراسة على مستوى أجيال تعاقب عليها "برنامج تحديث التعليم" حتى صارت الكتب المدرسية عناوينَ مجتزأة لا تُشبع ظمأ طالب في سن التشكيل، وأبحاثًا منسوخة عن الشبكة العنكبوتية، وشيئًا آخرَ لا يتصل بالتعليم، بل ربما بفنون الطبخ.

الهاشمي لقب أو هوية ؟

اكتسب الهاشميون ألقابًا لعائلاتهم في اليمن، واستوطنوا أريافًا ومُدنًا، وتملكوا شعابًا وأودية، وبنوا منازلهم كبقية اليمنيين، فأصبحوا جيرانًا في محيط واحد، وشغلوا وظائفَ في كل المؤسسات، وتحدثوا بلهجات اليمنيين المختلفة، صاروا جزءًا من ملامح اليمن، كان عليهم أن يكونوا كذلك، لكنهم لم يكونوا !

سجنهم أسلافهم خلف قضبان من الوهم، خطوط متعرجة في هرم اجتماعي ينتمي إلى اليمن مكانيًا، ويتجاوزه زمانيًا وإرثًا وهوية، يقول رجلٌ منهم إنّ لقبه العائلي ينتهي عند الكبسي، أو المضواحي، أو الجنيد.. وغيرهم، لكنه لقبٌ للاستخدام الوظيفي، للحصول على وثيقة سفر،لم يكن انتماءً وولاءً ووطنًا يحمده على أفضاله. ففي حيواتهم

الأخرى يُكوّنون مجتمعًا آخرَ باطنيًا، وأفكارًا مرعبة لها فقهها الخاص، ومرويات أسلافهم الثورية، ودماء الحسين، وشهادة نسب تقول إنهم عيال النبي!، ومن بيدهم مقاليد كل شيء: السلطة، الدين، الثروة، الجاه، النفوذ والقصور، وعليهم يقع كاهل تفسير كل آية، وتأويل كل نص، وأن العِلم يأتي إلى أعماقهم من مكان ما كالوحي الصامت!. في ظل هذا الهراء أقنع الهاشميون عيالهم أنهم هاشميون قبل أن يكونوا يمنيين، ولهذه الأسباب يعود العنف إلى اليمن مهرولًا نحو ساحل الفرات لاستكمال معركة "صفين"، ورفض الحوار الوطني!، فيموت سبعون ألفًا آخرين لا يعلمون شيئًا عما حدث ولماذا يموتون؟.

يولد طفل من عائلة هاشمية على أسوار مدينة ظامئة فتصبح مسقط رأسه، ويلقى أصدقاءه، ويتعرف إلى المجتمع، ويتسوّق، ويلهو، ويُحب، ويُصلي، كأنه واحدٌ من الناس، لكنه ليس كالآخرين - هكذا تسربت قناعاته مذ كان رضيعًا. إن من يراهم، ويأكل معهم، ويعيش بينهم، بالنسبة إليه مجتمعٌ اضطر للتعامل معه!، وعلى اختلاف تصرفات بعضهم، وأحيانًا رفضهم هذا المنطق الاستعلائي، إلا أنهم لا يستطيعون الخروج من عباءة

الهاشمية، فهي تعني لهم كل شيء، فوقع عبارة "حفيد النبي" لها نكهة ونشوة تجعلهم سعداء في أعماقهم، وأمثالهم من يقع عيالهم في خطيئة الخروج عن ورعهم وتقواهم فتجذبهم حركات التطرف العنصري بإشعال الحطب المدفون في أحشائهم، فيخرج التنين من رأس الإنسان نافث اللهب! وتنضج بفعل ذلك عيون الأمهات اللائي يبحثن في الفراغ عن فتى كان هنا، يتنفس ويضحك وقد استعد للزواج والنمو، وفجأه يتراجع عن الحياة، ويعدو مسرعًا نحو الجدّ الخامس للنبي الكريم صائحًا: لبيك يا جدي!، غير أن "هاشم" لا يسمعه.

شكّل هذا الكابوس الرافض لأي انتماء وطني محلي صراعًا نفسيًا للهاشميين مع أنفسهم، وبلدانهم، ومع الناس، وشكّلوا حالة عصبية سُلالية مُقلقة بعبورها الخارق للقارات والدول والمحيطات. يتجاوبون بسرعة مدهشة، فلمجرد أن يضغط أحدهم زر الاتصال يرتفع رنين الهاتف في الجانب الآخر من الكرة الأرضية، ويبدأ التفاعل بالصوت والصورة، وأحيانًا بالمال والسلاح والخبرات، ولأجل هذا قررت الحكومات الذكية مراقبة الأرقام المزعجة والتنصت على المكالمات ذات النطاق الواحد. في

اليمن قرر الإعلام مراقبة أناس آخرين يعملون على الأرصفة، وينوءون بحمل دكاكينهم على ظهورهم طوال النهار، متفاعلين بفضول مع آخر أخبار الفيضانات في أقاصى آيسلندا شمالًا، إلى شلالات نياجرا غربًا، وغابات الكونغو جنوبًا. في ظل هذا الانفصال عن الواقع، تفاجأت النُخب اليمنية بأنها محاطة بأسئلة الناس الذين تهزهم ضربات راجمات الصواريخ على معسكرات صنعاء، لم يجدوا إجابة واحدة تفسر ظاهرة الاندفاع الهاشمي الثائر على حياة كانت أكثر عُمقًا - على ما يبدو.

لا أحد يستطيع إثبات نقاء سُلالته، حتى اليمنيين الذين يرفعون أصواتهم في مواجهة العرقية الهاشمية!. كانت الأرض مفتوحة لكل الناس، غادرت قبائل من أريافها، وارتحل مزارعون عن وديانهم بفعل القحط والحرب وأسباب أخرى، وتفرق أهل مارب في الأرض يوم أفاقوا على خيامهم تسبح في سيل العرم، وسافر بدو رُحل من مضاربهم للعيش داخل أسوار المدن، وتأسست دول بأسماء قادتها عربًا وعجمًا، وعاد آل رسول من أطراف العراق إلى تعز لإقامة دولة سُميت باسمهم، وتجمعت في أمريكا أعراق أمم عديدة تحت عباءة صنم واحد يرفع

مشعل النار على ساحل ولاية نيويورك المدهشة. هذا التداخل البشري المُعقد في التناسب والتكاثر والهجرات خلق أممًا هجينة، ونقل هؤلاء إلى أرض غيرهم، واستبدل أممًا بشعوب وقبائل جديدة، وتطورت مجتمعات في نظرية حمايتها لأفرادها اقتصاديًأ وأمنيًا باختراع نظام إدارة جديد يُسمى الحكومة، وأنتجت العقول تحديثات أساليب الحُكم، وتوزعت ما بين رأسمالية واشتراكية، وجاءت النظرة الشوفينية المتعصبة للدول، وانتقلت الأساليب إلى الفيدرالية، الاتحادية، والملكية، والملكية الدستورية، والأنظمة الجمهورية، واخترع القذافي نظام الجماهيرية، وغادر أخيرًا كما غادرت النازية والفاشية، وجاءت الحدود بعد ملل طويل من الترحال، رغم اختراع القطار والطائرة، والسعي إلى اختراق الزمن، ليتحقق للهاشميين ما تمنوه بالانضمام إلى جيش "علي" وهزيمة معاوية، وتثبيت الحسين على عرش يزيد، ومنع أبي بكر الصديق من خلافة النبي، وكل الأشياء العالقة في الماضي.

التاريخ الجيني لتنقلات الأسلاف، وتزاوجهم من عرقيات ومجتمعات عديدة، خلقت اليوم هذا الكائن الذي بات يُعرف بإسم "المواطن الجديد" وهو اسم لم تعرفه البشرية

إلا في زمن النظام العالمي الحالي، ولتأكيد "مواطنته" استلم شهادة ولادة حددت موعد بكائه الأول، ومنطقته، وحارته، واسم أمه وأبيه ولقبه، وفي لحظة خروجه من عالمه الطفولي يتسلم وثيقة تقول إنه صار رجلًا مسؤلًا عن نفسه وولائه وانتمائه إلى المنطقة التي يعيش فيها، وتُعرف هذه الوثيقة بـ "البطاقة الشخصية". ذلك يعني أن حاملها لا يستطيع الحصول على هوية أخرى إلا في حدود مُعقدة تقرها أنظمة الدول الأخرى، وصار الذين يعيشون في اليمن - مثلًا - يمنيون بحكم مسقط الرأس والجنسية الجديدة التي حُدّدت مساحتها الجغرافية، ونظامها، وطريقة إدارتها وأسماء حكومتها، وعَلَمها، ولغتها، وإحصاؤها السُكاني، في شكل واحد يُقسم أفراده يمين الولاء والانتماء للوطن بما له من موجبات الحماية والدفاع، وما على أنظمته من الحقوق في الإدارة والقوة، وبسط النفوذ والعدالة، وتوفير الأمن والرفاه لجميع المواطنين على قدم المساواة. الألقاب لم تعترف بأشكال الحصار الحدودي للمجتمعات، صديقي اكتشف أن لقب عائلته متوزع في مصر ونجران وسوريا وكردستان، وفي اليمن ينتشر على أربع محافظات، عائلته هي الأقرب لولائه ومنها قريته، ثم محافظته، ثم بلاده، ومنها إلى العرب، ومنهم إلى المسلمين

كهوية دينية، ثم إلى العالم كجزء من البشر. إنه تسلسل طبيعي للعيش غير المضطرب.

* * *

هاشم رجل من قريش، وقد أصبح مهمًا جدًا يوصف أحفاده بـ "بني هاشم"، والده عبدمناف، وعمّه عبد شمس، ومن عبدمناف جاء نبي الله الكريم صلوات الله عليه، والعباس بن عبدالمطلب، وعلي ابن أبي طالب، والحسن والحسين، ومن عبدشمس جاء أبوسفيان، ومعاوية ويزيد، وتفرق ال هاشم فصاروا شعبين ينتسبان إلى العباس وأبى طالب، ثم صاروا أقل تحديدًا بوصفهم "العلويين"، وتجاوز الأمر علي بن ابي طالب لأنه تولى الخلافة وإن متأخرًا، واستقر المقام في الحسن والحسين، فقيل الحسينيون، وقيل الحسنيون، وتم التثبيت في هذه اللحظة الزمنية الحزينة. ومع تلاحق القرون انتشر الهاشميون، وتحولوا إلى عائلات لكل عائلة لقبها، واستوطنوا الكثير من بلدان العالم العربي والإسلامي، فتحول "هاشم" من اسم رجل إلى هوية تعبر الزمن

والمكان كسُلالة واحدة تُقسِم أنها تنتمي إلى النبي الكريم من جهة ابنته.

السُلالة لها أشياع يوصفون بالشيعة، ولهم مذاهب متفرقة، تنوعت ذات زمن لصراعات فكرية وأدوار سياسية، لكنها لم تنس هويتها وباعثها: بني هاشم. في هذه الأثناء كان محمد بن إدريس الشافعي يُهندس الألقاب الدينية الجديدة للعائلة: فأطلق عليهم "آل محمد" ثم "آل البيت"، وأضاف واجب الصلاة عليهم في التشهد الأخير من صلاة كل مُسلم، وبهذا حققت العائلة مشهدًا مقدسًا وأبديًا.
رفض البعض هذه التسميات فأطلق الشافعي قصيدته الشهيرة:

إن كان حب آل محمد رفضًا فليشهد الثقلان أني رافضي

واختلف المذهبيون، الاثني عشري يخالف الزيدي، وقد يصل الخلاف بينهما إلى التشكيك في الأصول الفقهية، لكنهما يتفقان على شيء واحد: هاشميتهما، وقياس ذلك من يرفض الحوثيين في اليمن لكنه يُستفز لرفض فكرة الهاشمية كهوية مناقضة للأوطان والسيادة والهوية.

في اليمن بالذات، وخلال قرون عديدة كان الهاشمي شخصاً لا علاقة له بالقبيلة كمكون أساسي للمجتمع، لا ينتمي إليها إلا كمسقط رأس، ولا يُعينها أو يدافع عنها أو يُمثلها، وقد استمرأ كثيرٌ منهم البقاء في المدن منذ نشوئها لتوافر أسباب التعلم والوظيفة الحكومية في القضاء والأوقاف، ولكونها سببًا للهيمنة الاقتصادية والإدارية على ما حولها من القرى والمناطق. صار الولع الهاشمي بالوظيفة والتجارة والنفوذ سمة أصيلة يُشكّل بها مستقبله، تاركًا الريف والمدرجات الخضراء، وفنون الزراعة لليمني الذي يولد ويموت لا يتقن شيئًا سواها.

الهاشميون الذين فضّلوا البقاء في الأرياف اشتغلوا كفقهاء دين، أو أمناء سجلات المواليد والوفاة والزواج، ومراجعَ لكبار الإقطاعيين من المشايخ، وسدنة جوامع، وأئمة مساجد، ومعلمي صبيان، وهبتهم القبيلة بعض أراضيها لبناء منازلهم، وسيطروا بدهاء على أموال الوقف، فاستلموا خراجها، واعتبروه موردًا ضخمًا يبعث مكانة نافذة في المجتمع، كما تولوا قضاء الأرياف، وساعدوا كل إمام هاشمي يتمكن من إثبات حضوره وسيطرته بإخضاع

القبيلة له، وحث الناس على مبايعته، والعمل على التحشيد القبلي له بالسلاح والرجال في مواجهة خصومه!.

ما تزال مقدرة هواشم الأرياف على إسقاط القبيلة مثيرة للدهشة، تارة بإقناع شيخ القبيلة بموالاة الإمام المنتصر، أو ترتيب معاهدات تضمن للشيخ البقاء ضمن دائرة منافع الإمام الجديد، وأخرى بالانتفاض في وجه القبيلة من الداخل إذا رفضت الانصياع، وثالثة باستخدام السحر والشعوذة والتأثير الديني على الرجال المميزين في القبيلة إن رفضوا مبايعة إمامهم الغاضب الغاصب، ورابعة باستقطاب الطامحين لمشيخة القبيلة للتعاون معهم مقابل إعلانهم شيوخًا جدداً على قبائلهم، ومنهم من يكون مقربًا من الشيخ المانع نسبًا أو خؤولةً، أو ناقدًا متبرمًا من سياساته وشئونه الخاصة، وخامسة بالتحريش بين القبائل لإضعافها واستدامة الحرب والثارات حتى على مستوى القرية الواحدة.

لقد ضمن الهاشميون فكرتين أساسيتين في التواجد والتأثير

- **الأولى**: بقاؤهم خارج دائرة الصراع القبلي بكل مستوياته، وسعيهم إلى الحياد مع كل حرب داخلية تندلع بين قبيلة وأخرى، وضمان استمرار نفوذهم "السيادي"

على كل ما يخص الإقطاع الزراعي، وتأثيرهم الدعائي على المنبر لغسل أدمغة الشباب، وتحديد أولوياتهم، وضمهم إلى صفوفهم كأنصار وأشياع.

- **الثانية**: تنسيب العديد من الأسر المتحمسة إلى الهاشمية، واعتبارهم رؤوس حربة في مواجهة أعدائهم ونصرة أي إمام قوي، إما باكتشاف نسب جديد لأولئك المتحمسين بالحيلة والخداع، كأن يتعثروا "مصادفة" بصك مزور تحت صخرة مدفونة في عمق الوادي الفسيح، يسحبون به القبيلة من يمنيتها إلى الهاشمية، أو برؤيا شاهدها فقيه القرية المتمالئ في منامه وظهر عليه النبي الكريم يوصيه إشاعتها بين الناس تتضمن الدعوة إلى مبايعة ذلك الإمام الذي يملأ الأرض عدلًا وإنصافًا!، أو بالانتفاع من حماستهم في الحروب، وإغلاق المناطق القبلية الأشد حماسة، والأرق إيمانًا، والأجرأ مقاومة، والأعنف صلابة إلى الهاشمية، حتى يصبحوا قبيلة داخل القبيلة، ليس لهم ما للقبيلة، ولا عليهم ما عليها - يرعون مع الراعي، ويأكلون مع الذئب- توصيفهم الأكثر تحديدًا أنهم "جالية" تستثمر كل شيء، وتستولي على أجمل الأودية والبطون الزراعية، والوظائف، وتحمل الجواز كهوية وطنية لتسهيل إجراءات

سفرهم فقط. ومع كل لحظة بروز لمدعٍ ولاية أو إمامة يبادرون إلى رفع راية التأييد، وخيانة المجتمع الذي عاشوا في كنفه طويلًا.

فقد اليمنيون هويتهم مع كثرة الضربات التي تعرضوا لها في حروب الهاشمية العلنية التي ركزت على محو الأثر التاريخي، وإشاعة التهم المسيئة عن خصومهم، وسجنهم والتنكيل بهم، واستخدام صعاليكهم في القدح والذم شعرًا ونثرًا على كل ثائر يرفض ولايتهم التي تتعدى التسلط العائلي ليصبح تسلطًا سُلاليًا يمارسه الهاشميون في كل ريف ومدينة – إلا القليل ممن ثبت نقاؤه وورعه – على اليمنيين الذين يعيشون حياة الزراعة بكل فنونها وجهدها.
عندما تُصارع الهوية الهاشمية هوية اليمن، وتُحوّل أشجار بابل الإنسانية إلى سياط يجلد بها العراقيون ظهورهم، فذلك يعني شيئًا واحدًا: أن الهويات الأكثر تجذرًا في تاريخ المنطقة قد استسلمت للشرعية الدينية "الكهنوت الهاشمي"، وقد يؤثر ذلك على بقية الدول العربية التي بدأت بتشكيل هوياتها الجديدة قبل أقل من قرن!.
في منطقة الشرق الأوسط اليوم يتركز الصراع في سببين:

الأول: الكيان الصهيوني الذي يحاكي الهاشمية في وهم الاصطفاء، لكنه على الأقل يعرف حدوده الجغرافية التي يأمل تحقيقها وتوفير دولة يهودية خالصة العرق والديانة، **والثاني**: إيران التي تسعى إلى التوسع بشراهة في مساحة مفتوحة، معتمدة على نشر التشيع، وتأمينه عبر الحركات المسلَّحة مثل حزب الله في لبنان وأنصار الله في اليمن، وثار الله وجند الله وعصائب الحق في العراق، واستقطاب رموز الهاشمية الدينية والفكرية والسياسية من بلدان شتى، فمنهم من ظهر ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

قد يواجه النظام الإيراني مآزق عديدة داخلية وخارجية، لكنه مُصر على تصدير الثورة خمينية، بذات الحماسة التي قاتل من أجلها الحسين بن علي في مواجهة كتائب الجيوش التي انتزعت روحه الجميلة، فاستغلال الحسين بصورته ومشاهده الدامية أمر يروق للنظام الإيراني، وقد أثبت نجاحه مع الكثير من المحتالين الطامحين للوصول إلى السلطة والثروة والمكانة، والتوسع أيضًا ابتداء بالمختار الثقفي وانتهاءً بحسين بدر الدين وشقيقه عبدالملك، وقد حقق الأخير في اليمن ما لم تكن إيران تأمله على المستوى المنظور، واجتاحت كتائبه الإرهابية العاصمة صنعاء،

وتمددت إلى عدن سعيًا لتحقيق ولايته، والانتقام من "هشام بن عبدالملك" لقتله زيداً بن علي!، وفي ذلك الثأر خصوصية تتجاوز الحسين الذي يمثل رمزًا لشيعة العالم، إلى زيد ابن علي الذي يُنسب إليه المذهب الزيدي، ولا يعترف به الشيعة كواحد من أئمتهم الاثني عشر، ورغم ذلك الإنكار الذي يجب أن يكون مؤذيًا للهاشميين الزيود، إلا أن ما يجمعهم كهاشميين بأحلام السُلطة، وكهنوت قيام المهدي المنتظر، جعلهم يتغاضون عن ذلك الإنكار وإعلان الولاء لولي إيران صاحب العمامة السوداء.

لا تستطيع الهاشمية الاستمرار في تأثير السحر ما لم تصنع لها عدوًا يجعلها ذلك تضمن خداع العوام للضغط على الزناد دون تفكير، وإزاحة العدو، حتى إذا ما تخلصوا منه، اخترعوا عدوًا جديدًا، وثأرية أخرى، ولو فُني الأعداء في الأرض، اقتتلوا فيما بينهم، واستحوذ كل فريق منهم على أنصاره، وصنعوا من هاشميي الطرف الآخر خصومًا، يصفونهم بالمنافقين والخونة والعملاء والناكثين لعهد الله وميثاقه، وقد يصير الأمر إلى نفي نسب من يخاصمونه، وخلعهم عن الهاشمية خلع الهاشمية عنهم،واستباحة دمائهم، واتهامهم "بالأموية" المتسترة في جلباب الحسين.

أخطر ما في الإرهاب أن يصبح عابرًا للقارات، وله أنصار يتوالدون كل يوم، كل واحد منهم مُشبع منذ طفولته بالاستثنائية المدمرة، ومشحون بالاستعلاء والغرور، خطورة الإرهاب الهاشمي أنه سُلالي، أما داعش فإرهاب متطرف ينمو كل ما أرادت الهاشمية إقناع الناس بأنها الخيار الأنسب.

تطورت الهاشمية من عائلة إلى هوية، وهي الهوية الوحيدة في عالمنا المعاصر العصية على الانصهار في هويات الدول الجديدة التي أكسبتها اتفاقية سايكس – بيكو شرعية عالمية، لها حدود معترف بها ضمن قانون الأمم المتحدة، هوية قائمة على العرق، ومتوزعة على مختلف البلدان العربية والإسلامية بنسب متفاوتة.

اليوم: يقول الرجل الذي هاجر من اليمن إلى تونس في أواخر القرن الثامن عشر- إنه مواطن تونسي-، ويتحدث "إلياس الهرواي" الرئيس اللبناني الأسبق الذي هاجرت عائلته من اليمن، وتنصّرت بداخل إحدى كنائس جبل الأرز بأنه و لبناني هوية ومواطنة وحقوقًا، لكن ماذا عن الرجل الذي ارتدى جلباباً أخضرَ عَثَر عليه في سوق شعبي

بأقاصي مدينة خراسان، ومعه عمامة بيضاء، ومخلاة بها عودًا ومسبحة ومصحفًا شريفًا وقنينة ماء، مُطلقًا لراحلته العنان، فلما وصل إلى اليمن قال إنه "اسماعيل بن نهشل"، وجدّه علي بن أبي طالب!، فبقى فيها يُعلم الصبيان، ويتكاثر جيلًا بعد آخر، وبمرور خمسة قرون ولد له طفل من نسله لم يعد لقبه "نهشل" بل اغترف لقبًا يمنيًا نسبة إلى جبل أو قرية، مُضيفًا أل التعريف ليبدو أنه من عشيرة يمنية، ورغم كل الدلالات التي توحي بأعجميته، منعته الهاشمية التي التصق بها على حدود الموصل من الاعتراف بهويته الجديدة كيمني، حفيده الذي صار له لقب جديد ما يزال مُصرًا على أنه هاشمي الولاء. وهنا برز التناقض الذي أدّى إلى صراع الهويات داخل اليمن على وجه الخصوص، فأمثال ذلك المحتال الخراساني كثيرون، وجدوا مرتعًا خصبًا في أرض السبئيين، وعشائر طيبة مؤمنة قبلت بهم كأفراد تقديرًا لمن قالوا إنه جدّهم، وفي نهار مشرق على حقل صنعاء الشرقي كان اليمني يحرث أرضه، ويسقي بذور النبات، ويقلع الأعشاب الضارة التي برزت على حواف مزرعته، وقد بدت له زوجه تتهادى في مشيتها، وعلى رأسها آنية الغداء، وفي بطنها جنين في شهره الرابع، في تلك اللحظة أغار عليه حفيد الخراساني وأنصاره

بخيولهم فقطعوا رأسه، وقتلوا أطفاله الصغار، واغتنموا زوجته سبية، وطافوا باقي القرى لإسقاطها بالعنف.
تلك الفجأة الغادرة صدمت اليمنيين الآمنين المطمئنين، لم يأتهم نبأ الحشود الاستعمارية حتى يستعدوا لها من مؤن وعتاد ورجا، الغزو جاء من الداخل، انتفض الذين أصروا على "هاشميتهم"، وقرروا تدبيرهم في ليل لا قمر فيه منازعة اليمنيين سُلطتهم على أرضهم، وفي كل جولة من جولات الصراع يستبدل الهاشميون ألقابهم، ويتخفون في قرى أخرى، ويتبادلون السكن بالمناطق والمواقع، ويندحرون مالئين الدنيا عويلًا ونحيبًا على الحسين بن علي، الذي تتكرر مأساته في كربلائيات يمنية!. فيصحو اليمني مُجرمًا غارقًا في دمه، ويغدو الهاشمي ضحية كتب عنه أبناء جنسه في كتبهم، حتى أصبح ذلك السِفر المكتوب الوثيقة الوحيدة لمعرفة أخبار زمن الحرب.

وهكذا صار يزيد بن معاوية رمزًا للشر، وهشام بن عبدالملك قاتلًا، ومطرف بن شهاب مرتدًا، وعلي بن الفضل خائنًا، ونشوان بن سعيد الحميري سفيهاً، وأبي الحسن الهمداني سجينًا، والإمام الشوكاني مطاردًا، وفي مواجهتهم صار عبدالله ابن حمزة إمامًا مؤيدًا بالله،

وحفيده منصورًا بالله، وابن عمه السفاح شرفًا للدين، وخاله أميرًا للدين، وجدّهم الهادي إلى الحق، وخالهم المفضل، وصهرهم الصادق، وسبطهم المطهر. تخيلوا أن كل هذه الألقاب الفخمة قد أغرقت اليمنيين دمًا وعويلاً، وهدمت قصورهم، وأحرقت إنتاجاتهم الفكرية والإنسانية، ونهبت آثارهم، وشوّهت رموزهم، وصنعت لها على مدى طويل من الظهور والنكوص تاريخًا من الكهانة جعلتهم دون غيرهم قرناء القرآن و ورثة الكتاب! منتزعين الشرعية الدينية من اليمنيين المسلمين بديلًا عن الرضا الشعبي الممثل في الشورى كأرقى قيمة إنسانية دافع عنها القرآن وتميز بها اليمنيون الأوائل منذ عهد الملكة بلقيس وما قبلها.

ما الذي جعل خميني يؤسس قلعة استعمارية قائمة على العصبية الهاشمية ككتلة صلبة في مشروعه الثوري الذي رغب في تصديره إلى العالم الإسلامي؟ هل أراد بذلك بعث حضارة فارس الميتة؟ وما الذي جعل حسن نصر الله أمين عام حزب الله في لبنان يموّل الحوثيين في اليمن، ويستقبل آلاف الفتية الهاشميين لتدريبهم على فنون حروب العصابات؟ ولماذا هاجم الصادق المهدي التدخل

السوداني في اليمن ضمن إطار التحالف العربي؟ ولماذا ينزع مئات الآلاف من شيعة العالم بدءًا من العراق وانتهاءً بنجيريا في عداوتهم إلى الوسط السُني الذي لا يعترف بمعتقدات الشيعة وصنمية القبور وموالد الحسينيات وكربلائيات العذاب بالسوط؟ ما الذي يجعل كل هذه الأمة متحفزة للقتال، وغاضبة من اليمنيين الذين يقاتلون لإسقاط هاشمية عبدالملك بدرالدين في صعدة الخولانية؟

اختراع الصفات المقدسة للهاشميين احتيال علني على المسلمين، وتجارة لم تعرف البوار منذ بدايات العصر العباسي الأول ٥.. ففقدانهم الشرعية الشعبية دفعهم إلى اختراع شرعية دينية، ونسب مزعوم إلى النبي صلوات الله عليه، وفي اليمن زاد عليها الهادويون فجعلوها ثورة مسلَّحة يأخذونها بالسيف والغلبة، نسفهم لمبدأ الشورى واغتصاب الشرع الجماعي للأمة، وتغيير هوية اليمنيين الحضارية والإنسانية، سبب دائم في عدم استقرار حُكمهم، وانهياره بعد سنين من المقامرة التي تدفع بهذا البلد المسكين إلى فقدان أسس الدولة، ونمو مساحات الانقسام والتشظي. وبروز تكتلات مسلَّحة يصعب احتواؤها بسهولة.

هوامش

- ١ -

في ظل هذه العتمة الموحشة، تحوّل القرآن من "بيان للناس" إلى حق فكري لناشر مات قبل ١٤ قرنًا، لا يطالب ورثته بنسبة محددة من ريع المبيع وحسب، بل تجاوز الأمر إلى مطالبة القراء المؤمنين الانصياع التام لهم، وتوقيرهم، وتقديم المعونات المالية المجزية ليعيشوا أثرياء على نفقتهم.. هل سمعتم بحدث كهذا من قبل؟

في اليمن وقع ذلك علنًا، ومن تمنع عن الدفع يُقتل!، كانت الزيدية كمذهب أعيدت صياغته حسب أهواء الأئمة الزيديين طوال قرون سابقة مركزًا لإعادة إنتاج السحر، ومصنعًا لإنتاج المزيد من القتلة الذين يثأرون باستمرار لدم الحسين بن علي دون أن يتسرب الملل إليهم.

تحولت الهاشمية إلى قلعة استعمارية، تقارب الصهيونية في متشابهات واحدة، كالعرق المقدس، والوطن القومي، وتمجيد هارون على موسى، والأئمة الاثني عشر، وخرافات الانتساب إلى الأنبياء، ويعدّ الحديث عنها إجمالًا ضربًا من الجرأة التي تورث المعاناة.

اليمن تقاوم فكيّ تمساح ضخم، وتخوض معركة داخلية يعرفها اليمنيون من تاريخهم المثقل بتكرار هذه المأساة مرتين على الأقل في كل قرن، وهو ما رهن اليمن في التخلف وأبعده عن المشاركة الإنسانية مع بقية شعوب العالم.

السؤال الكبير: هل سينتصر اليمنيون؟، يجيب التاريخ: بلى.

- ٢ -

يستخدم الهاشميون المنهج الثوري في سعيهم نحو السُلطة. قديمًا لم تكن الأفكار اليسارية قد تبلورت، فاستخدموا النصوص الدينية في تأليب الجماهير للإغارة على عروش عديدة، ثم اعتنقوا الأفكار اليسارية، وشكّلوا حركات الكفاح المسلح ضد الاستعمار، وبرز منهم "عبدالكريم

الخطّـابي" و"عبـدالقادر الجزائـري"، وفي جنـوب الـيمن نُسخت التجربة الماركسية عقب القضاء على أول حكومة للاستقلال، وساهم الهاشميون الماركسيون في التخطيط لإسقاط حكومات الخليج العربي، وعلّقوا على باب بناية في عدن لافتة كُتب عليها: مكتب تحرير عُمان، ولافتة أخرى: مكتب تحرير الخليج العربي! وقد استغرق يوسف بن علوي الهاشمي وزير خارجية عُمان حاليًا الكثير من وقته في التنسيق مع هذه المكاتب التي كانت تزود جبهة عُمان بالذخيرة والمقاتلين لحروب تحرير ظفار!، ولأنه لا أحد يستطيع الجزم بموعد انتفاضة البركان، أكل الثوار بعضهم، وادّعى كل جناح الثورية على رفيقه، وذبحه في قبو مظلم بتهمة عمالته للرجعية أو الإمبريالية العالمية. وقد مثّلت تلك النزاعات الدموية إشكالية عميقة، ومصدر قلق دائم للتيارات الثورية الحاكمة، مما دفع الهاشميين في طريق سعيهم نحو العروش إلى اتباع الشعار الحُسيني "هيهات منا الذلة"، وإذا استووا عليها، لبسوا جلباب الشيخ السلفي، وصاروا دُعاة يحضّون العامة على طاعة أولي الأمر!

في نهاية شهر سبتمبر ٢٠١٨م، أغار الهاشميون المؤيدون لعبدالملك بدرالدين على قُرى آل حميدان في صعدة، التي

يتمركز فيها ابن عمّ والده "عبدالعظيم الحوثي"، وهو صاحب حكاية عجيبة مع الرئيس الراحل علي عبدالله صالح، حيث زاره في قصر الرئاسة في أواخر عام ٢٠١٠م، ونصحه علانية بأن يتنازل عن الحُكم لرجل من آل البيت لأنه - حسب وصفه - "قبيلي" - أي يمني - ولا يحق له تولي السُلطة وإن كان منتخبًا، وأما لو استمر "صالح" في موقعه فذلك يعني أنه غاصبٌ للسلطة، ولا يشم ريح الجنة! ذلك ما رواه عبدالعظيم للرئيس الراحل الذي ضحك لعجائب زائره وتركه يرحل!.

اختلف الحوثي الشاب عبدالملك بدرالدين مع عمّه محمد عبدالعظيم على شحنات مخدرات ضخمة تجاوزت مبلغ ٢٠ مليون دولار، وقد أباح عبدالملك لأنصاره أن يخلعوا كل أبواب قرية آل حميدان، ويُفجرّوا معظم منازل أهلها، مما دفع عمّه محمد عبدالعظيم إلى مهاجمته علنًا، وإنكار ولايته، والطعن فيها، والسخرية من ميليشياته، وتأكيده أنها لا تحكم ولا تتحكم في شيء بالمناطق الواقعة تحت سيطرتها إلا على الطريق الأسفلتي، وهي إشارة تُبدي حنقه من القبض على شحنة مخدراته في إحدى النقاط التابعة لما يُسمى "أنصار الله".

لقد أعاد هذا الصراع بين العائلات الهاشمية، وهو صراع مُعتاد له صلات بتحقير كل عائلة هاشمية لأخرى، وإنكارها أفضلية من "يزعم" إمامته مع وجود رجلٍ أصلح منه في العائلة الأخرى، فيبدأ الجديد بالثورة على القديم، وجمع الأنصار طمعًا في القضاء عليه، واستلاب مكانته بالقوة. وقد حفل عهد الإمام "أحمد حميد الدين" بشواهد مماثلة في خمسينيات القرن الماضي جعلته يجز رؤوس ثلاثة من إخوته اتهمهم بالانقلاب عليه في مراحل لاحقة، وفي القرن السابع عشر اضطرمت نيران الخروج والخروج المضاد بين الأئمة وعيالهم، وأبناء عمومتهم حتى توزعت الإمامة وتشرذمت، وصار لكل حيّ من أحياء صنعاء إمام يحكمها شهوة في السُلطة، ورغبة في الحُكم، وتحقيق النبوغ والاصطفاء حتى على عرق بني جنسه، ومن الأمثلة الأشد إيلامًا أن تُهدم صعدة مرتين في عهد "العياني" الذي واجه خروجًا مضادًا من بني عمومته، واستمرت الفوضى الهاشمية تأكل بعضها، وتجر خلفها الدم اليمني وتريقه لحراسة كهنوتها المختال، حتى وصل العثمانيون فأراحوا اليمن من صراع مجنون، مالبث أن عاد في عام ١٩١٨م تحت عمامة يحيى حميد الدين، ثم استعاد اليمنيون قبضتهم على بلادهم وأزاحوا الإمامة عن عرش

حمير وكهلان في ١٩٦٢م، لكن الهاشميين لم يستسلموا، وكمنوا يخططون حتى اقتحموا صنعاء في ٢٠١٤م، وأعلنوا سيطرتهم على مقاليد الحُكم بدعم هاشمي مباشر من سادة طهران بالمال والسلاح والإعلام والخبرات.

- ٣ -

بدأت جماعة "أنصار الله" - الحركة المسلَّحة للهاشميين في اليمن- استخدام العنف ضدّ الجيش اليمني، وتعاملت معه عسكريًا في ستة حروب، وتولى هاشميو النخبة في صنعاء إقناع منافسي الرئيس اليمني السابق استغلال ورقة الحرب في صعدة لإدانة النظام برمته، ومع اندلاع احتجاجات ٢٠١١م ساهمت قيادات عسكرية هاشمية في شق وحدة الجيش اليمني، وتقوية ضغطها على النظام لإسقاطه بتسليم صعدة للحوثيين التي بدأت فيها أولى تجارب تطبيق التجربة خمينية على نطاق محدود هو صعدة، ومع رحيل "علي عبدالله صالح" عن السلطة في فبراير ٢٠١٢م، تفرد "الحوثيون" - وحتى تلك اللحظة كانت هذه الصفة دقيقة نوعًا ما - بأن يكونوا الممثلين الحصريين لقضية صعدة في مؤتمر الحوار الوطني - ١٨ مارس ٢٠١٣

- ٢٥ يناير ٢٠١٤م، ونالوا جائزة حكومية غير مسبوقة في ٢٢ اغسطس ٢٠١٣م باعتذار حكومة محمد سالم باسندوة لعبدالملك بدر الدين وجماعته عن الحروب الست، مصنًفة ذلك كعمل غير أخلاقي لا يمكن تكراره!.

بعد الاعتذار انطلق الهاشميون علنًا في مساندة الحوثيين، وظهر المجتمع الهاشمي بكل عناصره وأفراده وعائلاته، حتى السيطرة على صنعاء، وتطبيق التجربة خمينية في خطوات مماثلة تماثلًا تاريخيًا في أسلوبها وتصريحاتها وخداعها واتفاقاتها وتحركاتها، ولو أن الحكومة اليمنية وقتذاك استعانت بباحث نزيه في الشأن الإيراني لأعلمهم بسقوط صنعاء في يد خميني الجديد، كما سقطت طهران قبل ذلك بخمسة وثلاثين عامًا. أنشئت اللجان الثورية كقوة عسكرية ووظيفية في يد من بات يوصف في وسائل الإعلام الحكومية بـ "قائد الثورة". وعقب اغتيال الرئيس صالح، بدأ الترويج له كإمام يُجبر الناس والطلاب والموظفين على موالاته وتوليه، اتساقًا مع ولاية علي بن أبي طالب التي يزعم الهاشميون أنها عُطّلت باتفاقية "السقيفة"!. أنشأ الهاشميون كتائب نسائية أمنية أطلق عليها "الزينبيات" نسبة إلى زينب شقيقة الحسين بن علي، وحقق الهاشميون أعلى معدل توظيف خاص لسُلالتهم،

يوازي الجهاز الوظيفي للدولة طيلة عشرين عاماً، وعمدوا إلى قطع مرتبات الموظفين الحكوميين "اليمنيين" فقط، بذرائع انتقال البنك المركزي إلى عدن، رغم أن شيئًا من الإيرادات لم يُنقل إلى هناك، ويؤدي هذا النهج العنصري إلى اضطرار الموظف الحكومي لكسب عيشه إلى العودة إلى الريف، وتُقفل في وجهه مرة أخرى أسوار المدن، وتنحصر الوظيفة الحكومية في الطبقة الأولى من المجتمع التي حددها يحيى حسين طباطبا، وكانت فرضًا معمولًا به حتى سبتمبر ١٩٦٢م، وهُم الهاشميون، والقضاة والفقهاء، وبعض شيوخ القبائل كمستشارين، بينما يستأثر الهاشميون على عصب الدولة المالي، والأكاديمي، والإعلامي، والسياسي، والقضائي، وأوقاف وأراضي الدولة، وأجهزة الرقابة، والوظائف العسكرية والأمنية العليا.

أحداث العنف العنصري التي يمارسها الهاشميون على عموم المجتمع اليمني تهدف في لمقام الأول إلى تهجير قسري بمئات الآلآف للقبائل اليمنية وأبنائهم الذين تمكنوا من الحصول على تعليم جيد، والحصول على وظائف علمية وإدارية ودبلوماسية مهمة ورفيعة، واستبدالهم بسُلم وظيفي يُطبّق التراتب الاجتماعي السابق، وهذه حالة

خصوصية بحتة في الصراع داخل اليمن، لا يمكن تخيلها أو مماثلتها بأعمال موازية في دولة أخرى حتى في إيران.
فالعدد السكاني المرتفع للهاشميين في اليمن وبمناطق شمال الشمال تحديدًا دفعهم إلى التزاحم على الوظائف الحكومية، وإلقاء الموظفين اليمنيين من نوافذ المؤسسات، وحرمانهم من أجورهم الشهرية، في وقت تُدفع فية أجور الهاشميين شهريًا، وبمعدلات مرتفعة حققت لهم ثراءً منظورًا أمام أعين الناس في ظل تراكم المجاعة والفوضى على عامة الناس. هذه اللصوصية العلنية تُمارس في كل المحافظات التي تسيطر عليها الميليشيا العنصرية، ويبدو أنها لم تفكر حتى هذه اللحظة في صياغة اعتذار مناسب لليمنيين على ما حدث.

- ٤ -

حط خميني متاعه في ايران على أعقاب ثورة شعبية، وبأسنة رماح الشيعة حُمل كرسيه إلى العرش قائلًا: أنا نائب الإمام المهدي المنتظر!، خرافة كهذه انتزعت سُلطة الإيرانيين الجماعية من أيديهم، وسلّمتها ليد رجل محتال يدّعي سُلطة دينية صارت هي الطريق الأقصر. لبلوغ ثروة إيران الهائلة،

وفي سبيل ترسيخ سُلطانه توزع رجاله وأنصاره بسرعة لإنشاء مؤسسات مالية، وإعلامية، واقتصادية، وسياسية، واخترعوا جناحًا عسكريًا اسمه "الحرس الثوري" لحماية وليهم العجوز، خشية انقلاب الجيش الذي صار هو الآخر مُدجنًا ومؤدلجًا، وشيئًا فشيئًا افتعل العجوز الماكر كل الأسباب لتصدير أزماته الداخلية إلى الخارج، وتوحيد الإيرانيين عصبيًا لمواجهة احتمالات الغزو والتهديد، لم يكن أحدٌ في إيران قادرًا على بلوغ مرحلة الردع لاستيلاء خميني على السلطة، وقد كان حريصًا على إبراز الرعب في أقصى درجاته، لإعاقة أية فكرة معارضة لهوسه الهاشمي بالسلطة. فعلى سبيل المنحة أجاز الرجل قيام انتخابات رئاسية وبرلمانية، وتشكيل حكومة، ولم يُبق شيئًا من علامات الديمقراطية وأركانها إلا نقلها إلى إيران، واحتفظ لنفسه بالمؤسسات الموازية للدولة الحقيقية، ببساطة لقد ابتلع الرجل الديمقراطية، والدستور، والشرع الجماعي، والجيش، والسياسة، في شخصه.

ليس مَلِكًا، إذا كانت هذه إجابتكم لتفسير ما حدث في طهران ليلة ١١ فبراير ١٩٧٩م، لقد اخترع خميني أخطر نظام على الإطلاق، يستند إلى ثلاثة أضلاع رئيسية: الهاشمية، الشيعة، والمؤسسات الموازية التي تحرسه وتواليه

وتـوازي مؤسسـات الدولـة الإيرانيـة. وبتلـك الحيلـة ابتلـع الهاشـميون الإيرانيـون الدولـة، وعـلى طـريقتهم يجاهـد الهاشميون في اليمن لتكرار التجربة خمينية نسخًا ولصقًا.

- ٥ -

أصـبح يحيـى حسـين قاسـم طباطبـا الشـهير بـ "الهـادي" صـاحب فكـرة نقـل النظريـة التـي جـاء بهـا أبي الجـارود، وحصر.ت الحكـم في سُلالة البطنين إلى التطبيـق بدمغها في مذهبه على الزيدية وأرجعها إلى فم زيد بن علي، و كانت مثـل هـذه الأفكـار متوارثـة وثوريـة في العـائلات الهاشـمية التـي تتقـافز كحبـات الفشـار المقـلي بوجـه خصـومهم مـن الأمويين والعباسيين، ولأجلها نشأت الجارودية كنظرية، ثم الهادوية كدولة ومذهب يحض على أن الولاية في البطنين هي مركز الـدين، ومحور الإيـمان، وجوهر العبادة! تشر.ب أجداد "الهادي" هذه الأفكار، ونسخوها في عقول عيالهم وأحفادهم كما يفعلون إلى اليوم، فأسكنها الهادي في دمه، ورحـل بهـا مـن الـرس بالمدينـة المنـورة إلى تخـوم صـعدة اليمنية، ومن هناك أعلن عنصر.يته وألحق أفكاره وملازمه على أقوال زيد بن علي فنسخها، وخرج من تأملاته منبهرًا

بنتائج لم تكن سوى برنامجٍ لشجرة عائلية حددت ملامح ولايتها السياسية في عرقها فقط، وسرقت من المعتزلة أسوأ ما فيها لملء فراغ تأملاته الفكرية.

لم تبدأ الهاشمية باحتراف الطبقية الفعلية كطبقة تعتقد استثنائيتها، وتعزل نفسها عن المجتمع، إلا في العهد العباسي، وأصبحت مقصورة على فئتين: العباسيين والطالبيين، وكانت لكل فئة منهم نقابة خاصة ترعاهم، وتشكلت لهم أحكام خاصة في الفقه أضافوها لأنفسهم بقصد الجباية فقط، وجعلوها جزءًا من الشريعة، مثل إجازتهم أخذ صدقة الفرض وهي الزكاة السنوية!.

ومن هناك تكورت الهاشمية ككرة الثلج، تنمو كلما تدحرجت إلى الأسفل، أو رفعها المسلمون إلى الأعلى كصخرة "سيزيف".

اسئلة شائعة

- ما الذي حدث؟ لماذا كل هذا "الحقد" على الهاشميين؟

وهل تسأل؟ وكأنك لا تعلم!، لا شيء سوى أن الهاشميين قرروا اغتصاب سلطة اليمنيين استنادًا إلى مبرر وحيد: أنهم هاشميون، هكذا قالوها علنًا، وتدلى لسان زعيمهم ساخرًا من غفلة يمنية استمرت زهاء ٥٧ عامًا، ظن اليمنيون خيرًا بجيرانهم وزملائهم وأصدقائهم وأصهارهم من الهاشميين فظنوا بهم شرًا، وكادوا لهم، وأسقطوا الجمهورية من قلب العاصمة صنعاء في ارتجال متهور لا يُخفي حُمقًا بائنًا في النفسية الهاشمية – التي تسكن اليمن تحديدًا – وهي تخلق التمرد من ماضيها، وتشق صف المسلمين، وتذكي الفتنة، ثم تبكي وتولول على هزيمتها التي لا بد أن تقع كما بدأت منذ أول سيف رفعه زيد بن

علي في وجه الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، وحتى آخر لغم زرعه عبدالملك بدرالدين في أحشاء اليمن.

لا يملّ الهاشميون من ترديد أن جدّهم هو النبي، وهي مهنة مستحيلة في عالم ممتلئ بالمصحات العقلية، مشكلة اليمن من هذا الإعلان الجريء أنها خالية من تلك المصحات المتخصصة في علاج الاضطراب العقلي، فترديد مثل هذه السماجة المقدسة في بلد حُر كأمريكا قد يضطر الحكومة الفيدرالية إلى تحمّل نفقات علاج من يعتنقها، حتى يتأكدوا من عودته سليمًا إلى المجتمع، فبقاؤه بتلك الصورة المثيرة للقلق وسط مجتمع متعدد الأعراق والديانات يُهدد الحلم الأمريكي بإرهاب نوعي جديد.

الحقيقة لا تحتاج إلى تعليل، فاليمنيون لا يحقدون، لأن التسامح أرخص من الحقد، والعدل أقل كلفة من الظلم، وطريق الصدق منجاة من العثرات، وصفاء الصدور غنيمة راحة البال، لا يُرهق الحكومات بموازنات مالية ضخمة لشراء ذمم كثيرة، وتجنيد الجواسيس ونشر الشائعات والأكاذيب.

ينبغي إعادة السؤال إلى صاحبه، وتدويره بطريقة عكسية ليصبح هكذا: لماذا يُصر الهاشميون على حكم اليمن بالعنف والغلبة؟ هكذا تكون الأسئلة حين تراها نازفة من

عيون ملايين اليمنيين الذين فقدوا الأمل في إدارة صراعهم الخاص مع مشكلة يمنية بالمقام الأول.

- لماذا يجب على أمريكا ودول أوروبا السعي لإصدار قانون دولي يُجرِّم الولاية الدينية العنصرية؟

لقد حسم الهاشميون بالغارة الكبرى على اليمن معضلة بقاء الهاشمية كارتداد عربي، وقفزوا بها إلى الارتباط الإيراني المباشر معلنين حربًا بلا هوادة على اليمن والجيران والإقليم، وتشكلوا جميعًا - إلا ما ندر - مجتمعًا كاملًا من المقاتلين العقائديين، وفي تعداد يربو على المليون هاشمي في الشمال اليمني وحده نجد أننا أمام أكبر جيش في الشرق الأوسط، مُدرب على الدعاية، والإرهاب، وحروب العصابات، ويملك من الموارد المالية، وفنون التهريب المحرَّمة، ما يجعله يدير حربًا طويلة المدى لإنهاك خصومه وإشاعة الخلافات في داخلهم.

ولهذا فقط يجب أن تخشى أمريكا والدول الأوروبية الإرهاب الحقيقي الذي عاش طويلًا في جلباب أسامة بن

لادن، ليكتشف العرب لأول مرة في تاريخهم أن القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية داعش مجرد أدوات إرهابية محدودة التأثير إذا قورنت بالإرهاب الذي ينضج بحماسة في نفوس ملايين الهاشميين في اليمن، والشيعة في العراق، وفي لبنان، على شعار الموت لأمريكا.

لقد تغافلت واشنطن عن كراهية أسامة بن لادن، ودعمت حروبه الصغيرة نكاية في الاتحاد السوفيتي القديم، ثم تركت كل شيء هناك مُدمرًا، ورحلت تلهو في لاس فيغاس احتفالًا بالنصر على محور الشر الشيوعي، وخلال أحد عشر عامًا أعاد ابن لادن ترتيب كراهيته، ليجد أن السهام التي أطلقها على "أعداء الإسلام" في موسكو لم يعد تأثيرها مجديًا بعد سيطرة ميليشياته الإرهابية على العاصمة الأفغانية كابول، وماهي إلا أعوامًا قليلة حتى تفتق ذهن الإرهاب في تحويل الطائرة المدنية إلى صاروخ مدمر، يضرب أمريكا من حيث لا تحتسب. وفي صباح ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أفاق الأمريكيون على كارثة هي الأعتى منذ الحرب العالمية الثانية. لقد جاءتهم الضربة من الداخل، ولم يفلح جواسيس الـ CIA في اكتشاف الخطر، لأن عيونهم كانت مفتوحة على الخارج.

هذا ما يجب أن تخشاه أميركاامريكا ودول الغرب، ففي عالم كوني صغير معبأ بالأسلحة والأفكار المتطرفة، تلعب أمريكاوبريطانيا بالنار، وتُهوّن من تعبئة أصولية متطرفة وعلنية، وسط مجتمع سُلالي تعداده بالملايين، وشعاره يدعو إلى الموت الحقيقي وليس المعنوي لأمريكا، باعتبارها رمزًا للاستكبار العالمي، حتمًا ستحرقها النار، ولن يجد العالم هذه المرة مكانًا آمنًا على الأرض، بعد أن نجح "تشرشل" في حماية الغرب من النازية، إلا إذا قرروا العيش في كوكب آخر.

- هل يمكن تصنيف الهاشمية على أنها نازية جديدة؟

يحلو لبعض الأصدقاء عقد هذه المقارنة اللصيقة بين النازية في ألمانيا والإمامة الهاشمية في اليمن، كفكرتين متشابهتين، متوحشتين،دمويتين، منطلقين من تأثرهم السطحي بنزوع هتلر إلى العرقية في نازيته، إلا أن عقد المقارنة وتثبيتها غير متكافئ!.. لماذا؟

قد تلتقي النازية أو الفاشية مع الإمامة في جانب واحد فقط، وهو رغبة تلك الأطراف في الدم – عدا ذلك فالنازية مناقضة للإمامة حتى في تصنيفها العرقي.

لنعقد مقارنة إذًا.. ونرى

- الإمامة في اليمن لها جذور تاريخية ومذهبية، بدأت في أواخر القرن الثاني للهجرة، أي قبل نشوء النازية بألف عام تقريبًا.

- النازية قامت – حسب تصنيف الغرب – على أحقية عرقية للآريين في حُكم العالم، ودعت إلى تقسيم البشر لأعراق، كان العرق اليهودي أدناها، وقد شملت تلك النزعة الاستعلائية كل المواطنين الحاملين للهوية الألمانية، ومنهم نسبة ٢٤ بالمئة من المسلمين الألمان، و٤ بالمئة من المعتنقين للهندوسية أيضًا، ولم تُفرِّق بينهم سواءً كانوا ألمانًا أصليين أم مهاجرين جُدد. مشكلة النازية فقط مع الصهيونية اليهودية، التي سيطرت على مفاصل ألمانيا اقتصاديًا وسياسيًاً، رغم أنهم كانوا يشكّلون نسبة ضئيلة لا تتجاوز واحداً بالمئة من عدد السكان ذي الغالبية المسيحية.

- النازية حزب فقط، تنظيم سياسي استفاد من ضعف القدرات السياسية للقادة الألمان بعد توقيع معاهدة

فرساي، ليؤسسوا لأنفسهم دورًا دعائيًا في أوساط الشعب الألماني، مكّنهم من المشاركة بفاعلية في الانتخابات الألمانية ليحصدوا أغلبية مطلقة. في حين الإمامة في اليمن نظرية كهنوتية، مدعومة بنصوص خرافية يتولاها سحرة يدّعون انتسابهم إلى النبي صلوات الله عليه، ويؤسسون لعرقية سُلالية قائمة على النسب المكتوب في جلود الحيوانات، باعتباره الدليل الوحيد على حقيقة هويتهم الجينية!، والإمامة في أساسها فكرة محصورة في الهاشميين فقط، دون غيرهم من باقي أجناس المسلمين ولو كانوا صالحين، ولأجل توكيدها عمل الهاشميون منذ مطلع القرن الرابع الهجري إلى توثيق أنسابهم بإنشاء نقابة أطلقوا عليها "الطالبيين" نسبة إلى أبي طالب عم النبي، وقد توزعت النقابات بعد ذلك حتى أصبحت متجرًا مفتوحًا يمنح البطائق الهاشمية لمن شاء الوصول إلى السلطة في العالم الإسلامي القديم حتى أوائل عام ١٩٣٢م. وقد بدأت النقابات في العهود القديمة بتغيير صفة "علي بن أبي طالب" من أمير للمؤمنين إلى إمام للمتقين، مؤكدة ما جاء في القرآن الكريم من انتهاء النبوة بوفاة النبي محمد صلوات الله عليه، لكنها فتحت باباً خلفيًا للنبوة بعنوان "الإمامة"،

وحُصِرت في الهاشميين بدءًا بالإمام الأول علي بن أبي طالب، وأما نهايتها فلن تنتهي إمامتهم حتى تقوم القيامة!.

- هاجم العالم الغربي والشرقي النازية، لأنها سعت إلى تغيير خارطة العالمان باجتياح بولندا، وهو ما هدد مباشرة تكوين النظام العالمي الجديد القائم على مبدأ اعتراف الدول ببعضها، والخروج من عقلية الاستعمار والاجتياح كلما تراكمت القوة لدى دولة على أخرى. ولم يكن شيء آخر يُقلق العالم أكثر من هتلر لأنه هدد فعليًا وجود هذا النظام العالمي، متحديًا تلك المعاهدة بإلغائها وغزو البلدان المجاورة له. فقط هتلر لم يكن مؤدبًا ومطيعًا. ولذا تم تجريمه وحزبه حتى لا يفكر أحد في غزو بلد آخر بقصد الضم والإلحاق، وهو ما وقع فيه صدام حسين بعد غزو الكويت المشؤوم في تسعينيات القرن الماضي، وتعرض بسببه للتدمير الكارثي من الولايات المتحدة الأمريكين وحلفائها الخمسين الذين حسموا أمرهم مع الرجل المتمرد، وأعادوا أمير الكويت إلى عرشه بالقوة.
- الإمامة في اليمن لها قرائن مشابهة في العالم، كخميني في إيران الذي أنشأ ولاية الفقيه، أو نائب الإمام المهدي القائم، حتى انبعاث الأسطورة من سردابها السرمدي،

وهي حيلة انتزعت الشرع الجماعي بالسحر، وجمعت كل أسباب القوة في يد الساحر، وألغت الشورى في اختيار الحاكم، وحوّلته إلى قداسة مطلقة. في المقابل لم يكن هتلر مقدسًا، كان سياسيًا مقامرًا يجيد الخطابة الحماسية، ويتحدث بكل زهو عن أصوله الفلاحية، وكفاحه العصامي للوصول إلى رأس سلطة الرايخ، وبوفاته انتهت أفكاره إلى الأبد.

- النازيه ليس لها أي امتداد تاريخي، وكانت أشبه برد فعل يميني متطرف على الشيوعية والرأسمالية، وبمجرد هزيمتها عسكريًا انقضت أوهامها، وعرقيتها الآرية التي لم تكن موائمة لروح العصر، و مضادة للمستقبل، وقائمة على هوية انتحارية إقصائية متشنجة، مجرد حالة طفح جلدي تعرضت له ألمانيا، أما الإمامة فلم تمت رغم كل الهزائم التي تعرضت لها، مادامت بقيت الهاشمية هوية وسلالة وعرقًا، يناقض هويات الأوطان الجديدة في الشرق الأوسط التي تأسست إداريًا وسياسيًا وجغرافيًا باتفاقية سايكس بيكو، التي ساهمت في اعتراف الدول ببعضها، والقبول بمبدأ قيام دول جديدة، كالإمارات التي ضمت عدداً من المشيخات في دولة واحدة، واليمن الموحد أيضًا وفق اتفاقية عام ٩٠م.

- الهاشـمية الإمامية عـرق داخـل الهويـة الوطنيـة، يقاومهـا ولا يعـترف بغير عرقـه الآخـر، وإن كـان في الصـين أو عـلى حدود نهر المسيسبي، بينما النازية عـرق شمل كل الحاملين للجنسية الألمـانيـة بـاختلاف ألـوانهم وأجناسـهم وأصـولهم ودياناتـهم، وتعامـل بحساسـية دمويـة مـع اليهـود بـدافع انتقامي ليس إلا..

- النازية برنامج حزب خسر كل شيء واندثر، أما الإمامة فـعرق، وهويـة، وسُـلالة قائمة على الخرافات والأساطير الدينية، تدعو إلى الثأرية من كل رموز الشر في العالم، وهي تصنِّفهم حسب أهواء سادتها ومصالحهم، أخذت بناصية رجـال الـدين الهاشـميين فقـط إلى السـلطة، واقتربـت في قداستهم إلى مصاف الأنبياء.

الهاشـمية صـنعت الإمامـة، وهـي قـادرة عـلى صـناعة شيء آخر، والتوصيف الأقرب لها هو الصهيونية، كالحق الإلهي المزعـوم، تمثيـل دور الضـحية دومًـا، الـترابط السـلالي، الاستناد إلى نصوص دينية، الأئمة الاثني عشر، تمثيل دور الكهانة عبر رجال الدين، الاصطفاء، وراثة الدين، الولع بالمقدسات الدينية الكبرى.

يمثـل خمينـي في العصر الحـديث شـبهًا مقاربًـا للداعيـة اليهـودي النمسـاوي "تيـودور هرتـزل" الـذي قامـت عـلى آرائـه الحركـة الصـهيونية في العـالم بشـحمه ولحمـه ولحيتـه، وبعـد تأسيس دولـة خميني في إيران أشاع الرجل العجوز نظرية تصدير الثورة الإسلامية، وجمع لأجلها بقية الشيعة في العـالم الإسـلامي لخـوض معـاركهم بالنيابـة عنـه، حتـى بلـوغ أمنيتـه بإسـقاط مكـة المكرمـة في قبضـة خلفائـه و حلفائه. مات هرتزل ولم تطأ الصهيونية أقدامها في فلسطين التـي كانـت تابعـة في تلـك الحقبـة للدولـة العثمانيـة، ومـات خمينـي أيضًـا ولم تؤسـس بعـد الهاشـمية خمينيـة، التـي تحـرس عـودة المهدي المنتظر من سرداب صنعه الهاشميون الشيعة بأيديهم ثم عبدوه!

لم يبق في ألمانيا رجل واحد يستطيع كتابة "أنا أحب هتلر"، أو "أنـا نـازي" أو حتـى يـومئ بيـده بتلـك التحيـة النازيـة، لم يُجرِّم العالم النازية كنظرية، رغم شمولها بالنسبة للألمـان على الأقـل، بـل حرّمهـا عـلى نفسـه وعـلى الألمـان كفعـل وأشـخاص، وقضى عـلى كـوامن بواعثهـا مجـددًا، وأطلـق سلسـلة مـن الأعـمال الدعائيـة المختلفـة لتشـنيعها، وأقـر حقـوق السـامية دوليًـا، واعتبر أن أي إنكـار للهولوكوسـت

بمثابة جريمة دولية يُعاقب قائلها. أما إذا انتفت الإمامة كجريمة فستبقى الهاشمية قادرة على اختراع صيغة حكم أخرى مستندة مرة ثانية وثالثة إلى نصوص دينية تقول علنًا إن الهاشمي قرين القرآن، وحليف القرآن، وناطق القرآن، ووريث الكتاب، هو فقط ولا أحد سواه.

- هل يجوز التعميم عند استخدام مفردة الهاشميين؟ فذلك قد يوقعنا في خطيئة إدانة الأبرياء منهم، الذين لا يؤمنون بالعُقدة الاستعلائية ولكنهم يفتخرون لانتسابهم النبوي وهذا حقهم، كما يُفاخر أية عربي بانتسابه إلى أي قبيلة.

وراء كل حدود جغرافية يعيش ملايين الناس تحت عنوان وطني واحد، ولافتة واحدة، ومنهم من كان ذا أصل روماني، أو تركي، أو ألباني، لكنه اليوم لم يعد يتذكر.
مفردة "الهاشمية" في أساسها توصيف خطير، لأنها هوية عابرة للحدود، تصنع التعصب السُلالي بين أفرادها المنتمين إليها، والحريصين على تثبيت نسبهم بشهادات موثقة، وهذه معضلة لم تتنبّه لها الحكومات حتى هذه

اللحظة، لأنها تعيد المسلمين إلى صراع اللحظة التاريخية بين علي ومعاوية، ويستثمرها رجال الدين في التسويق لمظلوميات متناقضة يكثر الجدل حولها، ويغيب معها الوعي الإسلامي – العربي منصرفًا نحو معركة ميتة، ومتخليًا عن استشرافه البعيد للمستقبل، والبحث عن الحاجة الملحة للشعوب في الاستقرار وتوفير أسباب الحياة والتطور النوعي والكمي في مختلف العلوم.

الهاشمية تُطلّ بقرنيها في اليمن مرتين كل قرن على الأقل، وتستفيد من أي تواجد هاشمي خارجي يمدها بأسباب الحياة والتمويل اللازمين لتوحيد أفرادها، واغتيال سُلطة اليمنيين، وإثارة نزاع دامٍ لا تتوقف تداعياته على المدى المنظور، لقد سأم اليمنيون هذه النظرية، وانبرى كثير من الشباب إلى تجديد ولعهم بالحضارة اليمنية، وإحياء رموزهم الكونية القديمة، لمواجهة الرموز الهاشمية المقدسة، المبعوثة إلى الحياة لإسناد نظريتهم في السلطة والثروة، وتطويع القرآن بتأويل مخالف للمنطق والعلم وأسباب التعايش.

نحن هنا أمام خطورة متحفزة للثأر من معاوية الذي مات قبل ١٤٠٠ سنة، تستغل قميص الحسين بن علي المضرج

بالدم لاستدرار عطف المتعاطفين المتدينين، وتحويلهم إلى شيعة بكائين، وحقن غضبهم الثائر بالسلاح، وتحديد عدو يشبه "معاوية" للثأر منه ومن ابنه الذي قضى على نظام الشورى في الإسلام.

الغريب في الأمر أن الهاشميين الذين يصرخون من توريث معاوية لابنه قد نسخوا نظامه وألصقوه في شكل ممالكهم القديمة والمعاصرة، ولعل أهم أسباب الاحتجاج على الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح مزاعم توريثه لابنه في نظام جمهوري، الأمر الذي أورث نزاعًا دمويًا حادًا، أعقبه فراغ هائل أفسح طريقه البارد لانقضاض الهاشمية الحوثية على صنعاء، وإعلانهم تولية عبدالملك بدرالدين إمامًا هاشميًا جديدًا على اليمن بقوة السلاح، وهو ما رفضه اليمنيون وقاوموه بشدة حتى هذه اللحظة.

الهاشميون الذين لا ذنب لهم في المعركة ليسوا مُلزمين بتبرير ذلك، ماداموا أبدوا استعدادهم التخلي عن الهاشمية، الانخراط في المجتمع اليمني تحت هوية واحدة لا يجوز الخروج عليها، ومنع الادعاء بهوية أخرى منافية للهوية اليمنية، سواءً كانت هاشمية أو تركية أو كردية أو فارسية أو حبشية.

في المجتمع المصري مثلًا نجد أصولًا وأعراقًا مختلطة، من الرومان، إلى اليمنيين، والأكراد، والأتراك، والأحباش، والألبان، وجميعهم يتحدثون عن الفرعونية كهوية حضارية يعتزون بها، وصوتهم واحد يردد هاتفًا: أنا مصري!، وفي اليمن يتذاكى الهاشمي عليك أنه يريد الاحتفاظ بأصله الذي جاء به من خارج اليمن والتاريخ هاتفًا من عمق صنعاء القديمة: أنا هاشمي وافتخر!، ليس ذلك وحسب، بل ينكر عليك الانتساب إلى السبئية كهوية يمنية خالصة، ويقول في أقصى حالات التفاوض على الهوية أن يبقى على هاشميته، وتبقى على يمنيتك!. يجب على من يحمل الجواز اليمني أن يكون يمنيًا وحسب!.

وهنا أعيدُ تدوير السؤال إلى جهة الهاشميين المولودين في اليمن: هل تستطيعون التحول من هاشميين قدامى إلى يمنيين فقط؟ إذا استطاعوا الإجابة عن هذا السؤال بنعم، يأتي الإقناع عمليًا بمنع أية لغة استعلائية يلقنونها لأبنائهم، والتنكر لكل المؤلفات العنصرية التي أنتجها أئمتهم، والاعتذار عن كل المآسي التي اقترفها أجدادهم بحق اليمنيين طيلة ١٢٠٠ عام. حتى يعرف الهاشمي أن من آواه من خوف، وأطعمه من الجوع هو اليمن، وليس هاشميته وقد صارت لفظة مُدانة شعبيًا، ولها حساسية تُشبه

التحدي، وليس من المقبول أن تسمح النخب اليمنية بفرضها على حياة اليمنيين أنفسهم، وتقديمها لهم للاستخدام القسري.

إنها اشتراطات صعبة، لكنها ضرورية لإيقاف العنصرية العرقية الشائعة في اليمن، وقد تكون أيضًا ضرورة مُلحة في بلدان أخرى لم تتفجر فيها الهاشمية بصورتها المتسعة المحاربة، والتي تعتمد إيران على تغذيتها بصورة لافتة.

- لماذا كل هذا التشديد على الهاشميين في اليمن، مع أن الكثير من المقاتلين في صفوف جماعة "أنصار الله" ينتمون إلى أبناء القبائل اليمنية؟

الهاشميون ضحايا الفكرة الاستعلائية التي حوّلتهم طوال قرون من الزمن إلى مجموعات استثنائية تُصارع المجتمع العربي الآخر، الرافض لفكرة حصر السلطة في ذرية علي بن أبي طالب وزوجه فاطمة بنت محمد رضي الله عنهم، وكأنه شيك مدفوع الثمن لكل من يُعلن انتسابه إلى هذه العائلة، وللخروج من هذا الاستعلاء عليهم إقرار

الانـدماج في المجتمعـات والهويـات الوطنيـة التـي تحـددها إقاماتهم في هذا البلد أو غيره، وأما اليمنيون المحاربون مع الهاشـميين كأنصـار متعصـبين فهُـم واقعـون تحـت تـأثير الكهانة الدينية، وكلٌ محاسب بما اقترفت يداه، لكن الأصل في الشيء أنه لو لم تكن للهاشميين في اليمن أطماع سلطوية مـدمرة، ومـذهب قـائم عـلى النظريـة الدينيـة التـي تُمجّـد الولايـة، لمـا كـان هنـاك صراع أصـلاً، لـو لم يظهـر حسـين بدرالـدين بتأويـل مُكـرر لفقـه الدولـة، ويـدعو للقضـاء على الشــورى والحريــة، ومقــاومتهما بــالعنف، واســتخلاص السُلطة في يده على اعتبار أنه هاشمي وليس يمني، وأن كل حـاكم لـيس هاشـميًا فإنـه غاصـبٌ للسـلطة، لـو أنـه لم يتـأثر بأفكار الكهنة الملوثين ممن سبقوه بعقود وقرون، لأنتجت عائلة بـدر الـدين الحـوثي شخصًـا سويًا قـادرًا على التعـايش مع المجتمع.

اسـتخدام الـدين في التسـويق للحـق الهاشـمي المُضـاع في اليمن لا يعتمد أساسًا على جهل معتنقيه، فعموم الهاشميين تمالأوا على إجابة دعوى حسين الحوثي وشقيقه من بعده، وعمـدوا عـن إصرار إلى تلويـث الحيـاة السياسـية في الـيمن، واستخدام سلطاتهم ومواقعهم الرسمية في الدولة لإسقاط المؤسسـات الحكوميـة في لحظـة الإعـلان الفـج أمـام جمهـور

غائب عن الوعي لكثرة الدعاية المركزة التي جعلته بعيدًا عــن التشــبث بقيمــه وحقوقــه الديمقراطيــة، وأسســه الانتخابية ومفاهميه الفطرية للحقوق والواجبات، تلك العمليـة السـحرية المفاجئـة سـحرت أعـين اليمنيـين، ولم يفيقوا إلا على وقع العصى. تدق رؤوسهم بغلظة شديدة، وقد فقدوا محافظاتهم وسلطتهم، وقد كانت أمامهم عِبر مؤلمة لقيادات مهيبة قضى. عليها الحوثيون بإصرار دموي معلن، يثبت الرعب في قلوب كل أولئك الذين يفكرون في الاحتجاج على تغوله المطلق داخل أركان الدولة التي لم تعد قادرة على حماية مواطنيها، مع استلاب دور الجيش، وتحييده عن المعركة بفعل إغواء هاشمي واضح، من قيادات عسكرية كان لها دور خطير في ذلك.

القبائل اليمنية مستعدة للتخلي عن القتال لصالح النظرية الهاشـمية، لكنهـا ليسـت متحمسـة لـذلك، وهـذه هـي الأحجيـة المؤلمـة في تفسـير الصرـاع الهاشـمي - اليمنـي المتكرر، القبائل مخدوعة بالتأثير الزيدي في هويتها، وهو التأثير الممتدد إلى الباطن النفسي. للفرد الذي يحتاج هذه اللحظة إلى الإيمان بانكسار الحوثيين عسكريًا، ليندفع هو الآخر مبتعدًا عن الهزيمة وتبعاتها، وفي المقام الثاني فإن عوامل نقص التأثير الوطني، وانحسار المعرفة عن الصراع

القديم، بسبب سطحية الثقافة التاريخية والدينية، مع انسداد الأفق قبل عام ٢٠١١م في مستقبل مناسب لملايين الشباب العاطلين عن العمل، دفع الكثير منهم إلى الانخراط المصلحي في الوظيفة الجديدة مع الحوثيين، وإزاحة كل أولئك الفاسدين المملين، الذين ظلت الآلة الإعلامية المريبة تُحمّلهم سوءات التردي الاقتصادي، وانسداد أفق الحياة السياسية، ولعلنا لم ننس مدى البهجة التي رافقت كثيرًا من اليمنيين بتفجير منزل الشيخ الأحمر في عمران، وهو تعبير خطير أباح العنف كوسيلة لإزاحة القوى التقليدية والمشيخية في اليمن.

أولئك الهاشميون الذين لا ينتمون إلى المذهب الزيدي فاجأوا الجميع هذه المرة بانضمامهم إلى جماعة "أنصار الله"، ولذلك دلالة سُلالية تتفوق على المذهب، وتستعمله كأداة ثانية في الاستغلال الديني الذي يعمد إلى توقير من يُطلق عليهم في التراث "آل البيت". في الحالة الزيدية – الهادوية يظهرون كمحاربين لعوامل الطبيعة، وتركيبة السكان المنحدرة من الجبل، وفي الحالة الشافعية ينطلقون كتيار يساري أو تقدمي، نظرًا لمستوى التعليم المتقدم في مناطق تعز وما بعدها باتجاه الجنوب معتمدين على التنظير السياسي الساخر من القبيلة الجبلية، لزرع صراع مناطقي،

واحتقار فوقي لكل ما يرتبط بالقبيلة، واعتبارها عنوانًا للتخلف، وتعميق كراهيتهم نحو كل شيء قادم من الغرب، واستعمالهم القومية العربية ببشاعة في إدارة صراعهم على السلطة، وترديد مفردات كـ "الخيانة والعمالة" لتبرير تصفية خصومهم، كما أن الواقع الديني المستند على الأضرحة المقدسة للرموز الدينية الهاشمية له تأثير السحر على الريفيين البسطاء، وفي حضرموت تمثل الصوفية في وعيها الباطن احتقارًا للفقهاء، ولكنها تُرسّخ تقاليد الهاشمية المبتعدة عن الصراع، رغم أنها كانت مُهيئة لذلك بمجرد وصول أول شاحنة تحمل على متنها أفرادًا حوثيين، فالصراع القديم داخل حضرموت بين الهاشميين والقبائل أكثر بطئًا في تجدده الدموي، لقناعتها ببقائها كما هي في مكانتها الدينية الحصرية، التي تحشد من ورائها المال والجاه دون الحاجة إلى استخدام العنف.

- ما الفرق بين الهاشمية والمشيخة في اليمن،؟ هي كلها عائلات تتسلط على المواطن! هل يعقل أن يحارب اليمنيون الهاشمية لينقض عليهم المشايخ فتعود

دورة الصراع ويعود الأنين والفساد
والقوى المتخلفة؟

الهاشمية في إطارها الديني واسمها وصفتها ونشأتها كيانًا اختار أن يبقى غريبًا لا ينتمي إلى اليمن، ولكن في هذه اللحظة بات من الصعب أن تعمد دولة شوفينية إلى طرد الهاشميين من الداخل اليمني، مهما علا صوت السبئية وثبت أمرها بتنظيمات سياسية وحركات اجتماعية مُتقدة ونشطة، تُسخّر طاقاتها لإعادة تأهيل اليمنيين، وتربيتهم على تاريخهم الوطني، وتحفيزهم للتفكير في المستقبل الجيد، واكتساب التعليم الشامل، ومنحهم كل الأسباب للحصول على المنح الدراسية في أجمل بقاع الأرض.
أما المشيخية فهي وظيفة يمنية عربية، كانت في آخر السلم الأول لحضارة اليمن قبل الإسلام، ولما انتهت حضارة اليمن والحكم الحميري اختفت صفة التبع اليماني الذي كان على حامله تحقيق شرطٍ أساسي بُحكم حمير وسبأ وحضرموت معًا، وفي العصر الحديث كان علي عبدالله صالح الحاكم اليمني الذي يستحق لقب تُبع عن جدارة، ولهذا وحده تَسُن الهاشمية حرابها ببأس وحماسة، لتشويهه في كل شاردة وواردة، رغم أن ما يؤخذ عليه حقًا إعلانه

التحالف المؤسف مع الإمامة الهاشمية الحوثية على قواعد جمهورية، سرعان ما ثبت لدى "صالح" أنها فخٌ لاستنزافه وإفراغه من حزبه وبرلمانه وحلفائه وأنصاره وشعبيته وتاريخه، فقاتلها أخيرًا حتى قُتل رافضًا كل الوساطات التي حاولت إبقاءه أسيرًا لدى حلفائه الخونة، وقد ألهب حماسة ملايين اليمنيين بخطابين تاريخيين في ٢ ديسمبر ٢٠١٧م، وآخر في ٤ ديسمبر قبل مقتله بساعات قليلة، والتبّع الآخر هو "عبدربه منصور هادي" الذي يقاوم اليوم من أجل إزاحة التمرد الهاشمي السُلالي في اليمن، وكان قد ألقى خطابًا هو الأول من نوعه لمسئول رفيع على منصة الأمم المتحدة في سبتمبر ٢٠١٨م، ووصف الانقلاب على الجمهورية في صنعاء أنه ليس انقلابًا بالمفهوم المتعارف عليه، بل تمردٌ سلاليٌّ لفئة من الناس تعتقد بحصريتها الوحيدة في الحكم، عبر نصوص ليست مكتوبة في القرآن، وتزعم أنها نصوصٌ مرسلة من عند الله عز وجل!.

أعود لأقول، إنّ نهاية الحميرية بفعل الغارات الفارسية، والحبشية، وظهور الإسلام بعد ذلك، ساهم في تقليص وظائف القبيلة اليمنية، وذلك بسقوط الدولة، ومنها وظيفة "التُبع"، وهو الملك، و "الأذواء" وهُم مجلس الوزراء، و "الأقيال" وهُم أشراف القبائل الكبيرة مثل حمير

وكهلان، ثم المشايخ الذين كانوا شيوخًا على مناطق جغرافية محدودة ضمن خارطة القبيلة الأكبر.

بقي الشيخ إذن مفردة وشخصًا يعني العمق القبلي المنتمي إلى اليمن أرضًا وطبيعة، وفي الأطراف كانت القبيلة الهاشمية تنمو بمجتمعها الجديد: السيد، القاضي، الأمين الشرعي، وهؤلاء هم الذين أغاروا على وظائف الإمامة كرأس لنظام الدولة، وبديلًا دينيًا لمنصب الملك التُبع اليماني، وأنشأوا لضمان دولتهم مُدنًا حديثة تستوعبهم وحدهم فقط، وتُلقي بالقبائل على أطرافها، في انغماس كُلي بالحقل والمنجل والفأس. فمثلًا كانت مدينة ذمار إحدى المدن الممنوعة على القبائل إلا لقضاء حاجتهم في القضاء والفتوى، شريطة أن يحملوا معهم ما يفيض عن قدرة بغالهم من البيض والعسل والسمن واللبن وأقداح القمح وبعض رؤوس الماشية لأولئك المهاجرين القدامى الذين كانوا يعيشون على صدقات القبائل وأبنائها الطيبين، في فترات تلقيهم دروس العلم والفقه على عتبات المساجد المذهبية!.

الهاشمية قائمة على سيادة عرق لا يعترف بيمنيته في هويته الأم، لكنه يحمل ألقابًا عائلية تشي بنوع من الارتباط باليمن، لكنه ارتباط سرعان ما أعلن انفصاله عن ألقابه

العائلية التي اكتسبها أسلافه خلال لجوئهم إلى اليمن، فيتذكر "الكبسي" مثلًا أن خارطة سلالته تخلو من اسم أو رسم أو صفة "الكبسي"، فيقفز بنسبه إلى هاشم بن عبدمناف مباشرة!، وتسأله: من أين جاء الكبسي إذن؟ فيجيب أنه صفة سلخها أجداده من منطقة الكبس اليمنية في خولان كضرورة للانصهار في المجتمع خلال عهود الصراعات المميتة. وهذه الإجابة تعني أن الهاشمية هي الهوية المنظمة والمتحكم الأول في عرقية منسوبيها، وأنها حالة عصبية عابرة للحدود، تُعلن تميزها وقداستها حين تخفت وتضعف دولة اليمنيين أو غير اليمنيين التي يحاربها الهاشميون من داخلها، مُستغلين مناصبهم التنفيذية الحساسة للفساد والإفساد، وإذكاء العداوات، وإشاعة الخلافات، وبث الشائعات، حتى تهتز الدولة من الداخل وقد تجهزوا بقوائم وظيفية، وحددوا قرين كل اسم من أنصارهم وظيفته ومستواه، كما فعلوا مع النظام اليمني طيلة عقود سابقة، حتى تهاوى بفعل الضربة المدمرة الأولى التي أعلنت حتمية "إسقاط النظام" كهدف وحيد لاحتجاجات ٢٠١١م المؤسفة.

- لماذا لا تتم إدانة الفكرة القائمة على وجوب حصر الحكم في البطنين؟ حيث إن كثيرًا من الهاشميين خارج اليمن لا يؤمنون بها، بل قد يكون نصف الهاشميين الذين لا يتبعون المذهب الزيدي غير مؤمنين بها؟ فلماذا تعمد إلى إسقاط المعاناة الشخصية لبعض اليمنيين على الهاشميين عمومًا كمتهمين بها؟

نظرية البطنين أنتجتها الذهنية الهاشمية، وقد كانت شيئًا لا يُفصح عنه بتلك الطريقة العنصرية، ربما لعدم نضوجها كدولة في أفكار الهاشميين العلويين، الذين خرجوا على حُكام بني أمية وبني العباس، حتى إن عدد الذين خرجوا من العلويين على الحُكم العباسي يربو على ٣٥ علويًا، ولقي كل واحد منهم نصيبه من الأتباع فور إعلان إمامته التي ينسبها إلى أفضليته العرقية كونه - حفيدًا - لعلي بن أبي طالب، وقد تمركزت غالبيتهم في المناطق الأعجمية مثل فارس، وخراسان، وطاجكستان، وغيرها. الغريب أن لا أحد من الهاشميين الذين أعلنوا الإمامة على مدار التاريخ

قد طلبها لنفسه لاعتبارات شخصية تخصه هو، ولا تتعلق بكونه - كما يدّعي - ابنًا مقدسًا لنبي لم ينجب ذكرًا واحدًا على قيد الحياة، ورغم قداسته وكراماته التي يسحق بها عقول مناصريه، إلا أنه لم يقدر على إحراز النصر، ثم ينتهي مصلوبًا على عمودين من الخشب الرديء، في أطراف معركة جر إليها الأبرياء، ليصيب بهم عدوًا افتراضيًا ما كان ليقاتلهم أو يقاتلوه لو أنهم تفرغوا للنصح، والعمل الصالح، على أن يتوشحوا أردية القتال والحرابة، التي يُحولها الآثاريون الهاشميون بإصرار إلى مآثر بطولية، فتجريم تلك الثورات يعني أنهم يجرّمون أنفسهم، وعيالهم الذين سيفكرون حتمًا في اتباع سُنن أجدادهم، ثم ينتهون قتلى بطريقة درامية، لا يعتبرون لها وكأنهم يقرأون التاريخ بالمقلوب، أو ربما لأنهم ركنوا إلى مدونيهم الذين سيجعلونهم ثوارًا أمجادًا على طغيان مزعوم.

أما الهاشميون الذين لا يتبعون مذهب ولاية البطنين فعليهم أن يتماهوا في الأوطان السيادية المعروفة اليوم بأسماء جديدة كـ الإمارات، وعُمان، ولبنان، والجزائر، وليبيا، والسودان، والسعودية، وألا يحرصوا على تذييل ألقابهم بصفات كـ الشريف، والسيد، والحبيب، وهي صفات تُطلق على الكهنة المغرورين الذين حاربهم النبي

صلوات الله عليه، وحمل المسلمين على التعايش بلا استعلاء أو صفات تأخذ شخصيتها الاعتبارية من إمبراطوريات أخرى، وقال النبي على لسان الله تعالى: " إنما المؤمنون إخوة "، وقال أيضًا: "ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ". فهل يمكن تصنيف تلك الأعمال الوحشية للهاشمية التاريخية والمعاصرة قتلاً بالخطأ!.

- كيف يمكن حل الهاشمية في إطارها العربي إذا حاصرناها في بعدها الإقليمي باعتبارها أساسا عرقية عربية داخل الشعوب العربية نفسها؟

هذا سؤال مهم، وقد يكون للمملكة الأردنية الهاشمية دورها الكبير في ترشيد الذهنية الهاشمية اليمنية، واحتواء الهاشمية العربية، التي توسوس لها عمامة إيران الهاشمية بالمال والحضور، وتعدها بالتمكين والسُلطة في عودة للتاريخ إلى ما قبل اتفاقية سايكس بيكو قبل مئة عام، فالتجربة التي خاضتها العائلة المالكة الأردنية خلال العصر الحالي وبعد تشكيلها على حدودها الحالية جعلها قادرة على استيعاب العشائر الأردنية التي تعرفت عليها للمرة الأولى قبل نحو ٨٠ عاماً تقريبًا، وصارت وفق وضعها الجديد مسؤلة شرفيًا عن أوقاف المسجد الأقصى،

وهو ما منحها ألقًا دينيًا جيدًا، وحضورًا عربيًا مميزًا، من خلال تعبيرها عن الهاشمية التي يجب أن تبقى ضمن إطارها العربي، حتى لو تطرف البعض واعتبرها مشكلة في حد ذاتها، إلا أن الأردن لمكانة عاهلها تستطيع تحفيز الهاشمية اليمنية على التخلي عن امتدادها الإيراني الذي أثار قلق جميع العرب، وقلق اليمنيين أيضًا، فكانت هذه الحرب التي لا نهاية لها إلا باستسلام عسكري، أو سياسي للحركة المسلَّحة المعبرِّة عن الهاشمية في اليمن وهي "أنصار الله".

لكن الملاحظة العميقة تُعيد إنتاج الإرث الأزلي المرتبط روحيًا بالهاشمية اليمنية، وبلاد إيران حتى قبل بروز خميني بعمامته السوداء في وجه العالم، الذي كان مبتسمًا ببلاهة، ولا يدري أنه مكّن الإرهاب الأخطر على مستوى البشرية من دولة كبرى مثل إيران، قد تستخدم "حقها" الاصطفائي في الغارة على كل العالم، وإنتاج الفوضى الاستعمارية، يساندها المنتمون إلى الهاشمية من كل أنحاء العالم، ومعهم شيعتهم الفاقدون لعقولهم، وحدودهم الإنسانية، وواقعهم البشري،

وذلك يعني بلغة الأرقام أن جيشًا مكونًا من ٢٠ مليون هاشمي متوزعون على مستوى العالم - حسب إحصاءات غير دقيقة - إضافة إلى ٧٠ مليون شيعيّ، بإجمالي ٩٠ مليون

محارب مستعدٍّ للموت اللانطلاق نحو تحقيق نبوءة ظهور "المهدي المنتظر"، وتمكين نائب الفقيه الإيراني من سيادته على العالم، معتقدين أن ذلك الفعل المجنون وحده قد يُعيد الابتسامة إلى رأس الحسين بن علي المدفون سرًا في مكان ما.

تُرى لو أن الهاشمية الأردنية تُبادر إلى تلك المبادرة التي قد تُحرج الهاشمية اليمنية، وتفضح مرة أخرى ارتباطها الكامل بإيران، مما يجعلها ترفض حتمًا أو قد تقبل ثم تُعيقها بشروطها الأصولية النابعة من طيش أحمق، وغلبة وقحة، لا تجد غضاضة في شتم أعراض اليمنيين ونسائهم، واختطاف الفتيات اللائي قررن الخروج طلبًا لاستعادة الديمقراطية اليمنية المختطفة وسط صنعاء.

- أليست المناداة بعودة القومية اليمنية عنصرية أخرى مقابل العنصرية الهاشمية؟

القومية اليمنية مصطلح قاسٍ إلى حد بعيد، فاليمنيون يفضلون وصف حراكهم الاجتماعي الوطني بـ "الهوية اليمنية المعاصرة" بما تمثله من استلهام "حضاري" للرمزية

اليمنية القديمة في تشكيلها الإنساني، قبل أن تسطو عليها الهوية الدينية "الهاشمية" على وجه التحديد لتشكيل وعيها القتالي، وتحوّل اليمن إلى أداة للإيذاء، فعلى مدى قرون من الزمن كان اليمنيون سلاحًا قرشيًا فتاكًا في توسيع إمبراطورياتهم الحاكمة، مجرد بيدق محاصر بنصوص دينية سلبته دولته، وحدوده الجغرافية، ومُلكه، وحوّلته إلى تابع متحمس، يقاتل في سبيل ولي الأمر المتنعم بخيلاء في ضواحي بغداد أو دمشق، أو ممتثلًا لأمر الكعب العالي في إستانبول، أو مولى مناصر لإمام هاشمي يرى أنه أفضل من اليمني، وأقدر على إدارة شؤن البلد!.

الصراع في اليمن أساسه الهوية. أولئك القوم الذين قدموا إليها على مدى هجرات طويلة من فارس، أو الرس بالمدينة المنورة، أو العراق، استولوا على السلطة الدينية، وتسلحوا جيدًا، ثم أغاروا على اليمنيين لانتزاع كرسيهم، مستفيدين من وسائل التحريش بين القبائل، وتقديم أنفسهم كحل روحي وواقعي، لمأزق السلطة الذي فشلت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م أيضًا في حسمه، وتشكلت بذهنية الإمامة وتصرفاتها، وهو ما ساعد على بلوغ الحوثيين العاصمة صنعاء.

تغريبة اليمنيين عن هويتهم الأصلية، والسماح بقيام هويات أخرى، مهما بلغ شأن من تنتسب إليه، هي قنبلة عنقودية موقوتة تتفجر على مراحل زمنية متعددة، وفي حيلتها القديمة تُجرّم عائلة من الهاشميين حال هزيمتها، لإنقاذ العائلات الأخرى، فيقال إن "عبدالله بن حمزة، مجرمٌ وحده وبقراره هو، ومثله "شرف الدين"، و "ابو الفتح الديلمي"، وغيرهم من المجرمين التاريخيين الذين صمت التاريخ عنهم، حتى بدأ التدوين الحاذق بتنظيف ساحاتهم، وتحويل جرائمهم إلى أعمال بطولية خالدة في كل مذابحهم، حتى يختفي الشهود وتبدأ سلسلة جديدة من الصراع تحت ستار عائلة أخرى، وفي كل مرة تنجو الهاشمية من الإدانة، ومعها ينجرف أثر تاريخي، أو حضاري لليمنيين، وتتحرك الماكينة الدعائية الهاشمية لتشويه الرموز الأفذاذ في أخلاقهم، وعفتهم، أو التشكيك في قراراتهم، أو اعتبارهم طبقة دنيا، مقابل إبراز عبارات المديح لأولئك السفاحين الذين هتكوا ستار العرض والقيم، وتغلبوا على الشيطان في تصوراته الدموية لأشكال الإعدام و التصفية العرقية.

قيام الهوية اليمنية ضرورة إنسانية مُلحة، شأنها شأن الهوية الفرعونية في مصر، التي ظلت حامية للمصريين من

الصراع الديني الاستعلائي، أو تطبيق نظريات مماثلة عليهم،كتلك التي تعربد خرافاتها في اليمن بكل جرأة. لم تتقاطع الفرعونية مع اعتناق الأغلبية المصرية الدين الإسلامي، ومثلها الهوية العثمانية، أو الكردية التي تعيش مأزق الشتات الجغرافي بين أربع دول، تختلف في تنافسها وصراعها، لكنها تتفق على منع الأكراد من قيام دولتهم الكردية الخالصة.

الهوية الهاشمية فكرة تحرسها المقدسات كرموز شخصية أو نصوص دينية، ذلك جعلها فكرة محرَّمة يمنع الاقتراب منها، وتحميلها وزر إبادة شعب بأكمله، ما تزال رصاصاتها حتى اللحظة منطلقة في قتله والتنكيل به، رافضة أن يشار إليها بالبنان – وإن على استحياء – فالتعرض لها – حسب مفهوم الكهنة – يودي بالمرء إلى الاشتباك المباشر مع النبي صلوات الله عليه!.

إذا استمر الهاشميون في ترديد هاشميتهم دون أن يتعرضوا للمساءلة الشعبية، واللوم الرسمي، فذلك يعني أن ولاءهم ليس لليمن، بل للإمام، وهو تفسير بديهي لتناغم العرق خميني "الهاشمي" مع الهاشميين، الذين قرروا التعصب لعرقهم على أوطانهم التي ولدوا فيها وعاشوا على أرضها.

لقد محت الهاشمية الحضارة اليمنية عن سبق إصرار وتعمد، بل منعت حضارتها من الوصول إلى وعي اليمنيين أنفسهم، رغم انتشار سمعتها التاريخية إلا أن الأثر الملموس يكاد يكون غائبًا في متاحف العالم، ويبدو أن الفرد اليمني قد اعتاد البقاء مجهولًا، حتى في تضحياته العسكرية، وفي حضوره اللامع بجوار النبوة الإسلامية، وإبراز "عبهلة العنسي." كمرتد فقط!. تلك هي الإشكالية التاريخية التي ستبقى ردحًا طويلًأ من الزمن مالم يتجرأ اليمنيون أنفسهم على مقاومتها بالصورة الحاسمة والناجزة، مهما بلغ حجم التحدي والاعتراض أو السخرية أو الإلهاء. ذلك هو الأمر الوحيد الذي يؤمّن المستقبل من صراع قادم، وأكثر دموية لا محالة بين الهويتين اليمنية والهاشمية.

- هل تعتقد أن استمرار تورط الهاشميين في دعم الحركة الحوثية سيؤثر عليهم مستقبلًا؟

الملاحظة التي يجب على الهاشميين أن يتنبهوا لها جيدًا أن الهاشمية جرى تحويلها إلى حركة سياسية دينية عنصرية

مخيفة، تقوم على فكرة تناقض مسلمات العصر الحديث، ونظرة المجتمعات لأمور الحكم ووسائله. وهي أيضا حركة اجتماعية وثقافية موازية، تعمل على تنظيم نفسها وفق حركة دقيقة، تشعرك بالخطر عند دراستها، فهي عنصرية تشبه كل الحركات العنصرية والعرقية في العالم، وتختلف فقط من حيث قدرتها على ترتيب نفسها بطريقة تشبه الحركة الصهيونية، التي حولت الدين اليهودي إلى دين عرق، لا يمكن الانتماء إليه إلا بفحص ال DNA للأم.

بذات الطريقة كان العرق الآري الذي تمحور حول نفسه، واعتبر نفسه سيدا على الآخرين، ثم فكرة الدماء الزرقاء التي كانت معظم أوروبا تؤمن بها في فترات مختلفة من التاريخ.

هذه الحركات هي حركات مخيفة، وتستفز الناس بصورة كبيرة، لأنك لن ترى نفسك حتى ولو كنت حاكما إلا مجرد موظف في خدمة الشجرة المقدسة.

- ما لفت انتباه اليمنيين وخوفهم هو ذلك التلاحم المريب والغريب لأفراد هذه السلالة، وبصورة تشعرك بعملية منظمة تمتد لآلاف السنين، وليست مجرد حركة ضرب الحظ معها فتحالفت مع علي عبدالله صالح.

- منذ اليوم الثاني لوفاة الرسول المصطفى، وربما قبل موته، ولدت هذه الحركة، وعبر التاريخ اشتعلت البلاد الإسلامية حروبا وصراعات على خلفية هذه النظرية المخيفة؛ فالدولة الإسلامية الأولى سقطت بفعل هذه الفكرة، وسقطت الدولة الأموية على أعتاب هذه الفكرة، ثم دخلت اليمن بعد العباسيين، وهم واحدة من السلالات التي ارتبطت بالفكرة، ورأت أن العم أقرب من ابن العم، وأقحمت الأمة في سلسلة من الفوضى والثورات التي لم تتوقف بفعل الفكرة التي لا تكاد تموت حتى تبعث من جديد.

في التاريخ الإسلامي أكثر من عشرة آلاف ثورة قامت على هذه الخلفية، وهذه النظرية، وبسببها قُتل مئات الألوف من المسلمين، في صراعات البحث عن السلالة النظيفة، وتغيرت أحكام الفقه والدين وفقا لتأثيرات هذه الفكرة.

ومن هنا فإن النظرة إلى القصة الهاشمية بهذه الخلفية تبعث الكثير من الفزع؛ لأنها ليست فكرة "الحوثي"، وليست مجرد قصة غبية استفادت من تناقضات اللحظة وقفزت إلى السطح وستنتهي، إطلاقًا، فهذا التخوف الذي نبديه ولا نكتمه مشروع، ويجب على الهاشميين أنفسهم مقاومته

ابتداءً؛ لأن تأثيراته ستكون وخيمة على الجميع في لحظة ربما لن يكون بمقدور أحد أن يدفع عنهم أي شيء، أمام غضب هائج يستحضر كل جرائم التاريخ، وكل صور الرعب القديم والحديث، ليختزلها في لقب لأسرة أو عائلة.

حالة الترابط السلالي الغريب الذي نراه واضحًا، وحالة الحنان التي يُظهِرونها لبعضهم!، وحالة الجنون التي كشفوها في وجه خصومهم، منحت المجتمع اليمني حقًا كاملًا في الانتقام، ورد الرعب إذا تمكن من الانتصار.. هذه الصورة المخيفة تلوح في الأفق، ولا يمكن نكرانها، فهي حقيقة واقعية مُفزِعة لي شخصيًا.

- مثلًا.. الخوف من النازية جعل خمسة وعشرين ألف طن من مادة TNT تنفجر في مدينة واحدة اسمها "ايسن" الألمانية، ظلت تشتعل قرابة ثلاثين يوما، ولم يتذكر أحد حتى اللحظة كل هذا الدمار، بعدما فعله هتلر في أوروبا والعالم. وأمام عرقية هتلر وجنونه دفعت كل ألمانيا الثمن.

ليس هذا التعاطف في وقتها فقط؛ بل حتى اليوم لا تجد أحدا يبكي المدن المحترقة، والجثث المتفحمة، التي أحرقها طيران الغرب في الحرب العالمية الثانية، وحتى هذه اللحظة لا أحد يذكر منها شيئًا، وبالرغم من كل تلك المأساة

الإنسانية التي تفوق الاحتمال، لا يتذكر العالم سوى بشاعة النازية، والحركة العنصرية التي آمنت بتفوق العرق على سائر البشرية!

- هذا ما يحدث للبشر عموما ولابد أن نشير إلى هذه الحقيقة الواقعية، لأن مسئوليتنا مشتركة في الحفاظ على السلم الاجتماعي، ولا بد أن تظهر البطولات من الهاشميين أنفسهم لرفض الفكرة، والحرب الضروس عليها، حتى يشعر المجتمع بأن المسألة غاية في الجدية وليست مجرد أصوات تفتقد للفدائية، يجب أن يتخلى الصوت الهاشمي عن المكر في هذه القضية بالذات.

هذا أمر كنت أود أن أناقش فيه الهاشميين وحدهم، وأن يصلهم وحدهم، لأن المجتمعات ليست أجهزة حاسوب يمكن تزويدها بالبرنامج المناسب، بل هي حركات فوضوية عنيفة لن يكون بمقدور أحد أن يوقفها.

لقد ضرب الهاشميون الاستقرار الاجتماعي، أخلاق الدين، أعراف المجتمع، توافقات السياسة، ودمروا في طريقهم إلى الحكم كل الأخلاقيات، باعتبارهم مجموعات نظيفة ترى الآخرين مخلوقات ناقصة غير مفضلة، واستحقوا اللعنة الأبدية.

هكذا سيقول أولئك الذين فُجّرت بيوتهم، ولن يملك أحد ترف الفصل بين العوائل والأنساب في لحظة انتقام قد تأتي ذات يوم، مالم يرى الهاشميون فدائية كبيرة تشعر المجتمع بالطمأنينة.

من هنا تنبع تخوفات المجتمع والناس، من خلفيات الحركة وتنظيمها السري وكيف استطاعت أن تلملم كل شتاتها في أيام معدودة، لتنتظم بهذه الطريقة المخيفة.. فهي جماعة عزلت أبناءها، ودرّستهم كتبها الخاصة، ولقنتهم قدسية العرق واحتقار الآخرين، ثم أطلقتهم لايلوون على شيء.

- هذه هي الصورة التي رُسِمت بأيدي الهاشميين حتى الآن، رسموها هُم، ونقشوها على جبين كل يمني بالدم والألم والأحقاد، ولابد لتغييرها من تضحيات كبيرة من الوسط الهاشمي نفسه، تليق بانكسارات اللحظة وقهر السنين.

هوامش

- ١ -

خلال عصر الجمهورية الذي بدأ في عام ١٩٧٠م بعودة الفريق الإمامي إلى النظام الجمهوري الجديد واعترافهم به، ومثّل نهاية سعيدة للحرب التي وقعت بين اليمنيين والهاشميين على مدى ثماني سنوات عجاف، في ذلك العصر الممتد ما بين ١٩٧٠ إلى ٢٠١٤م كانت التجارة ودكاكين الصرافة تنسحب من قبضة الجمهورية إلى يد الهاشميين المحترفين، الذين لم يكونوا على عهد سابق بالتعاملات المصرفية الرأسمالية، لكنهم تعلموا جيدًا، وقرروا السيطرة على المال الجمهوري، والتحكم في تدفقه فأنشأوا علاقات محرَّمة لتجفيف موارد الجمهورية مع القوى التنفيذية المهيمنة على النظام الجديد، وتولى "محمد أحمد الجنيد"، الذي كان يتنقل من وزارة المالية إلى محافظية

البنك المركزي ثم الخدمة المدنية، توطين الهاشميين في الوظائف المالية الرئيسية لأغلب مؤسسات الدولة، ومثله توغل "صالح شعبان" –إسماعيلي المذهب – في تقاسم الوحدات الحسابية والإدارت العامة المالية الحكومية، واحتكارها في جماعته وأبناء محافظته، وكان هو الثابت الذي لا يتغير في وزارة المالية على مدى ٣٣ سنة، ومع اجتياح الحوثيين للعاصمة صنعاء وإعلانهم الانفراد بالقرار الرئاسي والحكومي، تولى "شعبان" مقاليد وزارة المالية في حكومة التمرد، وتولى الهاشميون خلال عقود تحسين مداخيل عناصرهم من الضباط والمسؤولين، ومصاهرة عائلة الرئيس وأقربائه، وتحوّل الوزير إلى سمسار يبيع عقود العمل إلى التجار المترفين، انغمس الجميع في الفساد، وتكاثرت أملاكهم المحرًمة باسم التجارة غير المرئية، وتولت البنوك ضمان تدفق "التمويل" إلى التنظيم الهاشمي للاعتناء بأفراده، ومساهمته في تمويل تجارتهم الصغيرة والكبيرة، حتى ينمو رأس المال، ويتوزع داخل الأسر الهاشمية إلى أقصى. ما يمكنه، ذلك بما يضمن ربط الولاء الوظيفي والأسري والعقدي بتنظيم يُعد العُدة للانقضاض على الجمهورية من الداخل وبأموال اليمنيين!

لقد أثبت الهاشميون أن المال ليس تجارة رابحة وحسب، بل سلاحًا جديدًا يمكنه تمويل الحروب، وحشد المقاتلين بالأجرة، بما يُحدث انقلابًا شاملًا في مفهوم إدارة حروب العصابات التي برع الهاشميون في استدامتها لوقت طويل، عبر المال المسترجع من أرباح التجارة والصرافة وأعمال التهريب وتجارة المخدرات والسلاح منذ أول طلقة حوثية في سماء صعدة عام ٢٠٠٤م.

إن انتكاسة الجمهورية في ٢٠١٤م، وعجزها عن إنجاز الحياة الملائمة لشعبها، كان سببًا في ارتفاع صوت الإماميين الجدد، والعودة من بوابة التصحيح المزعوم، ويمكن تفسير ذلك بنتائج الانقلاب العسكري على الرئيس عبدالرحمن الإرياني في ١٩٧٤م وتسليم السلطة للرئيس المقدم ابراهيم الحمدي تحت مبرر أولوية تصحيح الثورة، ولو على حساب الحضارة والتمدين، وهو ما أدى إلى تراجع دور المثقف والمفكر وبقائه رهينة في يد سلطة عسكرية تعاقبت على الرئاسة بعد مقتل الحمدي "١٩٧٧م"، وتفجير الغشمي "١٩٧٨م"، ثم صعود علي عبدالله صالح لرئاسة اليمن الشمالي - حينذاك - بردائه العسكري الذي تخلى عنه بعد عشر سنوات من رئاسته الأولى، وبهذا يمكن الجزم بأن حركة التصحيح هي التي

دفعت بالعسكر إلى صدارة القيادة العامة لليمن، وما ترتب على ذلك من ضياع فرصة البلاد في العصر الرأسمالي – الصناعي، وانتكاسته على أمل توطين مفاهيم الحرية، والشورى، وإعادة الشرع الجماعي إلى اليمنيين أنفسهم. وبقيام حركة التصحيح "١٩٧٤م" فُتحت مصارع بوابات صنعاء السبع لعودة مختلف القيادات الإمامية الأرستقراطية التي حاربها اليمنيون في ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م. استعاد الإقطاعيون شأنهم، وإرثهم، وممتلكاتهم مجددًا تحت حماية عسكر الجمهورية! وفشل المثقفون في إقناع القيادة العسكرية بإصدار قوانين تُجرِّم السُلالية العنصرية، والدعوة المبطنة أو الظاهرة للإمامة أو الترويج لها.

– ٢ –

ستظل المشيخة في اليمن في تعريفها البسيط نظامًا إداريًا براغماتيًا، يمثل حاجة القبيلة لإدارة نفسها في أعرافها، وأسلافها، وطبيعتها، وعاداتها، وحواراتها، ومشاكلها الداخلية. وهي جزء من التطور الطبيعي لتجارب الإنسان في إدارة المجتمع، ومما يؤسف له أن ينصهر كثير من العائلات المشيخية مع احتجاجات ربيع ٢٠١١م، رغبة في

خلع الرئيس الذي ينتمي إلى طبقة الفلاحي. وهذه الخطوة الخطرة للمشايخ أفقدتهم غطاء الدولة، وأوقعتهم في مواجهة مباشرة مع القبيلة الهاشمية التي كانت تجمع فتيتها الغاضبين من كل المحافظات، وترسلهم إلى قبيلة الشيخ الذي توهم في لحظة ما أن أفراد قبيلته سيدفعون عنه الأذى، كأنهم جنود مدربون على ذلك، على عكس الهاشمية التي تتلاحم عرقيًا في تجاوز لحدود القبيلة، لتذود عن فرد من أفرادها في أية بقعة من بقاع اليمن، وهو ما انعكس جليًا في قدرة تنظيم الحوثية على إغشاء القبائل اليمنية التي ناصبته العداء بآلاف مؤلفة من المقاتلين المستعدين للموت، وتدمير كل شبر في مناطق خصومهم.

حينها أدركت القبائل التي شاركت في احتجاجات الربيع العربي أنها لن تكون في مأمن، وأنها خلعت رداء الأمن فألبسها الله رداء الخوف والجوع، وأن عليها الاستسلام الطوعي أو القهري للقبيلة الهاشمية التي انقضت بعد ذلك على السلطة في صنعاء، فصارت قبيلة ودولة في وقت واحد. وهو تزاوج مرعب لا يستطيع أحد مقاومته ما لم تتوحد كل القبائل اليمنية تحت راية واحدة، فتسيطر كل قبيلة في وقت واحد على مناطقها، وتعتقل أو تنفي من يرتبط بالهاشمية الحوثية خارجها.

حين تقوى الدولة يضعف دور الشيخ، وحين تضعف الدولة لا يستولي الشيخ عليها، فهناك قبيلة أقوى من مشيخته، عناصرها من الهاشميين الذين يملكون البُعد الديني، والتأثير العاطفي، والقدرات العلمية والأكاديمية، والإعلام والدعاية، والمال والتأثير.

الشيخ جزء من الهوية اليمنية، وعليه أن يسعى دومًا إلى تأييد الدولة، لأنه لن يكون عظيمًا بين أهله، وهانئًا وسط قبيلته، ما لم يكن رأس الدولة يمنيًا يُشبهه وإن كان فلاحًا، أو من الطبقات التي توصف بالدُنيا، فذلك أزكى له من تنمر الهاشميين عليه، وإهانته، وربما تغييره إن سنحت الظروف، كما فعلت الإمامة على الدوام و بمن سبقه من المشايخ، سواءً كانوا كبارًا أم صغارًا.

هذه ليست بالطبع دعوة إلى العودة إلى ما قبل الدولة الوطنية، لكنها محاولة لفهم طبيعة التكوين الاجتماعي اليمني، ورفضًا مطلقًا لمساواة الشيخ بالهاشمي، مهما كانت الانحرافات أو الأخطاء التي يرتكبها بعض المشايخ، إلا أنهم يمثلون جزءًا من تركيبة أزلية وعشائرية، تمثل خط الدفاع الأخير لروح الريف اليمني، وعراقته، وأصالته، وتركيباته القبلية والوظيفية.

رقم خطأ

قدّم الممثل الهندي عامر خان أفضل أعماله على الإطلاق في فيلم "PK" الذي أظهره كمحارب اجتماعي قادم من كوكب آخر لإجراء أبحاث علمية على البشر، وقد أطلق الأسئلة المحرَّمة باندهاش فضولي ساخر.

وصل عامر خان عاريًا من مركبته الفضائية، وعلى عنقه قلادة دائرية مضيئة هي مفتاح الاستدعاء للمركبة التي ستعيده إلى كوكبه، سرق القلادة لص هندي، وتاه الرجل بحثًا عنها، وكانت الإجابات تحيله إلى "الرب" القادر وحده على إعادتها إليه. فذهب بحثًا عن الرب، ولكنه وجد أربابًا كثيرين وحُماة، ومن هناك بدأ إطلاق الأسئلة البريئة، مثل أي طفل لا يعلم شيئًا عن الدين.

لم يكن الفيلم ساخرًا لمجرد التسلية، بل مثّل ردودًا عنيفة على كهنة المعابد المثيرين للضحك، أولئك الذين خلقوا

إلهًا آخر يدرّ عليهم المال، ويمنحهم السلطة والقوة، ويسحر أعين الناس ببركات خفية، ويذل كرامتهم بالانحناء له. إنها أخطر وظيفة في العالم، وظيفة الكاهن المقدس الذي يتوسل الناس بركته للحصول على رضا الرب!.

في زمن قديم صمّم الهاشميون عالمًا من اللاهوت السحري، بعد أن أدركوا أنهم خرجوا بخفي حنين من آخر النبوءات الإلهية، وقد أثار النبي محمد صلوات الله عليه حنقهم بصمته عن تحديد الولاية في أقاربه، فرحل بهدوء تاركًا رسالة الله محفوظة في قرآن كريم، وبلسان عربي مبين، لا يحتاج إلى وسطاء أو أقارب لتأويله خارج مفهومه الروحي الطيب، فقرروا خلق دين جديد كانه موازياً لدين الله، قائماً على الخدعة السحرية اليهودية: الأسباط. وكان ذلك إيذانًا بإشهار رقم خطأ إلى الله - كما يقول عامر خان - يودي بطالبه إلى الاتصال بإله آخر، فيمنحه الفتوى الخطأ على لسان فقيه مُعمم اختار النعيم على الإصلاح الإجتماعي.

بدأ التصميم بإنشاء مدينة من الخيال بديلًا عن المدينة المنورة، أطلق الهاشميون عليها "مدينة العلم" وترمز إلى علم النبي محمد صلوات الله عليه الذي استقاه من لدن عليم خبير، وجعلوا علياً بن أبي طالب بابها - لم يقولوا حارسًاً، بل باباً لها، وهو الباب الوحيد - فلا يدخل أصحاب الحاجة تلك المدينة دون أن يمروا من الباب، ثم تنبه الهاشميون أن وفاة النبي ستترك فراغًا في مدينته، فغيروا وظيفة علي بن أبي طالب من باب إلى نصف نبي، وقالوا على لسان محمد: " أنت منى يا علي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"، بعد أن أطمئن الهاشميون إلى الخليفة النبوي، حولوا صفته من أمير للمؤمنين إلى إمام، وجعلوا الإمامة صفة ونظاماً حصرياً في الهاشميين العلويين فقط.

كانت تلك ضمانة سحرية لبقاء الإمامة فيهم حتى قيام الساعة، وظيفة لا تموت إلا بفناء الأرض، ورزقاً جاهزاً من جيوب المغفلين، وفي سبيل تحقيق ذلك انقسم الهاشميون إلى ثلاثة مستويات لتحقيق الحيلة: الأول: محارب يستعمل العنف لتحقيق الإمامة كوظيفة حاكمة، والثاني: فقيه يهتم بتوظيف العبارات الدينية لصالح ابن

عمه الحاكم، والثالث: فئة معارضة تعمد إلى احتواء أخطاء الإمام بتنفيس المحكومين قهرًا وإلهائهم عن الأهداف الرئيسية للأوطان، وتقديم أنفسهم كنماذج بارزة في المجتمع، فمنهم رجال الأعمال الذين يحصدون مزايا بنكية لا تمنح لغيرهم من عامة السكان الأصليين، أو إعلاميون بارزون يتيحون هامشًا من الحرية، حتى إذا وصلت النار إلى أقدام الإمام سارعوا لإطفاء الحرائق.

في سياق اكتمال التصميم الهاشمي لمدينتهم اللاهوتية، قرروا منح علي بن أبي طالب صفة الولاية المؤكدة، فعمدوا إلى إضافة لمسة عبقرية في كل كتب التراث السُني والشيعي بتفرعاتهم ومذاهبهم، تحكي أن رسول الله أمسك بذراع زوج ابنته "علي بن أبي طالب" ورفعها في الهواء عاليًا كما يفعل حُكام الملاكمة قائلاً بحزم: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه"!، وليتحقق الخوف من الابتعاد عن هذه الوصية الخرافية شدّد الهاشميون على إضافة دعاء أثير " اللّهم وال من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله ". ليس هذا وحسب، بل جعلوا الحق مطلقًا معه، فأضافوا في ختام الدعاء فقرة مذهلة "وأدر الحق معه أينما دار"، يعني ذلك أن علي البريء من كل هذه

الأساطير كائن خرافي له سلطة إلهية مطلقة يدور الحق معه ولا يدور هو مع الحق!. لو أن "عامر خان" سلّط فيلمه على الإسلام الهاشمي لسأل "صاحب القداسة" عن سبب اختيار النبي لزوج ابنته "علي" ليخصه بالولاية دونًا عن الزوجين الآخرين "عثمان بن عفان" و"العاص بن الربيع"!. إنه سؤال مهم لم يستطع أحدٌ الإجابة عنه حتى هذه اللحظة.

بقي أن يُشبع الهاشميون شخصية علي بن أبي طالب بقوة الرجل الحديدي "IRON MAN" فكتبوا في وصف غزوة الخندق أنه اقتلع بابًا يزن خمسة أطنان من الحديد، ليجعله درعًا في معركة أحادية مع عمر بن ود العامري. وأضافوا أسطورة أخرى أنه ضربه بالسيف من رأسه حتى أخمص قدميه، ثم سأله علي: بِمَ تشعر ياعدو الله؟ فأجاب العامري: أشعر بدبيب النمل يسري في جسدي!، فصاح فيه: اهتزّ يا عدو الله. فاهتز الرجل وانقسم إلى نصفين! وصفق المسلمون!. لم يكن ذلك مشهدًا من فيلم "ملك الخواتم" بل عَالَمًا فانتازيًا عالمٌ فانتازيٌّ صنعه الهاشميون على أنه الحقيقة المرادفة للمدينة المنورة التي أرسى فيها النبي صلوات الله عليه قيم المنطق، ورجاحة العقل، ونبذ

الخرافة، ومهاجمة الأساطير، وإعلاء مبادئ الحرية، والشرع الجماعي، والشورى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمساواة بين جميع الأجناس البشرية، والتواضع، وحرية الأديان أيضًا، فكانت فيها حياته، ومنها رحل طاهرًا مطمئنًا إلى الرفيق الأعلى.

في تلك الفانتازيا الشائقة كحكايات "هاري بوتر" كان لا بد لـ "علي بن أبي طالب" أن يستل سيفًا مُشعًا لأنه رجل مميز واستثنائي، فكان أن هبط من السماء سيفٌ فولاذي من ضوء الجنة صقله سبعون ملاكًا على أحجارٍ كريمة، وكتبوا على مقبضه اسم حامله الذي يُحبه الله ورسوله - ولا شك في تلك المحبة طبعًا - وشقوا رأس السيف بعلامة V فصار له رأسان مدببان، وسُمي بسيف ذي الفقار. هذه رواية، والأخرى أكثر تواضعًا. أنه أول سيف في الإسلام، ولما سمع الرواة وصف النبي الحبيب لخالد بن الوليد يوم جاءه إلى المدينة المنورة شاهرًا إسلامه أنه "سيف الله المسلول"، كان لا بد للرواة أن يدمغوا هذه الصفة ويحصروها في "علي" فقالوا إنّ النبي حسم الأمر بقوله: لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار. ولكن أين

السيف؟الإجابة جاهزة: لقد عاد إلى السماء، ارتفع مثل المسيح بن مريم، فلا قِبل لأهل الأرض به.
في المدينة المنورة تولى أبوبكر الصديق خلافة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بموافقة رؤساء القوم، فخلق الهاشميون مظلومية علي في الحُكم، وافتتحوا جدلًا لم يتوقف حتى هذه اللحظة، ولن يتوقف مستقبلًا عن أحقية علي بن أبي طالب في الحكم من أبي بكر، وقد أثري الجدل بآلاف المجلدات التي جعلت من إجماع سقيفة بني ساعدة محور المؤامرة الكونية، ليس رأفة بحال علي بن أبي طالب الذي خسر الخلافة في بدايتها، بل رغبة في تحذير المسلمين من تكرار تلك "المؤامرة" في زمنهم!. وفي سياق التبرير المقابل لولاية علي بن أبي طالب الشهيرة في "غدير خُم" قال المؤيدون لخلافة أبي بكر الصديق إن رسول الله أمره بخلافته في الصلاة بالمسلمين، وكانت تلك إشارة بالموافقة على تعيين أبي بكر خليفة له. رغم أن أسامة بن زيد كان خليفة الرسول صلوات الله عليه في الجيش إلا أن المفسرين لم يروا في تلك "الخلافة" أية إشارة تقود ذلك اليمني الجميل إلى إدارة شؤن المسلمين!.

مثّل صراع علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان على الحُكم انتكاسة في المدينة اللاهوتية بعد سقوط علي مضرجًا بدمه الطاهر، وتسليم نجله الحسن السلطة لمعاوية، فقد هدّدت تلك اللحظة بتدمير الحق الإلهي المزعوم للهاشميين في السُلطة، إلا أنهم استفادوا من دمويتها لإضافة لمسة درامية على عالمهم الخيالي، فثبّتوا مظلومية علي بن أبي طالب بمقتله غيلة، وكذبوا أنه كان ساجدًا في محرابه فضربه ابن ملجم على رأسه، فرفع علي هامته وانهمر الدم على لحيته مثل شلال غزير، والحقيقة أنه كان في طريقة لصلاة الفجر، فكمن له عبدالرحمن بن ملجم وصديقه شبيب في زقاق ضيق يؤدي إلى الجامع، وباغته شبيب باندفاعة متحمسة شاهرًا سيفه فتفاداه علي بحركة خاطفة وصفع بقبضتيه ظهر شبيب حتى بطحه أرضًا، فعاجله عبدالرحمن بن ملجم في لحظة استدارته بضربة مفاجئة من الخلف شقت جبهته حتى انفلق عظمها، ثم ضربة أخرى قطعت جلد وجهه وحطمت عظم ترقوته.

الضربة كانت مميتة علميًا وطبيًا، تسد مخارج الصوت، وتفقد أي شخص القدرة على الحديث، وقد يفارق صاحبها الحياة فورًا، لكن ماذا نقول فيمن يُصر على رواية

تحكي الآتي: حُمل جسد علي بن أبي طالب على ظهور المسلمين إلى منزله، واستلقى على فراشه، وبدأ يعِظ عياله مودعًا في حديث استغرق عشر دقائق، ثم جاءه الطبيب وظل يفحصه ربع ساعة كأقل تقدير حتى جزم بالقول: يا أمير المؤمنين إنك ميت لا محالة فاحتسب!. بعدها جيء بقاتله عبدالرحمن ملجم المرادي ليدخلا معًا في نقاش حاد، فيحكم "علي" في حال موته بالقصاص العادل، وإذا كتب له الله النجاة فسينظر في أمره، ثم يبدأ البكاء وينتحب الحضور، وقد كانت بحق لحظة موت رهيبة لرجل عظيم كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

تعرض معاوية بن أبي سفيان لتشويه تاريخي مُتناسل، طمس كل إنجازاته الأخرى الغائبة عن الناس، وسلّط الهاشميون الضوء على اختراعه نظام التوريث الأسري، وصراعه "المتمرد" مع علي بن أبي طالب، حتى إنهم أقحموا معه عائشة أم المؤمنين، وبعد أن ضمنوا خسارة معاوية لسمعته في مروياتهم، أغلقوا الباب على ذلك الصراع، وحذّروا المسلمين من الاقتراب كيلا تُشاع الأسئلة المحرَّمة، ويبدأ الحديث المناهض لسُلالية حاكمة لا تهفو لشيء من زهد الحياة قدر عشقها الذي لا يتوب أو

تثوب عن السُلطة، ولو هلك فيها شعبٌ بأكمله، وعلى قدر حنقهم من تنازل الحسن لمعاوية إلا أن دم الحسين ابن علي أنقذهم من الورطة التاريخية.

مقتل عثمان بن عفان بتلك الوحشية الصادمة لم يثر تعاطفًا موازيًا لمقتل الحسين بن علي، وهو الزوج الأول لابنتي الرسول الحبيب،لم يضرب أحدٌ نفسه، أو يشج رأسه حزنًا عليه،لم يتزاحم الدعاة والخطباء على بكائه، ليس له شيعة، وحيدًا رقيقًا مثل زهرة بيلسان مات. قليل من الناس فقط قرأوا تفاصيل ليلته الأخيرة في الأرض قبل أن يغادرها للإفطار عن صيامه مع نبيه الحبيب، لم يُجسّد عثمان في الأفلام والمسلسلات، ولم تشتهر أسماء عياله من بنات النبي، أُغلق ملف اغتيال الخليفة الطيب بتحذيرات الفقهاء من قراءة متوازنة لملف التحقيق أو التدوين، و معرفة الأسماء التي اقتحمت منزله، وتوزعت في طعنه وقطع أصابع زوجته المفجوعة. أخفى أناس لا نعرفهم صورة كان يجب أن تحضر بقوة لإدانة الخروج المسلّح على الحاكم في شريعة الشورى.

يوم كربلاء ينزف كل عام من دماء أناس عاديين، يحضرون بمئات الآلاف لتأكيد غيابهم لحظة توزيع العقول على البشر، وإثباتًا آخر أن سُلطة الهاشميين الدينية ماتزال

طاغية ومتسلطة، ومستمرة بالخرافة لتصبح تقليدًا مقدسًا يُنزِل العقاب على متشيعين غاضبين من مجرم تناثر جسده رمادًا قبل ألف عام، فيجلدون ظهورهم بأنصال حادة تمزق جلودهم، ويختلط اللحم بالدم، ويُرهقون ألمًا وجنونًا دون جدوى!.

اكتمل بناء المدينة، وافتتن الهاشميون في صياغة النظريات والمدونات في كل اتجاه ومذهب ومنحل، وبدأت مراسم التنسيب إلى الهاشمية ليتباهوا بكثرتهم الأمم، مبررين تضخمهم العددي أنه بركة إلهية جاءت برعاية من العلي القدير كيلا ينقطع النسل الشريف!، حتى إنهم لم يجدوا غضاضة أن تصبح الملكة إليزابيث هاشمية الأصل، رغم تنصرها وتزعمها لرأس الكنيسة المسيحية في بريطانيا، إلا أن السُلالية العرقية وإن كانت في دين آخر لا تهفو لغير سُلالتها، ولو لم تكن إليزابيث ملكة لما أعاروها اهتمامًا وإن ثبت بيولوجيًا أنها هاشمية نقية!.

ذلك التركيز المتعمَّد على السُلطة هو قوت الهاشميين، يجري في دمهم ويعيش معهم في مضاجعهم، ويخرج مع زفيرهم، ويعود عند شهيقهم، تعلموه في صباهم، وحموه

بنقابات عاملة تمنح الشهادات الوظيفية لأفرادهم. لقد افتتحوا شركة مُساهمة اسمها الدين الهاشمي، وخلقوا إلهًا آخر ينصرهم، ورسولًا لا همّ له سوى تثبيت سُلطتهم، وأفرغوا على رؤوس العامة فتاوى السربلة والضم، طردوا الشورى من مدينتهم لأنها انتخبت أبا بكر الصديق خليفةً،وأضعفوا الحرية لأنها تثير التساؤلات المزعجة، وصادروا الشرع الجماعي لأنه يفتح المسؤولية على عموم الناس، ويجعلهم شركاء في القرار والإدارة بما كسبت أيديهم، وألزموا الناس جلد أنفسهم عقوبةً لجريمةلم يقترفوها، وعقابًا على سنوات خروجهم القسري عن السلطة، وتخاذل الناس عنهم. إلههم يأمر الناس بعبادتهم من دونه!، فيجعلهم أسيادًا على الأرض، بل زادوا في ذلك أن جعلوا الله عزو وجل يلاحق أولئك العبيد الافتراضيين إلى الآخرة، فيولّي عليهم الحسن والحسين سيدين على شباب أهل الجنة!، سيسأل "عمر خان" مجددًا: هل سيكونا سيدين على الأنبياء أيضًا؟ سؤال محرج أليس كذلك؟.

ترتفع في تلك المدينة الفانتازية قبابٌ صغيرة لأضرحة يرقد تحتها أناس ميتون، ومن كرم الهاشميين على رجال الدين

أن جعلـوهم متعهـدين بجمـع أمـوال المريـدين، فكسـبوا وظيفة "فقيه"، ومنها رزقهـم القليل الـدائم على أن يظلوا حُـراس الخُرافـة، ومروجـي فقـه العبـادات بـين النـاس، والداعين بحزم إلى عدم الخروج على الإمام الذي يسرق المـال والبـيض والسـمن والعسـل مـن الحظـيرة باسـم الضرائب أو الوقـف الشرعي أو الخُمـس - الـذي يمثـل نسـبة ٢٠ في المئـة مـن الـدخل العـام للدولـة، يُنفـق عـلى الهاشـميين حصريًا كـيلا يعـوزهم الفقـر!. في تلـك المدينـة ينحني نادل المطعم على زبونه ليحصل على أجر مناسب، بيـنما يجـب عـلى النـادل أن ينحنـي مـرة أخـرى عـلى قـدم الهاشـمي ليـدفع لـه لقـاء سـلامته مـن النـار وضـمان قبـول عباداته من الله.

بقـي في هـذه المدينـة الحشـد الـدعائي لأحفـاد عـلي بـن أبي طالب ضمان حصولهم على ذات الجينات الفطرية الخارقة لسُلالة نبويـة يجـب عـلى الأقـل أن تُقنـع النـاس أنهـا تملـك كرامات بطابع مميز، فيؤتى بشـهود الـزور مـن فقهـاء ذوي رقاب غليظة يُقسمون جهد أيمانهم أن الفقيه العاطل عن العمـل رأى في منامـه فاطمـة بنـت رسـول الله تسـأله عـن أبيهـا، فيجيـب الفقيـه بأنـه ذهـب إلى سيئون لحضـور درس حفيـده الحبشي!، حينهـا يصـطخب المسـجد، ويصـطرع

بالتكبير والتهليل، ولا يشعر الفقيه بالحرج، ويُهز الحبيب رأسه كأنه حقًا رأى النبي حاضرًا في درسه!، لا تبتسموا الآن.. هناك ما هو أدعى لإثارة الضحك، وستجدونه في كل وسيلة مفتوحة أمام أعينكم، وبضغطة زر واحدة فقط.

هوامش

-١-

حشد الهاشميون عشرات الأحاديث المنسوبة إلى النبي محمد صلوات الله عليه بطريقة بائسة لتكوين سلطتهم الروحية، واعتبارهم جزءًا من النبوة التي جعلت علياُ بن أبي طالب وليًا للعهد، وأطاحت بصفة النبي لتلبسه تاجًا ملكيًا مُذهبًا، وصولجانًا و بلاطًا يفوق ما خسره أسلافهم في بلاط " كسرى"، مخالفة بذلك القرآن، وروح النبوة، وسمو الرسالة، ومتجاوزة المنطق والعقل، ومضادة لمعايير تصحيح الأحاديث، من ذلك:

"أهل بيتي أمان لأهل الأرض، والنجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتي أهل الأرض ما يوعدون "،و: "في أهل بيتي عدول ينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا

وإن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من تقدمون في دينكم وصلاتكم"، وأيضًا: "إن الله أنزل قطعة من نور، فأسكنها في صلب آدم، فساقها حتى قسمها جزءين، فجعل جزءًا في صلب عبدالله وجزءًا في صلب أبي طالب، فأخرجني نبيا، وأخرج عليًا وصيا"، في هذه القيود الدينية براءة اختراع هاشمية مطلقة، أضافت إلى علي بن أبي طالب منصبًا جديدًا، وهو الوصاية على عرش الإسلام باعتباره دولة لا دينًا، وأضافت تكوينًا وظيفيًا مُشعًا في أجساد الهاشميين العلويين، وهو "قطعة النور" التي لم يكتشفها علماء التشريح حتى هذه اللحظة، لكنها وفقًا لمجد الدين المؤيدي حقيقة طبية لم يلحظها أحُد سواه، حتى إنه أخرجها على لسان النبي لتصبح من المسلّمات الطبية التي لا يجوز البحث عنها أو التشكيك فيها.

وأسس الهاشميون على يد رجل الدين السفاح "يحيى حسين قاسم طباطبا" الشهير بـ "الهادي" في ٨٩٨م شروطًا سُلالية لمن يتولى حُكم اليمن، وهي أن يكون: مُسلمًا أولًا، ثم علويًا ثانيًا – أي من سُلالة علي بن أبي طالب – و عاقلًا، بالغًا، ذكرًا، حُرًا، حسن التدبير، عدلًا ورعًا، سليم الحواس والأطراف، شجاعًا، قوي البدن، كريمًا، مجتهدًا، سليمًا مما ينفر الناس منه. وهذه الشروط العجيبة ألغت

الشرط الواجب ذكره قبل أي شيء وهو أن يكون الحاكم يمنيًا أولًا، وذلك ما قضت به مدافع ثوار ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م التي أنهت حُكم الإمامة، وأعلنت الزعيم عبدالله السلال حاكمًا لليمن، وهو أول حاكم من أصول يمنية على بلاده منذ ١٤٠٠ سنه. وفي عام ١٩٩٠م أصدر رجال دين هاشميون ينتسبون إلى الزيدية وهم "محمد المنصور" و "حمود عباس المؤيد" و "احمد محمد الشامي" و "قاسم الكبسي" بيانًا قالوا فيه: " إنّ الولاية العامة حقٌّ لكل مُسلم كفء تختاره الأمة". وقد كانت مجاملة منزوعة الحقيقة، بانت ملامحها في عام ٢٠١٤م حيث ظهر حمود عباس المؤيد داعيًا لإمامة عبدالملك بدرالدين الحوثي، وموصيًا زوّاره بالسلام على "سيده عبدالملك"، كما أن أحفاد "محمد المنصور" شاركوا في حروب الحوثيين وقتل منهم ثلاثة أحفاد في معارك متقاربة زمنيًا، فيما تولى أخوة الشامي وعيال عمومته هيكلة الجيش اليمني وإفراغه من الداخل وضربه ببعضه.

عندما صدر بيان المجاملة الزيدية بعد مرور ٢٨ عامًا على قيام ثورة ٢٦ سبتمبر لم تعلُ الدهشة وجه الرئيس علي عبدالله صالح، ولم يسألهم عما مضى من الرئاسات السابقة: هل كانوا يعترفون بها؟ فقد أُشيع أنه تنفس

الصعداء فرحًا بذلك البيان الذي لم يركز في ألفاظه على أن يكون الرئيس يمنيًا أولًا قبل أي شيء، بل حدد الماكرون هوية دينية وهي أن يكون "مسلمًا كفؤًا"، والكفاءة في الميزان الهاشمي تُشير اليهم دون غيرهم، وذلك ما أعلنه "مرتضى- المحطوري" و "محمد عبدالعظيم الحوثي" في رئاسة الرئيس عبدربه منصور هادي، بمعنى آخر كان البيان التفافًا على شروط الهادوية الأربعة عشر- ومتلاعبًا بالألفاظ والمقاصد، أريد به تجاوز قانون إنشاء الأحزاب الجديد الذي أقرته دولة الوحدة اليمنية، ويحرِّم إنشاء أحزاب مذهبية على أساس عرقي، وقد ساهم البيان في قبول السلطات بفكرة إنشاء حزب الحق اتحاد القوى الشعبية القائمين على المذهبية الزيدية الهادوية بشقيها الناعم والمتطرف، وإنها أحد أخطاء جاهلية الحُكام، وركونهم إلى البيانات الملساء. فقد ساهم حزب الحق تحديدًا في إنعاش الهاشمية السياسية بصورة خطيرة، وتمكنت ليبرالية اتحاد القوى الشعبية من التنظير الفلسفي للقضايا المنسية كالإمامة وإعادتها إلى الطاولة مرة أخرى باسم حرية الرأي والتعبير، وبهذا تمكن الهاشميون من إصدار ثلاث صحف مهمة دفعة واحدة "الأمة" و "الشورى" و "البلاغ "، واستخدمت هذه المنابر الصحفية

لأول مـرة في عهـد الجمهوريـة للـترويج الحـاذق للإمامـة الزيديـة، وأعـاد حـزب الحـق الـذي ضـم غُـلاة الزيديـة وحرسهم القديم تشكيل فتيته في جماعات مذهبية سُمّيت بــ"الشباب المــؤمن"- "تحولــوا إلى أنصــار الله" - وقــد تحججوا في إنشائها لدى الرئيس صالح بأن لحزب التجمع اليمني للإصلاح جماعات كشفية، ومدارس داخلية تُدرِّس كُتب حسن البنا وسيد قطب.

- ٢ -

إنَّ أول مؤسسة معروفة لجالدي النفس بالسياط ظهرت في إيطاليا بيروغيا سنة ١٢١١م. ومنها تفشت الظاهرة في أوروبا وبين المسيحيين! ونقلها الهاشميون كفكرة لعقاب الأمـة، وقـد تنـوع العقـاب بحسـب المـذهب، فالزيديـة الهادوية لا ترى العقاب بالتطبير كما يفعل الشيعة الاثني عشرية ويُعنى بـه: "ضرب الـرؤوس والقامات بالسيوف والسـكاكين، أثنـاء ضرب الطبـول والـنفخ في الأبـواق"، لكنهـا تـرى أن الوسيلة المـُثلى لتحقيـق الثأر الحسيني مـن الأمـويين يتحـدد بدقـة في التسـليم والخضـوع للهاشـميين بتـولي مقاليـد السُـلطة المطلقـة كسُـلالة مترامية الأطـراف

وتحقيق حُلم الحسين بن علي في ولاية الأمر، وهو الحلم الأكثر كلفة في تاريخ البشرية، لما أورث من صراع يمني هاشمي على السُلطة والثروة طيلة ألف عام من الدم والجرائم الهاشمية المروعة تسبح بتعالٍ في مستنقعات من دماء اليمنيين دون أن تكلف الهاشمية خاطرها لحظة واحدة بالاعتذار إلى الضحايا، والندم على ما فعل أسلافهم باليمنيين وحضارتهم، بينما قرر الشافعيون الاحتفال به في موالد يستذكرون فيها ما وقع بالحسين بن علي في موقعة كربلاء، وهي حيلة سحرية تحاكم الأمويين في وعي الناس الذين لا علاقة لهم بذلك، وتتغاضى عن جرائم الهاشمية التي كانت تدّعي الثأر للحسين وزيد بن علي من قتلة لم يعد لهم وجود أصلًا، بينما لا يزال القاتل الحقيقي يذبح اليمنيين بسيف "ذي الفقار" في هذه اللحظات، ويُصادر حقوقهم وثرواتهم، ويُفجّر بيوتهم، وينهب مصارفهم، ويُحقق أعلى معدل من كارثة اللجوء الإنساني في القرن الجديد، ويرفع نسبة المجاعة إلى مستويات لم تجد فيها العائلات النازحة ما تأكله سوى أوراق الشجر، في مقابل نعيم متخم من الأسر الهاشمية المتواطئة مع التمرد في اليمن، وصل حد امتلاكهم لبنايات

مرصعة بالرخام والجرانيت في ظل حرب مدمرة ما يزال أوارها مشتعلاً.

-٣-

أقر برلمان صنعاء المختطف في فبراير ٢٠١٨م ما أسماه قانون موارد الخُمس، وهو ما يعني صراحة قانون تمويل الهاشميين وإطعامهم من موارد الدولة الرئيسية، حيلة كهذه لا تجد من يستهجنها بين صفوف الهاشميين حتى أولئك الذين يظهرون بموقف مناهض لحركة الحوثيين المسلحة، إنه نهب علني باسم النبوة التي لا تُورّث لأحد، بل تقوم على مبدأ الاصطفاء، ووحده الله من يملك الحق الحصري في تعيين من يصطفيهم من عباده، ولا يُورِث المصطفى اصطفاءه النبوي إلا بما شاء الله نفسه، لكنه يُورِث ما يملكه من المتعلقات الشخصية لعياله وأقاربه وفق ميزان المواريث المُحددة معاييره بنصوص واضحة في القرآن الكريم، وعلى هذا يُقاس عدم توريث الخُمس الذي كان جباية مالية فرضها الله لنبيه الكريم من مغانم الدولة الإسلامية، وبوفاة النبي صلوات الله عليه يتوقف الدفع له أو لأقاربه، ويبقى تصريفه بحسب القرآن في بقية من حددهم وهُم "اليتامى والمساكين وابن السبيل"، وهؤلاء

عمومًا من الفئات التي أسقطت الدولة رعايتهم في كثير من حكومات العالم الإسلامي، وهو خطأ كبير أنتج خللًا مريعًا في المنظومة الاجتماعية.

رقم خطأ

خدعـة أخـرى أحاطـت المنـاطق الجبليـة في شـمال اليمن وأشاعت أنهم زيود وفقًا لانتمائهم الجغرافي فقط. الزيدية ليست مذهبًا فقهيًا، بل نظام حكم يختطف إرادة الناس وصوتهم بقوة السلاح، وفي هذا النظام ثلاثة أركان: السُلالة، المنبر والرصاصة، وذروة سنامه الإمام الهاشمي، وما بقي من تفاصيل الحياة عظام يلهث وراءها المنتفعون. عندما تحكم الزيدية فإنها تطبع الحياة باسمها وإرثها وخرافتها ومزاعمها، تنشر الكراهية كما حدث في أواخر القرنين الثاني الهجري والخامس عشر، وحين تخسر تُطوّق ساكني الجبل بالشائعة: إنكم زيود فلا تتحركوا سنحنطكم كالمومياء حتى يحين موعد البعث بظهور الإمام شاهرًا سيفه وحوله كهنته ينشدون الزامل، فتستيقظون يا أهل الجبل للغارة على هويتكم التاريخية وأمركم الشوري حُبًا في زيديتكم التي حنطّناكم عليها ومنها نبعثكم عليها أيضًا!!

يخسر اليمنيون دولتهم وعائلاتهم النضالية، ويُسكِتون أصواتهم بأكفهم، يقتلعون عيونهم بأصابعهم دفاعًا عن مذهب ليس له مؤلف، وعن آل بيت ليسوا بآل نبي، وعن إمام مغالٍ في عنصريته، وعن كل خرافة لا تنتمي إلى الهوية اليمنية أو تاريخها، وفي الوادي الخصيب يكمن الهاشمي الشافعي مبررًا هجمة الجبل، ومُفتيًا لمريديه المغسولين بمياه قبور الأولياء: "أن الكهنة القادمين من الشمال أقبلوا ينشدون إقامة حكومة "آل البيت" التي طال انتظارها"، والآل في خرافة رجل الدين الشافعي، أولئك الذين تشكلت قداستهم في وعي مريديه المساكين بفعل تأثيره الناعم، ونذروا لأجلهم الحلي والفضة، وساقوا لبركة مزعومة منهم مخزون الغذاء والبيض والأجبان التي يحرمون منها عيالهم لتقع فريسة في فم رجل دين محتال يلهو بعاطفتهم، ويُصر على تذكيرهم بمقتل الحسين بن علي كل جمعة، حتى يضمن استمرار مشاهد الدراما مع قليل من الإثارة وروح المغامرة السينمائية.

في الخُدعة الثانية تظهر مجموعة من الذين يقال لهم "النسّابون"، يتفقون في مجلس لا يعلم أحدٌ من هم أعضاؤه؟ وماهي المعايير العلمية التي تم اختيارهم على

أساسها لشغل هذا المنصب؟ وماهو برنامجهم ومستنداتهم وأدبياتهم؟ مجرد دُكان صغير وربطة عنق أو عمامة خضراء أو سوداء، وقليلًا من زبيبة السجود على الجبين، لحية بيضاء مصففة بعناية، هذه مواصفات "محتال" مكتمل الملامح، يشهد في جريمة إلحاق نسب تمنح العاطلين عن العمل والمكتئبين شهادة كرتونية مصقولة تشهد بالله أنهم يتصلون نسبًا إلى النبي صلوات الله عليه.

لا أحد يُدقق كثيرًا في أسماء أشخاص ماتوا قبل سبعمائة عام، ولا يُعلم أساسًا من هُم، وكم أنجب هذا "القديس" من الأولاد إلا بما يشاع، واستغلالًا لهذه الثغرة المعرفية التاريخية، يخرج رجلٌ وسيم من طبرستان يشهد أنه الابن الضال للإمام الشهيد، ويخترع له اسمًا وأبًا وأجدادًا، فتُصدّق كذبته، ويلغو في دماء الناس، وينشر التمرد والعصيان على الحاكم الشرعي، ويتهمه بالفسوق والفجور، ولأن الناس تهوى الدعاية وتعشق النميمة، ولا ترضا عن حالها، يَسلِبُ الدعيّ استقرارها، ويجر الدم خلفه دماءً كثيرة تنخلع لها الإنسانية، وتطمرها لاحقًا على أيدي "النسّابة والمحققين". فتعود الحياة، ويسكن الناس بعد عشرات السنين، ثم يأتي هاشمي آخر يصول جولته،

ويجور متشبثًا بأعمدة العرش حتى يفقد المجتمع اتزانه مرة أخـرى، ويكثـر الجـدل، ويحتـدم الصراع، ويزدهـر سـوق الأحاديث النبوية، وكلٌ يرى إمامه الحق ودونه الباطل.

ويجتمع رهط آخرون لفحص جلود النسب الملحقة في بصائر قديمة وشروحات مكتوبة بخط لا نُقط فيه، ويكتشفون مجددًا أنهم لم يلحقوا كامل "النسب الشريف" بأشرافه، فيضيفون اسمًا جديدًا، من عائلة أخرى تاهت عن جدّها الذي نام في فردوسه سعيدًا بعودة الحفيد الضال!، كل هذه الحبكات الدرامية كانت مقنعة في عصور ما قبل الثورة الجينية، أما اليوم فعلى جمعيات ونقابات وأساطين وشيوخ النسابين الذهاب إلى أقرب مشفى علمي مركزي ووضع قليل من البصاق في أنبوبة اختبار، وخلال أسبوع واحد ستأتي النتائج الجينية القاطعة بإثبات التطور الجيني، ومساراته منذ ولادتك إلى يوم ولادة نوح عليه السلام، سيكتب التقرير الجيني أصولك العرقية التاريخية ومدى اختلاطها بالعرقيات الأخرى، وستكتشف إن كنت ابنًا للنبي المصطفى أم ابنًا لصيّاد إسباني سقط من باخرة فاسكو دجاما خلال رحلتها المثيرة في بحر الظلمات.

لن يخضع الكهنة الهاشميون لهذا التحدي العلمي الذي يخرج لسانه في حضرتهم مراهنًا بسقوطهم في أول اختبار

ستخرج الهاشمية أسلحتها وتنتحب على من يشوّه ويشكك في نسب آل البيت المقدسين بالتكفير والصراخ والتحقير، سيهتفون لعمامتهم التي اعتمروها عن آبائهم و أجدادهم، لا يستطيعون االخضوع بسلام لهذا التحدي المرعب، سوط العلم والطب في مواجهة كهنوتهم وأسحارهم ووظيفتهم.

بعد تلك الغارة العلمية على مواطن الشبهات، يجب أن يرتفع صوت الناس للكشف عن السر المدفون تحت أضرحةً القبور، هل هُم أولياء صالحون أم بقايا عظام لحمارين ضالين افترسهما ضبع جائع وتركهما على مقربة من دار أحد المحتالين، فجمع عظامهما وبنى فوقهما ضريحًا كتب على شاهده بقلب مفطور: هنا يرقد العلامة الفهامة صاحب البركات والكرامات سليل الآل الأخيار الإمام الصالح العابد الزاهد النقي التقي الطاهر، مصباح أعلام الهدى، ومفتاح ضوء الجنة وفردوس النعيم، الإمام جعفر بن علي بن محمد الملقب بجعفر الأحمار!.

وهكذا ضمن المحتال وظيفة رجل دين، وجامع نذور المرضى والعاقرات والعانسات، فينمو رصيده وينعم

بحياته، وقبل أن ينام كل ليلة مضطجعًا على سريره لا ينسى أداء صلاة الشكر إلى روح الإمام ذي النهقة النكراء!
الخُدعة الجديدة: أن تقرأ لكاتب يعيش هوسه الخاص لانحيازه إلى فلسفة إنسانية عميقة تدفعه إلى ربط العنصرية الهاشمية بعصبية القبيلة، ومساواة بدعة الإمام بوجود الشيخ!، وهذه إحدى الحيل التي يكتبها الفيلسوف الحريص على حلاقة شاربه لإثبات أقصى. درجات التمدن والوعي! وهي حيلة لغوية تُوهم قارئها الذي قد يكون غاضبًا من نذالة شيخ قريته بصوابية ما كتبه الكاتب، لكن الحقيقة أن مثل هذه الأفكار تدفع باتجاه تضخيم الخطأ على رأس القبيلة، وتبرئة السلالة والكهنوت. وللرد على هذه الحيل الناعمة تبرز الأسئلة الآتية: من الذي اقتحم اليمن غازيًا لاختلاق مُلك سُلالي متلبسً قناع الهاشمية؟ هل يكون الشيخ أم يحيى طباطبا وعُصبته الـ ١٥ ألف طبري؟ ومن الذي يُطالب اليمنيين بطمس هويتهم واتباع هوية دينية عنصرية مقدسة هل الشيخ أم سلالة الهاشميين؟و من الذي ادّعى لشخصه وسُلالته بالقداسة واشترط فيمن يتولى زمام أمر المسلمين أن يكون من بطنين هاشميين ولا يقبل دونهما مهما توافرت عناصر الصلاح في الآخرين من أشراف العرب وبطونها؟ ومن الذي لا يهدأ باله ولا يفوت

حاله ولا يستقيم رأيه إلا بالتمرد وتهيئة المجتمع الهاشمي نحو الثورة كلما تهيأت الظروف التي يباشرون على تحقيقها ضمن إدارة تنظيمية مُحكمة ومرنة تتوزع بكل أنساقها أفقيًا وعموديًا للتأثير بالكلمة والشائعة وتوظيف كل العناصر الموالية في عصب الدولة الحساسة لإفراغ النظام القائم من دستوره وقانونه ومبادئه؟.

* * *

انحرفت الهاشمية باليمنيين حتى في قيم عباداتهم القديمة، فيوم كانوا ملوكًا وأقيالًا اتخذوا الشمس آلهة، وبرزت تماثيلهم السائدة في ذلك الوقت معبرة عن رمزية لقيمة الخصوبة والجمال، أو الزراعة وما إليهن، وفي صرح آخر كانت تماثيل التبابعة تعبيرًا عن الحضور، ولم تكن حكرًا على الأسرة الحاكمة، بل متاحة لمن رغب من عامة الشعب الذين يحتكمون إلى الشورى، فيسمع الحاكم صوتهم كل أسبوع في مؤتمر جامع يُعقد على مستوى الأقيال في العاصمة أو الأذواء في المدن، ولكل مدينة مؤتمر شوري مفتوح، يناقشون اقتصاد الدولة، وتوزيع الأرباح، ومهام تعمير القصور والقلاع والحصون، وحصاد الغلة من الفاكهة والحبوب، ورصف المدن وتأمين طرق التجارة.

أولئك الذين كانوا يمرون على "العربية السعيدة" فتُدهشهم حضارتها وسعادة أبنائها، وتأسرهم مبانيهم المسقوفة بالذهب الأحمر، وقصورهم المعمورة بالجرانيت والرخام، يعبرون اليوم بشيء من الأسى على حالها وجهلها وقلة وعيها، وغضبها الثائر بلا معنى، أولئك الذين امتنعوا عن عبادة أي كائن بشري، أو مخلوق آخر على وجه الأرض مهما بلغ شأوه، أصابتهم خرافة السُلالة، وغاصوا في ثنايا البطنين، فانحدرت قيمة العبادة حتى صارت الأضرحة والأرواح الميتة آلهة احتياطية داخل دين يُحرِّم أن يكون لله عز وجل شريك آخر في ألوهيته المطلقة.

هوامش

-١-

كانت لـ "زيد بن علي" مجموعة من الأقوال والخطب الثائرة على هشام بن عبدالملك، فجمع حوله الأنصار الذين التمسوا قربه مكانة ترق لها قلوبهم، وأعلن تمرده على خلافة هشام، فماذا أورث كلاهما على مستوى المجد والتاريخ والعمل الإنساني؟.

سأبدأ بهشام بن عبدالملك، الخليفة العاشر في سلسلة حُكام بني أمية، وفي عهده وصلت الإمبراطورية الأموية إلى أقصى اتساعها، هزم البيزنطيين، واستولت جيوشه على "ناربونه"، وبلغت أبواب "بواتيه" في فرنسا حيث وقعت معركة "بلاط الشهداء". هشام استطاع دفن كل الثورات الخارجة عليه من الشيعة والخوارج والبربر وفي بلاد ما

وراء النهر، وتزايدت في عهده العصبية القبلية بين المضرية واليمانية، وقد تمكن من تسويتها بدهاء وقليل من الحزم.
عُرف بتشجيعه العلماء واهتمامه بالبناء الذي اكتسب صفة العمارة الأموية، وأرسى دعائم الأمن في أرجاء الإمبراطورية الأموية ونشر الإسلام في الهند والسند، واهتم بالترجمة لمختلف العلوم المعاصرة، والأعمال الأدبية، والفلسفية الخالدة لأرسطو وأفلاطون وسقراط وغيرهم، ووصلت الأعمال المترجمة في عهده إلى ٥٦ ألف عنوان من مختلف اللغات الأساسية، ودعًم نشرها وتوزيعها وتوثيقها في المكتبات العامة التي عرفها العرب لأول مرة.
وأما "زيد بن علي" رحمه الله فقد أوجعته عبارات جافة من هشام حيث قال: " اسكت. لا أمَّ لك. أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمَة! "، فلم يجد زيد ما يدافع به عن نفسه إلا قوله: "إنه ليس أحدٌ أولى بالله، ولا أرفع درجة عنده من نبي بعثته. وقد كان اسماعيل ابن أمَة، وأخوه ابن صريحة، فاختاره الله إليه وأخرج منه خير البشر. وما على أحد من ذلك إذا كان جدّه رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبوه علي بن أبي طالب"، فقال هشام: " اخرج "، فرد: " أخرجُ ثم لا أكون إلا حيث تكره"!.

وخرج فعلًا وقُتل في ١٢٢ هجرية، وتنقل الرواية وحشية مقتله وصلبه وإحراق جثمانه بأمر هشام بن عبدالملك!، حتى إن ابنة أخيه وقفت على جثته منتحبة صائحة: "واعماه..ماضرك لو بقيت لزيم المصحف والمحراب حتى يأتي الله بالفرج!".

مات زيد بن علي قبل أن يكتب شيئًا، وقد كان مُحدِّثًا وفقيهًا، ثم أصبح ثائرًا مجروحًا لكرامته التي أوجعتها ألفاظ هشام بن عبدالملك، فقُتل بتلك الصورة المأساوية.

تلقّف أتباع زيد ومريدوه خبر مقتله بحزن شديد، فجمعوا عنه المرويات والخطب والأقوال التي سمعوها في حلقات درسه، وسُميت باسمه وصارت مذهبًا زيديًا، وقد كان كل مناصر له يسمى زيديًا، وقد التحقوا بابنه "يحيى" الذي خرج إلى المدائن، ثم سار إلى خراسان، فخرج إليه عاملها وقتله، ومن هناك بدأت الفكرة المشبعة بالثأر والسيف والثورة التي انتشرت في مناطق الجيل والديلم.

- ٢ -

يتماثل التطور العنصري للهاشمية بتشابهها الجيني لولادة ذئب جميل ذي عينين واسعتين وفراء ناعم و أيدٍ حنونةً

باردة بداخل منزل صيفي على تخوم شلال وادي بنا الدافق إلى قلب كل يمني، فيشرب الجرو نصف الحليب الذي تسقيه لطفلك، وينام معه على سرير واحد ببراءة مدهشة تجعلك ترجو لو أن طفلك ينام على الأرض ليستأثر جرو الذئب على السرير كله، تغالبك عاطفة التربية لجنس آخر من المخلوقات، يلهو الجرو في أرض المنزل ويتعلق بأردية العائلة، ويتقافز في حجورهن كطفل سعيد غير مزعج، بينما لا ينفك طفلك عن البكاء لسبب أو دون سبب، مُلطخًا ملابسه الداخلية كلما أتاه وعي قضاء الحاجة، فيملأ فضاء الغرفة برائحة مقرفة تتمنى لو أنك تُلقيه من النافذة ويبقى الذئب الصغير بملمسه الناعم بين أحضانك إلى الأبد. وهكذا تبدأ الهاشمية ضعيفة، بريئة، مكسورة، طاهرة بعينين حزينتين لقلب متخم بالسعادة والبهجة، قدرة مدهشة على التكيف في بيوت الآخرين، وتكوين الصداقات وإظهار صفاته العرقية كفتىً استثنائي يعلم ما يدور في ثنايا التاريخ وشوارح المذاهب وتعدادتها، يُصلي الفجر، ثم يؤذن للصلاة، وحين يفعل ذلك فإنه قد بدأ بالعواء، وظهرت مخالبه، وبرزت أنيابه، في تماثل جيني مع الذئب الذي أفاق على صياح الديك ليخرج إلى المروج الخضراء في تجربة أداء يسمع منها عواؤه لأول مرة، فيشعر

داخله أنه ذئب حقيقي، وأن عليه التخطيط لابتلاع فريسة، إنها فطرته، خلقه وتكوينه وجيناته، لا يمكن لذئب يشمّ رائحة الدم في خلاياه أن يُحافظ على معروف تربية رجل من البشر.. عاد الذئب إلى المنزل وانقض فجأة على شقيقه من الرضاعة، فاختطف إحدى عينيه وجزءًا من وجهه، قبل أن يعاجله الأب برصاصة تنقذ وليده ولا تستطيع إخفاء التشوه المؤلم في وجهه و الشعور العارم بذنب يُلازمه طيلة حياته.

تبدأ الهاشمية في صورة تدين صوري مُغلَّف بمصطلحات الآل والكرامات والسادة وتسويقها على أنها مُسلَّمات ينبغي التعايش معها كنوع من "القبول بالآخر"، ثم تتحوصل في خلايا المخ إلى طائفية دينية وثقافية، وما أن تبلغ هذا المستوى حتى تبدأ بالتفكير في تنظيم نفسها في صورة خلايا ميليشاوية تدير عُنفًا سياسيًا باحثة عن الحق الإلهي الذي لم يسمع به أحد سواهم، فتتفجر حرب إبادة على أسس عرقية، حتى إذا وجدت مقاومة وعُنفًا مضادًا وأدركت أنها ستُهزم، جاهدت بتفريخ أفرادها إلى جماعات ومنظمات تعيد إنتاج نظرية التمييز بين الفكرة الثقافية والظاهرة الميليشاوية، لتخلق في الوعي اليمني البريء تمييزًا بين الهاشمية الاستعلائية التي يُستحلى وصفها بـ

"السياسية"، وآخرين ممن لا ناقة لهم في الحرب ولا يؤمنون بـ الاستعلاء حتى إنهم يدللون على ذلك أن جدّه تصاهر مع أسرة يمنية، وكأنها كرامة بُذلت لليمني حتى يقفز بها سعيدًا!، ثم يسري فيهم لحنٌ واحد، مطلعه عبارة "لا تُعمموا" وتناولوا الحوثية فقط!، ستكون الإجابة كالتالي: لقد تناول أسلافنا بيت حميد الدين فقط، ثم ظهر هاشميٌ آخر من صعدة يلبس رداء أبنائها، ويتحدث لهجتهم، لكن قلبه وفطرته المكتسبة نفسيًا وثقافيًا من تعبئة والده ونظرائه الزيديين أوهمته أنه قادرٌ على إدارة طموح قديم ما يلبث أن تهدأ حروبه حتى يتلقفه هاشميٌ آخر ليُشكل معه حالة تأييد علني وخفي تظهر وتسكت بقياس نجاحه أو فشله، فإذا امتطى أسوار صنعاء جعلوا منه الرجل الذي كان ينبغي أن يُصطفى نبيًا، وإن سقط صريعًا على أبواب منزله، تسلقوا حائطه ودخلوا داره قبل أن يُسلّموا أو يستأنسوا، وتزاحموا أمام كاميرات التلفزة مُعلنين: إنه مجرد معتوه يحمل فكرًا زرادشتيًا لا يمت للإسلام بصلة.!، ويوم اقتحم صنعاء قالوا إنه: السيد العَلَم! من يرقص مع الذئاب أو الأفاعي تنهشه المخالب وتُقطّعه الأنياب، أو يموت مسمومًا

رقم خطأ

تقاتل الهاشمية الإيرانية في اليمن بحماسة مفرطة لتحويل الهاشميين إلى قبيلة موازية للقبيلة اليمنية، تكسب عاداتها، وشكلها، وحضورها، لكنها أخطر بقدرتها وأسلحتها وإعلامها وأدواتها القادرة على إخضاع القبيلة اليمنية التي لم تجد لها زعيمًا موحدًا يُعمّق فيها هويتها التاريخية، ويمنع الهاشمية الإيرانية من استلابها، ومحاصرتها، وخداعها، وإيهامها أن "الحوثيين" جزءٌ منها، بما يفرض على القبيلة اليمنية التسليم بمبدأ غير قابل للنقاش أو التفاوض يجعل مبايعة الإمام الهاشمي الجديد وفق نظرية البطنين العرقية خيارًا إجباريًا.

وكنوع من التكثيف الدعائي لخنق أية محاولة للتفكير أو التمرد استولت الهاشمية على كل فنون الأدب الشعبي في اليمن، وحوّلتها إلى أصوات هاشمية، وسوّقت لهم كأمثال

"عيسى الليث" و "لطف القحوم" اللذين أعادا إنتاج الزامل اليمني، وهو خصوصية يمنية بحتة، وتوظيفة في معركة الهاشمية الإيرانية ضد العرب والخصوم اليمنيين المناوئين للغارة السُلالية على بلادهم، ومحاولة استلابهم أصواتهم وفنونهم وتراثهم وحضارتهم وحتى أشكالهم ورداءهم وهويتهم.

لا يظهر عبدالملك بدر الدين مرتديًا ملابسَ هاشمية "التوزة والقاوق والجوخ الحريري" بل يلبس لباس القبائل اليمنية "الجنية البكيلية والشال الموضوع على الكتف والكوت العادي والثوب المنسدل حتى أخمص القدمين". تلك رسالة مهمة للوعي الباطن للقبيلة إنه جزء منهم، من عاداتهم وتقاليدهم وأسلوبهم ومعيشتهم، وهذا غواية ساحرة انطلت على اليمنيين، ودفعت بعضهم للتعاون معه، ولم يدركوا أن حصرية وصفه بلقب "السيد" يضعه في خانة أخرى، وفي مجتمع آخر يناقض اليمن في هويته ومشروعه.

أما كيف اكتسبت الهاشمية الهادوية – على سبيل التحديد – وجهها اليمني كقناع مزيف تنزعه كلما أحست بالقوة،

فتنقض بعنف على اليمن، متنكرة لكل روابط الوئام الاجتماعي مع اليمنيين الأصليين وقد صعقتهم الدهشة كأنه يوم زلزلة الساعة حين ترى الناس سُكارى وماهم بسكارى، يفرون من عوائلهم للنجاة بأنفسهم من هول البطش، وإلقاء التهم، وتوسع السجون، والقتل بالظن، وتدمير البيوت والممتلكات، وتشريد القرى والأرياف، ونزع الأموال من خزائن اليمنيين بالقوة والحيلة والقوانين الجديدة التي ترى فيهم أولئك الفلاحين المقهورين داخل حقولهم، والمحاصرين بغضب الأولياء الكهنة، حتى يفيئوا إليهم من رزق أولادهم ما يعينهم على إطعام عائلاتهم المتخمة بالفساد والظلم والطغيان. أما كيف ذلك، فله علامات:

الانصهار الأول: أثرت الهوية الإسلامية في بلاد فارس التي تحررت لتوها من الإمبراطورية الساسانية واعتنق أغلب سكانها الإسلام، وحمل المواليد الجدد أسماءً لشخصيات ورموز إسلامية مثل: " عليّ وموسى إسماعيل ومحمد ويحيى"، فصارت أسماء المواليد الجدد على هذا النحو: موسى شيرازي، قاسم طباطبا، إسماعيل هرمزان، أو مريم كرمان، موسى رستم، و محمد بن كنارا... وهكذا،

في مقابل ألقاب عربية كـ "التميمي والشيباني والأسدي والزبيدي والكندي والمذحجي والأزدي" تُعيد المرء إلى هويته الصغرى على شكل قبيلته واسمها ووسمها، فيقال: محمد المذحجي- وعلي التميمي... وهكذا، لقد طبع الإسلام بأسماء رموزه وأنبياء الله الأعم من الأسماء التي أفرزتها عصور ما بعد الإسلام. كان هذا هو الانصهار الأول.

الانصهار الثاني: بدأ مع الغارة الفارسية التي حملت ١٥ ألف طبرستاني، واقتحمت اليمن باسم الهاشمية التي انتسب إليها "يحيى حسين الرسي طباطبا"، وهو المحتال الأول الذي أخفى لقبه الطبري ليستبدله بـ "الرسي" في الهجرة الأولى لعائلته من طبرستان إلى جبل الرس القريب من القصيم، ثم ينتقل من القصيم إلى المدينة المنورة في الهجرة الثانية حاملاً معه هوية الجبل القصيمي الذي لا يقوى على الإنكار، فصار لقبه الرسي، وعلى الفور بدأ الرجل في مراسلة البلاط العباسي لتسليمه أوقاف الهاشميين العلويين في المدينة مُشيعًا بين الناس أنه من أنجال علي بن الحسين!. ومع تهاوي الدولة العباسية حشد الرجل أولئك الجنود الطبرستانيين مستعينًا بأحد أبناء

عمومته الذين كانوا يحكمون هناك، لاقتحام صعدة بعنف دامٍ أورث مذابح إبادة للإنسان اليمني، ولقب نفسه بـ "الهادي إلى الحق"، فبدأ اللقب الجديد للهجرة الثالثة، وصار أنجاله من بعده يوصفون بـ "محمد الهادي" و "يحيى الهادي"، تمهيدًا للانصهار الجديد في الهوية اليمنية حتى يسهل ابتلاعها ودمغها بالأفكار والمعتقدات والفلسفة الخاصة بـ "الهاشمية الزرقاء" الآتية من مروج طبرستان وعيونها الخضر. وجمالها الرطب، مطمئنًا إلى إزاحة اللقبين السابقين اللذين استخدمهما في مراحل سابقة وهما "طباطبا ثم الرسي"، فصار كل شيء مرتبط بالهادي كصفة دينية ولقب للعائلة وهوية للمعتقد، فيقال: جامع الهادي، المذهب الهادوي، قانون الهادي، أبناء الهادي، الإمام الهادي.

الإنصهار الثالث: كان على الطبريين القادمين مع إمامهم المحتال أن يحتالوا مثله، فكان أن جُعل لكل اسم امتداد ديني كلقب، فيقال لشخص اسمه عبدالله "الفخري"، ولمن كان اسمه محمد "العزي". وهي على هذا النحو:

عبدالله – الفخري

محمد – العزي

حسن أو حسين – الشرفي
أحمد – الصفي
علي – الجمالي
يحيى – العماد
عبدالقادر – الوجيه

فصار اسم عبدالله شيرازي كما أسلفت "الفخري"، وجاء نجله ليقال له هكذا: محمد عبدالله الفخري، ولصاحبه يقال: حسين محمد العزي، وآخر يقال له عصام يحيى العماد، وهكذا أخفى الفرس القدامى ألقابهم الفارسية بدهاء، وانتسبوا إلى الهاشمية كوظيفة وهوية جرحت الهاشمية العربية، وأضاعت سُبلها وانتماءها الأصلي لموطنها العربي، وأحيت العرقية الفارسية داخل الجلباب الهاشمي مستخدمة أقدس الأسماء لدى المسلمين وهو النبي الحبيب: محمد بن عبدالله صلوات الله عليه.

الانصهار الرابع: تبقت لدينا مجتمعات مهاجرة جاءت إلى اليمن خلال فترة طويلة سواء من طبرستان في فترة الغزو الفارسي على اليمن، أو من الأندلس، أو مع الغزوات الأيوبية والكردية وغيرها، وترعرع بعضها في معاقل العلم اللغوي والديني ومَهَاجِره، ومثلها مجموعات مهاجرة بين

القرى اليمنية لشباب وأفراد خرجوا عن التقليد الزراعي لعائلاتهم وطلبوا العلم والفقه واللغة والحساب وشتى العلوم المتوافرة آنذاك معتمدين في تغذيتهم على ما تجود به القبائل اليمنية من مأكل ومشرب لطلبة العلم في تلك المراكز التعليمية، فصار المهاجرون - هجرة - بين القبائل لا يغيرون معها، ولا يقاتلون، ولا يحملون السلاح على القبائل الأخرى، ولا يُعتدى عليهم، وقد تسرب أغلبهم إلى المدن الجديدة التي كانت تفتتحها الولايات الإمامية المتفرقة طيلة ألف عام، فسكنوها وصاروا هم القضاة في بلاط الإمام، والفقهاء أيضًا حتى تميزوا وتحولوا إلى طبقة اجتماعية، وتم ضمهم إلى الطبقة الأرستقراطية الأولى من تكوين المجتمع اليمني بعد الهادي الرسي وهي: الإمام الهاشمي وعائلته أولًا، ثانيًا سائر عموم الهاشميين- أو بالأحرى الذين أصبحوا هاشميين- وثالثًا: القضاة، ورابعًا:المشايخ القبليين ".

وقد رصد "الأكوع الحوالي" في كتابه "هجر العلم ومعاقله باليمن" المكتوب في أربعة أجزاء، عشرة الآف وخمسمائة وأربعة ثلاثين شخصية سكنوا تلك المعاقل أو هجر العلم. ومن هناك تعلم الهاشميون نفي هويتهم اليمنية وإصرارهم

على البقاء كهوية مناقضة للوطن العربي الأم متعمدين طمس كل تاريخ وأثر وشاهد على طول البلاد وعرضها، وانقضاضهم على كل صوت يدعو إلى المجد اليماني، كتلك التي تعرض لها الحميري والهمداني، وما تعرض له اليمنيون في سنة ١٩٣٩م مع اختراع نظام الرهائن، وحشد أربعة آلاف رهينة في قصور صنعاء، وتلك سابقة وحشية في نظام الإخضاع الإمامي تلقفها الروائي اليمني العظيم "زيد مطيع دماج" في روايته الملهمة "الرهينة" التي ما تزال تُطبع حتى اليوم.

الانصهار الخامس: وجاء بسرقة أسماء المناطق اليمنية وتحويلها إلى ألقاب عائلية، مثل "الكحلاني" الذي سطا على كحلان في حجة، و "الذاري" الذي سطا على الذاري في الرضمة، و "المروني" الذي سطا على المرون في آنس، ومع مرور الوقت تحول سكان تلك المناطق إلى هاشميين بفعل التأثير الذي حمله ذلك المستوطن وحيلته في إقناع من يقطنون بالمناطق اليمنية أنهم هاشميون اتكاءً على نسبه المنتسب. وقد اعتمدت الهاشمية الحوثية على أولئك الهاشميين الريفيين كمحاربين ينتمون اسميًا إلى القبيلة، ولا ينتمون إليها عادة وغُرمًا وتفاعلًا وعشيرة، يحملون

هويات تبدو من ألقابها أنها يمنية، لكنها مجرد جنسية لا تعترف بالوطن، بل عرقية تهفو إلى الهوية الأم "بني هاشم" حاملة معها كل المصطلحات الأثيرة، والألقاب الفخمة، والأساطير الباذخة التي تكاد تُقنع القارئ البعيد بمسحة ربانية على شخوصها، ولأنه بعيد، فإنه لا يعلم ما يحدث وراء تلك الجبال من قتل وتشريد وتجويع وتدمير، وإصرار على التزوير والتدوين بتحويل القاتل إلى رجل صالح، وإمام عادل، لا يفعل شيئًا بأمره، ولم يخَضِّب سيفه بالدم إلا بما ما أمره الله تعالى!.

الانصهار السادس: ومنه تملك الهاشميون ونظراؤهم المتخرجون من هِجر العلم ومعاقله الأراضي اليمنية باختراع وسيلة احتيالية مذهلة، أطلقوا عليه اسم "أوقاف الأرض"، شرّعوا لها النصوص الدينية، وكتبوا لائحتها الداخلية التي تُقسم أراضي اليمنيين الطيبين على اللصوص بالتساوي، وتمنحهم بموجب هذه اللائحة صكًا قانونيًا ودينيًا يتملّك جزءًا من أرض اليمني تحت مسمى "العاملين عليها"، لأنهم هُم العاملون أصلًا على أراضي الأوقاف، ولا يُسمح لسواهم بمشاركتهم هذه البيضة الذهبية التي عاظمت قوتهم الإقطاعية وعوائدها المالية،

حتى صارت "الأوقاف" قلعة استثمارية تمنح الهاشميين ونظرائهم أجمل الأراضي وأخصبها.

حدث ذلك خلال فترة "دوران الهاشمي" الذي كان خبيرًا بالمواريث، ولغة التقاضي، والمفردات التوثيقية في سجلات أمناء القرى والمُدن، على اليمني صاحب الأرض الواسعة، فيدور الهاشمي حوله حتى يُقنعه بوقفها أرضًا لله يُدفع خراجها لإطعام "حَمام مكة"!، وكيف أن هذه الحمامات الطائرة ستجعله مُحلِّقًا مثلها في الفردوس الأعلى، وبمجرد أن يتورط المسكين بذلك ويبصم على تنازله عن أرضه لله تعالى الذي لا يحتاج أصلًا لكوكب الأرض وقد منحه بقيعانه ومحيطاته وهوائه مجانًا لأبناء آدم!، بذلك يكون الهاشمي قد ضمن "العُشر" من الأرض الموقوفه، حتى إذا عاد اليمني عن تنازله، ينتصب له الهاشمي لاعنًا تعديه وتجرءه على وقف الله عزوجل!. وأما لو مات اليمني على بصمته الأولى، يسّرح أبناؤه الذين صاروا مُجردين من أرض أبيهم إلى طرق أبواب مؤسسة الوقف فيظهر عليهم ذلك الهاشمي الذي أقنع والدهم بتنازله ليستجدوه أن يؤجر لهم جزءًا من أرض والدهم الموقوفة بسعر الزمان والمكان، وبعد مراجعة تستغرق أعوامًا طويلة

قد يُمنحون ما طُلبوا، أو ينصرفون إلى الكد والشقاء لتجميع ما أمكنهم لشراء أرضٍ أخرى يقيمون عليها بيتًا لأطفالهم السُمر المتعبين.

وأما أراضي الدولة التي باتت تُعرف في زمن الجمهورية بهذا الاسم، فكانت مُلكًا استحوذ عليها كبار موظفي الإمامة المتعاقبين على اليمن فترات طويلة، وعادت مُلكًا غير موثوق لعيالهم وأحفادهم الذين تملكوها بالوراثة، حتى صاروا أباطرة مُتجبّرين لقرىً بشعابها ووديانها، وهذا الإقطاع هو المتهم الأول في إبقاء الإمامة بحالة موت سريري حتى انبعاثها بعد ٥٧ عامًا من إعلان الجمهورية اليمنية.

لا يكتفي الهاشميون ونظراؤهم بابتلاع الأراضي الكبيرة قطعة قطعة، بل يعمدون إلى تأجيرها لأقاربهم بمبالغ رمزية لا تكاد تُذكر، وبأماكن حساسة تتقاطع مع مخططات الدولة الإنشائية للطرق والأحياء، فتمضي إسقاطاتهم على المخطط الهندسي المفترض. ذلك ما حدث في كثير من المدن مثل صنعاء وذمار وإب وعمران التي يُسيطر فيها الهاشميون ونظراؤهم على قرى بأكملها، وبمساحة تقارب

مدينة كاملة يمكنها استيعاب ما لايقل عن ٢٥٠ ألف نسمة من السكان.

حين يطوف المرء على مختلف الجوامع والمقاشم والمقابر في داخل المدن اليمنية بمناطق مثل آزال وحضرموت يمكنه استنباط فكرة الاستيطان الهاشمي على ما يحيط بهن من الأرض البيضاء الموقوفة لأشخاص من العامة حرموا عيالهم أرضهم الأخيرة، ووهبوها - بحُسن نية - للصوص يتوالدون باستمرار، وعلى رأس كل واحدٍ منهم عمامة!.

في ظل رسالة ونظرية ونبوءة وتنظيم لا يعترف بالإسلام المحمدي و العروبة يمكن للهاشمية اليمنية أن تنمو وتتضخم، حتى تستقر القبيلة اليمنية في أحشائها، ثم تُخرجها كائنًا مسخًا يخصف على جسده بورق الزعفران الإيراني، لتبدأ بعد ذلك معركتها الدعائية مع الهاشميين في شبه مناطق مختلفة من العربية تجلبهم بأذرع يمنية، وتخاطبهم بالصورة النمطية المطمئنة، وبلسان عربي مبين يخترق الهوية والتراث، ويصل إلى "الشيلات الغنائية"، ومحاولة جر الهاشمية ومريديها في المناطق الأكثر ضعفًا

وقابلية للإصغاء، إلى إدارة حرب داخلية من داخل العمق الخليجي نفسه، وقد حاولت الهاشمية الإيرانية تحقيق ذلك في العمق السعودي، ودعم باقر النمر الذي أدار معركة إيران الطائفية بخبث علني، ومن داخل المناطق الشيعية العربية، ومحاولة تجنيده الفتية الطيبين بدعاية شديدة التكثيف، تغسل أدمغتهم، وتحولهم إلى رجال آليين ينفذون برنامجًا إيرانيًا قائمًا على أوامر العنف نحو المجتمع المحلي العربي، والتدمير الذاتي لكل أسباب الدولة في المنطقة العربية الأخيرة من عالمنا العربي، وأحلامنا البريئة وعيشنا المشترك، وهويتنا الحضارية.

الوسواس ليس له موعدٌ كما يقولون، قد يهاجمك في خشوعك، وفي رغبتك الصالحة، وعند وضوئك للصلاة، فإذا فقد المرء أو المجتمع تماسكه وسمح لخصومه بالتسلل إلى جواره وعلى أعتاب حدوده بتشكيل مذهبي أو عصبوي مسلح كامل الدسم أو منزوعً، فتلك مساحة الشيطان التي يلعب فيها، ويغير عليها بخيله ورجاله، ومن هنا تبرز معركة اليمن مع إيران بقناعها الهاشمي كأهم استراتيجيات الأمن القومي اليمني أولًا، والأمن القومي العربي والخليجي ثانيًا، والأمن الإقليمي والدولي ثالثًا.

يجب أن يحرس اليمنيون والعرب هوية اليمن التاريخية بحزم من الغارة الاستيطانية للثقافة الفارسية التي جاء بها "يحيى حسين قاسم طباطبا" وأشياعه المحتالون على القبيلة اليمنية بانتسابهم إلى الهاشمية وإطلاق خرافة "آل البيت"، والترويج لقصص ألف ليلة وليلة وملحمة الشهنامة، ولم يكتفوا بذلك بل أغاروا علينا جميعًا بالفلاسفة والمؤرخين والمحدثين والمفسرين، وبأشعار الأصفهاني ومهيار الديلمي وإحاطة مخترعي المذاهب الهاشمية بالهالة القدسية، ووصم الأدب العربي العظيم بالجاهلي تحقيرًا وتجهيلًا وتعتيمًا، حتى إن مؤلفي المناهج الدراسية ساروا على ذلك الوصف الغريب حتى يومنا هذا، وأنتجوا كتبًا تُدّرس لطلاب الصفوف المختلفة بعنوان: الأدب الجاهلي! الشعر الجاهلي!، ولم يسأل المؤلفون أنفسهم كيف يكون الشعر أو الأدب بهذه الفحولة والبراعة والبلاغة ويكون جاهليًا؟!. وبالانتقال إلى الهوية المذهبية، قُسّمت اليمن على رأس أربعة مذاهب اخترعها وألفها هاشميون، هي "الصوفية" و "الشافعية" و "الزيدية الهادوية" و "الإسماعيلية" وكلها مذاهب تروج لـ "آل البيت"، وقداسة العرق الهاشمي الذي لا قداسة له أصلًا، والادعاء بأن هذه المذاهب جزءٌ أصيلٌ من تكوين وخصوصية اليمن

وهويته، وتحفيز القبيلة اليمنية على اعتناقها بإيمان متصل، وتقسيم المذاهب جغرافيا بحدود حادة، كأنها مستعمرات، فللزيدية شمالها حتى نقيل سمارة شرقًا، وفي الغرب الشرقي والشرق الشافعية، والإسماعيلية في الوسط منتوف ريشها بعد هزيمتها على يد الحليفين الأكثر شعبية وهم الشوافع والزيود، وأما الصوفية فتسكن حضرموت قادمة من مهجرها في العراق عبر "احمد عيسى المهاجر" الذي قال لمستقبليه على تخوم حضرموت إنه هاشمي، فأسكنه أهلها وورث أحفاده من بعده تعصبًا عرقيًا لا تقع العين عليه، فقد خاطر الهاشميون الذين ما يزالون هوية قائمة بذاتها في صحارى حضرموت الغنية بالنفط، وذات الكثافة السبئية والحميرية والهمدانية، بإثارة الجدل حول تزويج الهاشمية من اليمني الحضرمي، وقاد العطاس والجفري حملة فتاوى غير إسلامية تمنع وتحرِّم ذلك الزواج وترجعه إلى عدم الكفاءة. وقد أثار ذلك معارك شتي في أوائل القرن التاسع عشر بين الإرشاديين والهاشميين كادت ان تفضي إلى مذابحً عرقية مؤسفة.

نُسِخت الفتوى التي تردد صداها في الجالية الحضرمية بإندونيسيا عن مقولة الإمام "أحمد بن سليمان" في القرن

الخامس عشر، وكان أول من منع زواج الفاطميات من اليمنيين، وعزز المتوكل على الله إسماعيل الفتوى بتحريم ذلك الزواج!، حتى صار إلفًا اجتماعيًا دأب عليه الهاشميون في اليمن إلا في حالات قليلة لها حساباتها الاجتماعية والسياسية. حتى إن يحيى حسين طباطبا الشهير باسم "الهادي إلى الحق" باعتباره الحاكم الوافد من طبرستان على صعدة زوّج بناته من أقاربه الطبريين الذين جاءوا معه رافضًا تزويجهن من مواطنين يمنيين وإن كانوا من علية القوم، وزادت بعض الأسر الهاشمية الطبرية التي "اضطرت" إلى مصاهرة يمنيين اشتراط أن يُنسب أسباطهم إلى أمهاتهم، ومنهم للتدليل عائلة "حورية" في صعدة و "دولة" في صنعاء، و "راوية " في ذمار،، وكانت حُجتهم في ذلك منعًا للعيب أن المسيح عليه السلام يُقال له عيسى بن مريم! في مغالطة احتيالية تتوارى خلفها حقيقة العنصرية الفارسية الفجّة.

حاولت الشائعات الهاشمية عزل حضرموت عن جذرها اليمني التاريخي، وهويتها الحضارية والأثرية، وقالت إن حضرموت شعبٌ آخر تُنفى صفة اليمانية عنه!، ثم الترويج الأبله أن اليمنيين "متعايشون" بمختلف مذاهبهم!، ومنذ

متى اشتبكت المذاهب الأربعة أصلًا إلا في حالات استدعت السياسة سلاحها.

لقد نشأت الزيدية في الديلم بفارس، و الإسماعيلية بالهند وباكستان، و الصوفية في خراسان التي مازالت مَعقَلًا ومُرتكزًا يحمل "المجد الفارسي"، ذلك المجد الذي يخشى أن يُكرر اليمانيون التحامهم العميق، بهويتهم والهوية العربية، لينجزوا معًا معركتهم الحاسمة، وعهدهم القديم إليها، فيحملون صواع خميني إلى صاحب الإبل، ويعود المجد يمانيًا عربيًا، يصافح قحطان وعدنان، وينتمي إلى وطن ثانٍ كحلم الصبا.. ينأى ويقتربُ.



هوامش

- ١ -

حاول "يحيى حميد الدين" أن يظهر لليمنيين بصفته حاملًا للهوية الوطنية، وبطلًا لاستقلال اليمن عن الباب العالي العثماني، وموحدًا بالسيف كل الجغرافيا اليمنية، حتى إنه دخل في نزاع مع البريطانيين بهذا الشأن، وتعرضت تعز وصنعاء وتهامة لقصف طائراتها، ما أجبره على التراجع وتسليم الضالع، ثم دخل في صراع مع الإدريسي بمنطقة عسير مُنكرًا بقاءه واليًا عليها بحكم جنسيته المغربية!، واعتبر يحيى حميد الدين أن لليمن حقوقًا في الأراضي الجنوبية "القحطانية" للمملكة العربية السعودية، ودخل في حرب السنوات العشر مع ابن سعود، حتى اضطرته الهزائم إلى عقد اتفاقية الطائف معترفًا بحدود المملكة السعودية، وطرده لأوهام التوسع بالقوة والسيف.

كل تلك المعارك الخاسرة محاولة من الإمام يحيى حميد الدين لوضع يده على ما أمكنه من الأرض قبل ترسيم حدود الشرق الأوسط، واعتماد مبدأ السيادة على الدول الذي أقرته معاهدة ويستفاليا، ونتج عنه - عربيًا - ما يُعرف باسم معاهدة سايكس بيكو. الخسارة الحقيقية للإمامة في اليمن اكتشاف اليمنيين بأنها لم تكن ذات بُعد وطني تاريخي يستمد هويته من الجذور اليمنية الحضارية، بل إمامة عرقية تستند إلى مبدأ الاستعلاء الهاشمي القديم القادم من أدغال طبرستان، وكان ذلك سببًا في إزاحة الإمام يحيى عن الحُكم واغتياله برصاص الثائر "القردعي" وإقامة دولة يمنية برأس هاشمي آخر وهو "عبدالله الوزير" الذي امتطى التيار الإسلامي اليمني، وجعله حصان طروادة يُنَفِّذ به طموحاته العائلية، ويَنفُذ منه إلى داخل أسوار الحُكم في صنعاء المحروسة بأبوابها السبعة المدهشة. فخسر وخسرت معه الحركة الوطنية جزءًا من مشروعها الدستوري الذي كان يحاول عقلنة الإمامة الهاشمية، ودمجها في المشروع الوطني اليمني، وهو ما تنبه له عبدالله الوزير بحيلة هاشمية زاوجت بين الإمامة والقبيلة اليمنية، لكنها سُرعان ما خسرت بعد أن عبأ "أحمد حميدالدين" القبائل الجائعة على صنعاء رافعًا قميص والده

"الشهيد" باكيًا ومنتحبًا على كربلاء يمنية صادمة، سقط الوزير باجتياح صنعاء، وحوصرت القيادات الثورية اليمنية من الضباط والتجار والعلماء، وأعدم غالبيتهم بجز الرؤوس، وصلب الأجساد على شواهد حجرية وخشبية، واستعاد أحمد حميد الدين الإمامة بجرعة صادمة، وبيد القبيلة اليمنية التي تلطخت بالدم، وعزلت الأحرار عن نضالهم الوطني التاريخ.

جلب أحمد حميد الدين العرقية الهاشمية بشكلها البشع، ومفرداتها العنصرية، وهويتها الهادوية المغرورة التي تلبست الهاشمية بقناع فارسي، وتعاونت العرقية المتوكلية مع نظيرتها الشاهنشاهية الإيرانية في طهران بصورة حميمية، مما دفع الناجين من ثوار ١٩٤٨م إلى إعادة نضالهم وكفاحهم المسلح، ومنهم الزعيم عبدالله السلال الذي قضى على الإمامة العرقية بالضربة الأولى من مارد الثورة صوب دار البشائر، معقل الإمامة، وشاهدها العنصري، وصنمها الوثني، في يوم شهد اليمنيون ولادة مشروعهم الوطني العربي الكبير.

كان للتدخل العربي المصري أثره في تدعيم سلطة اليمنيين على أرضهم، وحراسة مبادئ وأهداف ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م الخالدة، غير أن الصراع العربي بين "مصر-

والسعودية" أثّر على مشروع الرئيس السلال، ودفع بالجمهورية الوليدة إلى تبني النظرية الناصرية في مواجهة من أسمتهم "الرجعية"، وهو ما أعاد مشروع توطين الجمهورية والقبيلة اليمنية في إطارها العربي إلى نقطة الصفر، واستغل الإماميون القلق السعودي من الجمهورية الوليدة لتشكيل جبهة مناوئة تعارض ولع جمال عبدالناصر في تدمير الملكيات، وإقامة الجمهوريات على أنقاضها، ولو أن الجمهوريين تمكنوا من إقناع السعودية بمشروعهم الوطني الخاص في محاربة الإمامة التي لم تكن بأي حال من الأحوال مشابهة لأي نظام حُكم عربي في شبه الجزيرة العربية، لربما استطاعوا تجاوز ذلك الصراع الطويل الذي أنهك اليمن من الداخل، وأتاح لقيادات "الحل الثالث" رفع صوتها بمشروع يجمع القومية اليمنية مع نقيضها الهاشمي في حكومة واحدة تحت ظلال الجمهورية، وإزاحة رأس النظام الجديد وهو الزعيم السلال، ورأس الإمامة ممثلة في عائلة البدر بمباركة مصرية سعودية. وذلك ما حدث فيما اتفق على وصفه بإنقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧م، ووصول الرئيس عبدالرحمن الإرياني إلى رئاسة المجلس الجمهوري الذي يضم عناصر إمامية لم تغتسل بعد من أدرانها العنصرية حتى مماتها.

- ٢ -

سعى الرئيس اليمني الراحل علي عبدالله صالح طيلة فترة حكمه إلى دعم شخصيات قبلية في مناطق متفرقة من اليمن، وهو العارف بانحدارات القبيلة، وامتداداتها بصورة مثيرة للدهشة، ليصبحوا مشايخَ قبليين جُدداً منافسين للمشايخ القدامى الذين نصّبتهم الإمامة، وعيّنهم العثمانيون على قبائلهم في مدى زمني تجاوز ٥٠٠ عام، وهو المدى ذاته الذي ينقص مشايخ "صالح" الجُدد ليثبتوا براعتهم، ويحظوا بالامتداد التاريخي في مناطقهم، فيشار إليهم بالبنان أنهم مشايخُ كابر عن كابر.

لقد أدرك يحيى طباطبا الشهير بـ "الهادي" أن الشيخ رأس القبيلة، ولكنه مُهدد بالتغيير من رجاله لأسباب تتعلق بالضعف، أو التغيير المدعوم من الإمامة كسُلطة عبر مراحلها، فسعى إلى إخضاعهم بعد هزيمتهم في مواجهته، واعتمد أنجاله وأحفاده من بعده، والأئمة الآخرين أمثال"العياني" و "القاسم" و "يحيى حميد الدين" على تغيير المشايخ بالقوة، وتعيين مشايخ آخرين من الموالين لهم، أو من بقايا الفرس الذين جاءوا في حملات قديمة، واستوطنوا

مـدة طويلـة حتـى أصـبحوا جـزءًا مـن تشـكيل القبيلـة في مستوطنات يطلق عليها "الأبناء".

وفي كـل مرحلـة زمنيـة سـلب الهاشـميون مـن اليمنيـين صـفاتهم كـما سـلبوا مشـيختهم، كـأن وصـف أشراف حمـير أصـبح صـيرورة دائمـة وهـو "القبائـل" نسـبة إلى القبيلـة، وجُعـل الهاشـميون أشرافًـا وسـادة عـلى السـادة الأصـليين. وأصـبحت الهاشـمية قبيلـة داخـل القبيلـة، وسُـلالة غازيـة تنشئ دولتها في الظل، حتى إذا سلب الله عقول اليمنيين، وضربوا بعضهم ببعض، كتلك الأحداث التي طافت على اليـمن في السنة الحزينـة ٢٠١١م، جاءهم وعـد الله بلبـاس الخـوف والجـوع، وانتهـوا لقمـة سـائغة يتلاومـون عـلى مـن رمى بهم إلى أنياب الهاشمية التي لا ترحم.

وفي عمل دؤوب خلال عقود وقرون، تمكن الهاشميون من قطـع الصـلة العميقـة بيـن اليـمن وآخـر حضـارة علنيـة لـه في حمـير وكهـلان، وتـم ربطـه بهويـة أخـرى تابعـة "لهمـدان بـن زيـد" التـي تشـكل فرعًـا بعيـدًا تاريخيًـا وإنسـانيًا وقبليًـا عـن الهويـة الأم، مـن همـدان تفرعـت شـجرتان: حاشـد وبكيـل، فتوسعت حاشد قبليًا، وسيطرت على قرى مناطق كثيرة لم تكـن ضـمن ارتباطهـا القـبلي، ومثلهـا فعلـت بكيـل التـي توسعت نحو مذحج لتسلب منها قبائلَ كبيرة مثل "الحدأ"

مثلًا التي تـم "بيكلتهـا" ورشـوة شيـخها بجعلـه شيخًا عـلى بكيل كلها، ثم ما لبث أن قُتل غدرًا في منزله، وقد تعمدت الهاشمية تسوير العاصمة صنعاء بحزام قبلي ينتمي لهمدان بـن زيـد بفرعيهـا الحاشـدي والبكـيلي، وهـي همـدان التـي تُسقط صنعاء دومًا لصالح الهاشميين كلما بُعث فيها حاكمٌ يمني مـن خـارج حـدودها النمطيـة، غـير أنهـا همـدان أيضًـا التـي تـذهب إلى النصرـ بيـدها وتفـتح عـلى أسـنة رماحهـا وزمجـرة مقاتليهـا أسـوار صـنعاء، وهـي همـدان أيضًـا التـي تنتظر لمـن تكـون الغلبة في صنعاء لتناصره وتحكـم معه، في أُحجيـة معقـدة لا يحُلهـا إلا خبـير علـيم، وداهيـة مُلهـم، وقـارئ عميـق لتـاريخ القبيلـة والهاشـمية وأركـان الصراع وشخوصـه، حتـى يكـاد يبتسـم وهـو يـرى أمامـه عجلـة التـاريخ تـدور مـرات ومـرات، كـما تـدور عجلـة العنـف الهاشمية، وتنتهي بنجاة أجزاء من عائلاتها، و تفر أخرى إلى الظـلام متلحفـة بألقـاب جديـدة، كتلـك التـي تمُـنح لبرنامج الشهود الأمريكي كيلا يُعثر على أثرها من الثائرين الطالبين لرأسها ودمها. وهذا ما دعاها اليوم إلى التخفي وراء الكُنـى المسـتعارة، وإرسـال المشرـفين الـدمويين مـن منطقة إلى أخرى، لكـن ثـورة المعلومات كشفت كـل شيء

وأماطت اللثام عن أسماء ذوي الكُنى السفاحين وصورهم بالصوت والحركة والموقف.

- ٣ -

أنتج الهاشميون، الذين دونوا كل شي لصالحهم بعد ثورة ٢٦ سبتمبر المجيد في ١٩٦٢م، خمسة آلاف أغنية من قصائد التراث اليمني، سطت عليه رموزهم الشعرية، وكتبوه بأسمائهم، حتى صار حضور "محمد محمود الزبيري" و "عبدالله البردوني" اختراقًا يُوجِب العقاب في ظل حصار مُطبق على كل قيم الإبداع الشعري، والتدوين الوطني لليمنيين، في كل ما يخصهم فنًا وشعرًأ وأثرًا وحضارة. وظّف الهاشميون محققين ماهرين في نبش كل ما كُتب في الماضي عن أئمتهم وعلمائهم النحويين والفقهاء، وجعلوا ذلك الإنتاج غزيرًا ومستوليًا على المكتبة اليمنية، وفي كل تدوين يكتبه اليمنيون المعاصرون عن قضايا وأحداث الساعة يختفي بعد أعوام ولا يُعاد طبعه، ولعل هناك من يسأل أين البردوني الذي كان يملأ الأرصفة، وما يجب على أندية القصة والرواية كـ "نادي ألمقة" أن يحدده في لائحة إصدارات غزيرة تُحَفز المبدعين الشباب على الكتابة عن الهم الوطني، ومناقشة الهاشمية ببعديها الناعم

والمتطرف، والإجابة عن كل الأسئلة المُحَرَّمة وأولها: كيف سقطت الجمهورية تحت سمع وبصر. الجمهوريين؟ وكيف تماهى أبناء الجمهوريين السبتمبريين مع الإمامة الحوثية التي تمثل إحدى أخطر تجليات الهاشمية وأعنفها منذ ألف عام.

هذه الأسئلة ومنها تتبع سير الانحدار الذي اعترى أحفاد الهاشميين الذين وصف أجدادهم بأنهم ثُوارٌ سبتمبريون، ثم مالبث أحفادهم أن وصفوا ٢٦ سبتمبر بـ الانقلاب العسكري!، ومن نوائب السخرية أن صار "يحيى المتوكل"،أحد أقارب الإمام البدر الذي خلعته ثورة ٢٦ سبتمبر، الرجل الثاني في القيادة العامة المسلَّحة عقب انقضاء الحرب اليمنية الإمامية بعام واحد فقط، وكان "المتوكل المنتظر" لرئاسة الجمهورية التي دارت على نفسها بإتفاق عام ١٩٧٠م وما شعر أحدٌ بدوارها أو أصابه الإعياء والقيء.

صوت حزين

لا يُعَبر الكتاب عن ثأرية شخصية أو يمنية مع الهاشميين في اليمن، إنه صوت مختلف ينبغي أن يسمعوه لئلا يستمروا على حالتهم في إنكار جريمة اقترفتها كتبهم ومروياتهم وملازمهم وأيديهم بحق شعب مُسلم في أقصى الجهة الجنوبية من جزيرة العرب.

"القبيلة الهاشمية" محاولة رافضة لاجتزاء معركة اليوم عن سياقها التاريخي العنيف، فلم تكن هذه الحرب سوى تكرار دموي لحفلات إبادة ضجت بها كتب التاريخ الذي لم يقرأه أحد، وعنوان صادم يدعو إلى تحرير الهاشميين

أنفسهم من موروث عنصري تناقلوه عن أسلافهم، يضعهم في خانة مقدسة، ويربطهم بعرق واحد عابر للحدود والقارات. يُشكّلهم كعصبية سُلالية تزعم انتماءها إلى القرن الهجري الأول، منفصلة عن هوية وجنسية وحضارة البلدان التي ارتسمت حدودها المعاصرة مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بجغرافيا وأسماء اعتبارية للدول التي انتمى إليها كل مواطنيها ببطاقة شخصية واحدة إلا هُم، ما يزالون على إصرارهم في حمل هوية "هاشم" على ظهورهم أينما رحلوا!

ما الذي يُفسّره هذا الإصرار وهذه الحالة المتشنجة لجنسية "إضافية" تُوزّع عليها بطاقات انتساب، وتوضع لها "المُشجّرات" في رفض علني واضح لجنسية الأوطان التي حملوا جوازات سفرها، حتى كادت تجمعهم قبيلة واحدة تتوزع على شكل مجموعات سُلالية في بلدان عربية شتى، تنسف مبدأ إسلامي أصيل يقول
إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم
الرصاصة الأولى في اليمن تنطلق "دومًا" من بندقية هاشمي يدعو قبيلته المقدسة إلى تأييد "حقهم" الديني والتاريخي في الحُكم وفق قاعدة "صفين"، ورغبة في الثأر

من الماضي الذي ضرّج الحسين بن علي في دمه، فيسري في صدورهم تيار واحد وتردد موّحد يضيء حلقة العرش المفقود ويدفعهم للتصرف كروبوتات آلية كانت تنتظر هذه الفرصة الغاشية!

لقد استعار الهاشميون - في اليمن - بابًا من الجحيم ظل موصدًا ٥٧ عامًا متجاهلًا جرائم إبادة توزعت بأسى طيلة ألف سنة، فتحوه على أنفسهم وعلى اليمنيين، نشطوا بدأب عنيف خلف عمامة خامنئي سياسيًا وعرقيًا وعسكريًا، وشكّلوا حالة خاصة من الولاية الدينية تُحدد بيعتهم في رأس إمامهم "عبدالملك بدرالدين" مرددين عبارة "مولاي"، وهي عبارة لا يستطيع اليمنيون لفظها اليوم، وقد حسموا أمرهم بألا يفعلوا ذلك حتى في أشد أوقاتهم إحباطًا.

وفي توكيد مؤلم على تشبعهم بمرويات عنصرية مكثفة تلقوها في حواضنهم الأسرية، تخرج من بيوتهم كتائب متشحة بالسواد، وعلى ذراع كل عنصر بازوكا ومدفع رشاش وحزام جلدي مُعبأ بقنابل يدوية! يكتشف اليمنيون أنهن نسوة هاشميات متوحشات يُطلق عليهن "الزينبيات"، لم يكن الأمر منحصرًا في الذكور إذن، بل

مُهمة حشد لها الهاشميون آباءهم وعيالهم وبناتهم، مجتمع ضخم اطمأنَّ إلى خزائن مهولة من الذخائر، وسقوط عسكري من داخل النظام، وانهيار سياسي وتبلد إعلامي، فقرروا جميعًا الخروج لممارسة العنف- هوايتهم المُفضلة- وتطبيق كل ما قرأوه في كتب أسلافهم المتعصبين على أجساد اليمنيين دون تمييز.

لا أحد يستطيع إنكار ما حدث، كل عبارة مكتوبة هنا نُقلت من واقع المعركة، من الأرض، صوّرتها الأحداث من أجساد اليمنيين والصحافيين الذين قضوا في المعتقلات الهاشمية الرهيبة سنوات، حتى ذوى لحمهم، وفقر دمهم، وحفرت أسلاك الكهرباء في أجسادهم عجائب قهر لايعبد إلهًا أو يسجد لصنم، فاستسلم السجناء للموت بأجساد ساكتة تروي تفاصيل إبادة إنسانية دفنتها الأمم المتحدة الخرساء!

هل من مُدّكر؟

من يسكن دور صنعاء اليوم؟ من أخرج اليمانيين من ديارهم بغير حق؟ أين كانت عقولهم يوم وزّعت العقول على البشر. وقرروا الخروج لإسقاط بلد عنيد؟ من منحهم

الحق في فرض الجريمة كسلوك قانوني وتدمير مبادئ التعايش الوطني والإجتماعي؟

هل من مُدّكر؟

القبيلة الهاشمية صوت حزين يدعو بإصرا ر إلى ضمان عدم تكرار هذه الحرب، لأنها ستفتح نافذة ملتهبة لإشعال حريق قادم بعد عقدين لا أكثر، وضمان تحوّل الهاشميين من كتلة زئبقية لا شكل لها ولا لون ولا رائحة، إلى عناصر مرئية تنتمي لمحافظاتها وأحيائها كما ينتمي أي يمني بولاء مُطلق. ما التركيبة الكيمائية والمعادلة الفيزيائية المناسبة لمثل هذا التحول؟. لا يمكن بالطبع نسخ تجربة الأيوبيين في مصر- التي فصلت بين ذكور الفاطميين وحريمهم حتى انقرض نسلهم، أو استعارة طريقة التهجير الهاشمية على اليهود اليمنيين. فربما يتمكن برنامج إعادة تأهيل حقيقي وطويل الأمد إنتاج يمنيين طبيعيين من محاضن هاشمية؟

* * *

ستظل الهاشمية بنظريتها السُلالية وانتمائها المرتد زمنيًا مشكلة أبدية لليمن، وأنبوبة قابلة للاشتعال في بلدان أخرى. عندما لعب الهاشميون بالنار لم يتنبهوا لإعداد خُطة

بديلة لانسحابهم، ولم يفكروا في تجهيز عربات إطفاء ممتلئة بالرغوة لإخماد الحريق، فقط: أدخلوا اليمنيين في أخدود عميق، وأشعلوا عود الثقاب، ثم طفقوا يتساءلون: ما بال هؤلاء الناس يُعذّبون؟ قال آخر: من أحرقهم؟، وتفضّل ثالث بالتعليق: لا يحرق بالنار إلا رب النار؟ وحتى هذه اللحظة ما زالوا على حيرتهم، يتساءلون ببراءة مدهشة!.

- وقد تبرعت بالرد، وكتابة ما سبق.

عدن

يناير ٢٠١٩م

المراجع والمصادر

- أحمد بن أحمد المطاع: تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، منشورات المدينة – بيروت.
- د. علي الوردي :قصة الأشراف وابن سعود ، دار الوراق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- فريد هاليداي: الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية ، دار الساقي ، الطبعة الثانية ٢٠١٠م
- أحمد بن يحيى البلاذري :أنساب الأشراف ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١١م
- إسماعيل بن علي الأكوع: المدخل إلى هجر العلم ومعاقله، دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. هجرة العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- رداء الدولة ، دلالات الزي السياسي اليمني من ١٩٤٨إلى ٢٠٠٤م ، مؤسسة تخطيط برامج التنمية الثقافية ، مشروع التراث

الرسمي ، وثائق الندوة الدولية الثانية ، فبراير ٢٠٠٥م ، تحرير د. رؤوفة حسن
د. حسين عبدالله العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، دار الفكر– دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- د. عبدالرحمن يحيى الحداد: صنعاء القديمة المضامين التاريخية والحضارية، الطبعة الأولى ١٩٩٢، مؤسسة العفيف الثقافية – صنعاء.
د- عبدالولي الشميري: ١٠٠٠ ساعة حرب، الطبعة الثالثة ١٩٩٥م.
- يحيى بن الحسين بن القاسم: بهجة الزمن، تحقيق عبدالله الحبشي، بعنوان يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر ـ (١٠٤٦ – ١٠٩٩هـ)، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- عبدالله بن عبدالوهاب الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة، منشورات المدينة – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- عيسى بن لطف الله شرف الدين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر– صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- عبد الفتاح محمد البتول :خيوط الظلام عصر الإمامة الزيدية في اليمن (٢٨٤ ـــ ١٣٨٢ هـ)- الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر

- أحمد سالم شيبان: الوجود المملوكي في اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، جامعة عدن.
- عادل الأحمدي ، الزهر والحجر ، مركز نشوان الحميري ، ٢٠٠٦م
- محمد بن محمد زبارة : أئمة اليمن تاريخ جامع لأئمة اليمن الهاشميين، مطبعة النصر الناصرية – تعز، طبعة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.
- د. علي محمد زيد، تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية – صنعاء.
- أ.د ويلفرد مادلونج، ترجمة د. علي القباني، سيرة الإمام أحمد بن يحيى الناصر لدين الله، مجلة المسار، العدد الثالث عشر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- د. علي محمد زيد، تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية – صنعاء.
- عبدالسلام الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، صـ١٠١٣، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- عمر بن علي بن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن صـ٧٥ بتحقيق فؤاد السيد، بدون تاريخ.

- د. علي محمد زيد، معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار العودة – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
علي بن عبدالله الإرياني ،الدر المنثور في سيرة الإمام المنصور
- الحسين بن احمد يعقوب سيرة الإمام المنصور بالله القاسم العياني –، تحقيق عبدالله بن محمد الحبيشي،الطبعة الأولى ١٤١٧ – ١٩٩٦، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر – صنعاء.
- محمد عبدالله سعيد الميسري : الزيدية في اليمن "دراسة في أحوالهم السياسية والحضارية" أطروحة لنيل درجة الدكتوراة في فلسفة التاريخ الإسلامي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م. جامعة عدن.
- المطَّهر بن محمد الجرموزي ،تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، المجلد الأول، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، المملكة الأردنية الهاشمية.
أنباء الزمن في أخبار اليمن من سنة ٢٨٠ – ٣٢٢ هجرية، صححه محمد عبدالله ماضي، المكتبة الثقافية الأدبية، الإسكندريه.
سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، رواية علي بن محمد عبيدالله العباسي العلوي، تحقيق الدكتور سهيل زكار، بيروت ١٥ شعبان ١٣٩٢هـ.
لقاء قناة روسيا اليوم برنامج رحلة في الذاكرة مع السفير الروسي سابقا في اليمن اوليك بربيستيان

- كلودي فايان، كنت طبيبة في اليمن للطبيبة الفرنسية طبيبة الإمام حينها كلودي فايان، وزارة الثقافة والسياحة اليمن، ٢٠٠٤م.
- رضوان السيد، العرب والإيرانيون، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الثانية ٢٠١٥م.
- توماس إدوارد لورانس، أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة محمد نجار، الدار الأهلية، الطبعة الثانية ٢٠١٥م
- روبرت ماكنمارا، الهاشميون وحلم العرب، العربي للنشر والتوزيع، ترجمة منال حامد، ٢٠١٦م.
- هنري كيسنجر، النظام العالمي الجديد، دار الكتاب العربي، ترجمة فاضل جتكر، ٢٠١٥م
- ثابت الأحمدي، الهادوية بين النظرية والتطبيق، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، ٢٠١٨م.
وثائق انقلاب ١٩٥٥
وثائق الثورة الدستورية ١٩٤٨

الفهرست